



مجمع الدعوة والإعلام
المعهد العالي للدعوة الإسلامية
قسم الإعلام

منهج الإعلام الإسلامي في صَلح الحلندي

رسالة أعددتها الطالب :
سليم عبد الله حجازي
لنيل درجة الماجستير

إشراف فضيلة الشيخ محمد الرادوي

١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م
الرياض

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمه

الحمد لله الذي خلق الإنسان وعلمه البيان وفضله على سائر مخلوقاته بنعمتي العقل واللسان ليفكر بعقله التفكير السليم وينطق بلسانه الحق البين . نحمده ونشكره ونستعينه ونستهد به ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له . وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله عليه الصلاة والسلام .

أما بعد فأني أحمد الله العلي القدير الذي سهل لي فرصة البحث والأطلاع والمراجعة لتاريخ أمتنا الإسلامية المجيدة حيث إنني كنت أحد طلاب المعهد العالي للدعوة الإسلامية قسم الأعلام في دراسة منتظمة ، وبعد ها وحسبما ينص عليه نظام المعهد وهو أن يقدم كل طالب من أبناءه بحثا يعطي من خلاله صورة على مسدى تحصيله العلمي واستفادته واستنباطه وترجيحه في حقل اختصاصه ، فأني أعطيت كغيري من الطلاب فرصة لأختيار الموضوع المناسب ، فكانت إرادة الله سبحانه أن قدر لي باختيار هذا الموضوع وهو : منهج الأعلام الإسلامي في صلح الحديبية .

وقد شاء الله جل وعلا أن يكون فضيلة الشيخ محمد الراوى مشرفا على هذه الرسالة فزاد ذلك من سرورى ومن رغبتي في البحث والأطلاع .

أ - أهمية الموضوع وسبب اختياره :

يرجع سبب اختياري لهذا الموضوع كونه يعتبر من المواضيع ذات الأهمية العظمى وخاصة في هذه الأيام التي اختلطت

فيها المفاهيم والتبست فيها الأمور وانقلبت فيها الحقائق . ومن هنا فإن أهمية هذا الموضوع وسبب اختياره تتضح في الأسباب التالية :

١- أن أبين أهمية تراثنا الإسلامي في هذا الوقت الذي تتنافس فيه البشرية لأظهار أمجاد وطمس أمجاد أخرى عن طريق ما تملكه من وسائل وأجهزة إعلامية ضخمة ومتطورة لم يكن لأمتنا الإسلامية نصيب منها . وكيف أن أعداء الإسلام يحاولون عن طريق هذه الأجهزة الإعلامية العمل على الغاء الوجود الإسلامي وطمس حقائقه ومزاياه النبيلة .

٢- لأن صلح الحديبية قد أحدث نقطة تحول تاريخية بارزة في حياة الدعوة الإسلامية ومسيرتها العظيمة .

٣- لأن هذا الصلح يعتبر بداية انطلاقة إعلامية كبرى فتجرت أفاقها لتشمل كافة أرجاء الجزيرة العربية ولم تقف عند هذا الحد ، بل انتشرت مصابيحها لتشمل العالم خارج هذه الجزيرة أيضا ، حيث أرسل النبي صلى الله عليه وسلم رسله الى ملوك وزعماء العالم في حملة إعلامية واسعة ومنظمة لأبلاغ الناس بدعوة الله سبحانه ، في الوقت الذي كانت فيه فترة ما قبل الحديبية فترة إعلامية محصورة في الزمان والمكان . لذا فقد جاء هذا الصلح ليفك قيودها ويعلن انطلاقتها على العالم أجمع فكان يعتبر بحق فتحاً إعلامياً رائداً ومظيماً .

٤- أتاح هذا الصلح للمسلمين الفرصة لأظهار هويتهم وإبراز شخصيتهم داخل الجزيرة العربية وخارجها الأمر الذي مكن المسلمين من حماية الدعوة الإسلامية من أعدائها التقليديين الذين ما انفكوا يتآمرون على الإسلام والمسلمين ويترصدون بهم الدوائر ويحتمنون بهم الغرض للأنقضاض عليهم منذ فجر الدعوة الإسلامية ، فكان بذلك أن تخلص المسلمون من يهود ، وأعدائهم من أعداء الإسلام والمسلمين . وقد واصلت الدعوة الإسلامية سيرها دون أي عوائق ، وظهر من كان مستغفياً بإسلامه خوفاً من الكفار .

هـ- لإيضاح الحقائق والمعاني العظيمة التي قام عليها صلح الهدبية وخاصة في هذا الزمان الذي بدأت تظهر فيه من هنا وهناك صيحات من المنتسبين الى هذه الامة للصلح مع اليهود ولإعطائهم صفة الشرعية باغتصاب بلد من أقدم البهــــلاد الإسلامية ومن أعزها وأغلاها على المسلمين بدعوى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد عقد صلح الهدبية مع المشركين في مكة .

هذا ولما كان هذا الصلح الذي عقده رسول الله صلى الله عليه وسلم مع المشركين في مكة لم ينهي قضية النزاع القائمة بين الطرفين نهائيا ، فإنه يصبح بهذا المفهوم بمعنى الهدنة بدليل أن ما ورد في بنود صلح الهدبية يدل على هــــذا المعنى وهو إيقاف الحرب بين الطرفين لمدة عشر سنوات ، وكذلك العبارة التي تقول " أن بيننا عيبة مكوفة " ، وهذا يعنى أن النزاع القائم بين الطرفين لم يطرأ عليه شيء سوى التأجيل فقط . وهذه الحالة فإنه لا يمكن أن يوجد وجه للشبه أو للمقارنة بين صلح الهدبية وبين ما عُقد أو ما يراد عقده من صلح مع اليهود لأنها قضية المسلمين في فلسطين وتصفيتهما ، على أساس من هذا المفهوم الخاطي* للأمر .

ومن هنا ومننا* على ما تقدم فقد كان من الأهمية بـمكان لإيضاح الحقائق والمعاني العظيمة التي قام عليها صلح الهدبية حتى لا يتمكن أحد بحال من الأحوال من تزيف تاريخ أمـتنا الإسلامية المجيدة وحتى يعلم الناس جميعا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم - وهو الذي أرسله الله رحمة للعالمين - لم يعقد صلح الهدبية مع قريش إلا طاعة لله وتنفيذا لأمره عز وجل ذلك الأمر الذي جاءت الإشارة به في حادثة بـورك الناقة ، بالإضافة الى الكثير من الأمور الهامة الأخرى منها أنه عليه الصلاة والسلام - بما حباه الله به من رحمة ، كان شديد الحرص على هداية الناس جميعا وإخراجهم من ظلمات الشرك إلى نور التوحيد بالحجة والبرهان وليس بطريقة الحرب التي لم يلجأ اليها مرة من المرات إلا في حالة الضرورة والدفاع عن النفس .

وعلى هذا الأساس فإن ثمرات صلح الهدبية جاءت محققة لأمال المسلمين جميعا

وقد أيد الله سبحانه وتعالى هذا الصلح مسميا أيامه بالفتح المبين ، كذلك فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يهدف الى تفويت الفرصة على المتهورين وأصحاب العنجهية والكبرياء الوثني من قريش ، من أن يحققوا مأربهم في إيقاع الفتنة وإشعال نار الحرب حسب أهوائهم ورضياتهم ، مما أدى الى حقن دماء المسلمين من أن تهدر عثا على ساحة الحرم الشريف وتجنب بيت الله الحرام - ذلك المكان الطاهر الذى جعله الله مثابة للناس وأمنا ، وهو أقدس بقعة على هذه المعمورة - من أن يكون مسرحا للحرب وسفك الدماء .

هذا ، ولقد كان من ثمرات هدنة الحديبية ، أن تمكن المسلمون من توسيع دائرة نشاطهم الاعلامي ، مما أدى الى زيادة عدد الداخلين في الإسلام أضعافا مضاعفة عما كانوا عليه قبل الحديبية ، الأمر الذى مكن المسلمين من فتح مكة المكرمة بعد أقل من سنتين من توقيع صلح الحديبية مع قريش .

وهذه هي المعاني الرائعة والحقائق الناصعة التي أسفر عنها عقد صلح الحديبية مع قريش .

فهل الذين عقدوا صلحا مع اليهود أو الذين يتنادون بعقد الصلح معهم ، وضعوا في اعتبارهم هذه المعاني العظيمة التي قام عليها صلح الحديبية ؟ . وهل كانت نتائج الصلح الذى عقد مع اليهود محققة لآمال المسلمين كما كانت عليه نتائج صلح الحديبية ، كأن يهتدى بيجن وشارون وغيرهما الى الإسلام ؟ ! أو فسي حقن دماء المسلمين من أن تهدر عثا ؟ . وإدخال اليهود في الإسلام كما دخلت قريش فيه وفتح القدس وفلسطين في أقل من سنتين كما فتحت مكة المكرمة ؟ ! ! ! ولكن هيئات وهيئات اليهود كما عرفهم الإسلام وعرفهم الجنس البشرى ، هم قوم غدر وخيانة ونقض للعهود والمواثيق . قال تعالى : ((أو كلما عاهدوا عهدا نبذه فريق منهم بل أكثرهم لا يؤمنون)) (١) .

وقد خانوا العهد والميثاق مع أوفى المخلوقات بالمعهود والمواثيق ألا وهو محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، الذي لم يعرف التاريخ البشري أفضل منه معاملة ولا أحسن منه خلقا .

وها هم كما نراهم ويراهم العالم لا يزالون يمارسون سياستهم المعروفة من نقص للمعهود والمواثيق والحق على الإنسانية وتسخيرها لمأربهم الدنيئة والعداوة المستمرة لدين الله منذ فجر الدعوة الإسلامية لا شيء* ولكن حسدا من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم أنه الحق وقد دفعهم حقد هم الأسود على الأسلام والمسلمين الى إقامة المجازر الرهيبة لأبناء* هذا الدين في دير ياسين وبقية وصبرا وشاتيلا وغيرها منذ أن دنسوا أرض فلسطين المسلمة بالإضافة الى هدمهم للمدن والقرى بصورة كاملة وهدمهم للأعراض وحرقتهم للمساجد والمقدسات الإسلامية ، وما حادثة المسجد الأقصى أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين عنا ببعيدة .

وهذا غيض من فيض من جرائمهم الشنيعة التي لم تقف عند حد ، ولا زلنا نسمع من قادتهم بين الحين والآخر المناداة للثأر لخيبر ومبني قريضة والمطالبة بالمدى بنسبة المنورة . فهل بعد هذا كله دليل ؟ .

هذا ما أردت أن أوضحه في هذه النقطة من خلال أهمية هذا الموضوع ، واختياري له والله من وراء القصد .

ب- مكانة هذه الدراسة من الدراسات السابقة :

أما بالنسبة لمكانة هذا البحث من الدراسات السابقة ، فإنني لم أجد - فيجملته - ما بحثت عما كتب في هذا الموضوع من دراسات خاصة ومستقلة - سوى كتابين إثنين فقط .

الأول لعبد الحميد جودة السحار وهو كتاب لا يزيد حجمه على ثلاثمائة صفحة بالقطع المتوسط ، وقد ساء المؤلف بـ " صلح الحد بيمة " .
والحقيقة أن هذا الكتاب لم يخرج به مؤلفه في بحثه لهذا الموضوع عن أسلوب السرد التاريخي للوقائع والأحداث ليس إلا .

أما الكتاب الثاني فهو للأستاذ محمد أحمد باشميل وهو كتاب من سلسلة معارك الأسلام الفاصلة ويبلغ حجم هذا الكتاب حوالي الأربعمائة صفحة من القطع المتوسط أيضا وقد ساء مؤلفه كذلك بـ " صلح الحد بيمة " .
والحقيقة أن المؤلف هنا قد أعطى بحثه لموضوع الحد بيمة جهدا أكبر ودراسة أوسع وشرحا مفصلا أكمل فجزاها الله خيرا .
غير أن جميع ما كتب في هذا الموضوع إن كان قديما أو حديثا ، لم يظهر النهج الإعلامي الذي خطه سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم لصلح الحد بيمة .

ولما كنت أعلم ما ينطوى تحت هذا البحث من أهمية كبرى وفائدة عظمى في مجال الدراسات الإعلامية المتخصصة ، فاني والحالة هذه عدت الى الخوض في هذا البحر الزاخر من التراث الأسلامي العظيم لعلي أتسكن من أن أتلمس ما في هذا التراث من كنوز ثمينة لم يكشف النقاب عنها ولم تظهر خباياها بعد ، وعلى هذا الأساس ، فإنني أدليت بدلوى .
وإني لأرجو الله العلي القدير أن أكون قد وفقت فيما ذهبت اليه لأخراج هذا البحث بالوجه الذي يليق به وبالصورة التي ينبغي له أن يظهر بها .

ج - مشاكل البحث :

أما فيما يتعلق بالمشاكل التي واجهتني أثناء هذا البحث فإنها كانت بالدرجة الأولى تتعلق بعدم وجود الكتب والمراجع التي تبحث في مواضيع الأعلام الإسلامي . ولما كانت المكتبة الإسلامية - كما هو معروف - تفتقر الى مثل هذه الكتب والمراجع الضرورية لمثل هذه الدراسات ، الأمر الذي زاد من الصعوبات التي كنت أواجهها في عملية التنسيق والمقارنة والاستنباط من أجل إظهار النهج الإعلامي لهذا الموضوع .

د - منهج البحث :

لقد قمت بتتبع وداسة موضوع الحديبية في معظم كتب السيرة النبوية والمصادر المعتمدة الأخرى التي بحثت هذا الموضوع ، القديم منها والحديث ، وذلك مثل كتاب السيرة النبوية لابن هشام وكتاب السيرة النبوية لابن كثير ومغازي الواقدي وتاريخ الرسل والملوك للطبري والكامل لابن الأثير والروض الانف للمسيلي والطبقات الكبرى لابن سعد وغيرها من كتب الحديث والتراجم الأخرى . ومن هذه المصادر المعتمدة قمت بجمع الأفكار والحقائق التاريخية وعملت على تنسيقها وترتيبها والترجيح فيما بينها واستنباط الأساليب والحقائق الإعلامية منها ومقارنتها بما وضعه رجال الأعلام المتخصصون في هذا الفن ، من نظريات وقوانين إعلامية ضمن مجال الدراسات الإعلامية المتخصصة التي ظهرت كعلم مستقل له مكانته وأهميته العظمى في عصرنا الحاضر .

وبهذا فإن دراستي لهذا الموضوع كانت دراسة تحليلية تعتمد على أسلوب الاستنباط والمقارنة والاستنتاج .

هذا ولقد حصرت دراستي هذه في فترة زمنية محددة وهي الفترة التي بدأت بالروايات التي رآها رسول الله صلى الله عليه وسلم في شهر ذي القعدة من السنة السادسة

للحجرة وهي الروميا التي قام عليها موضوع الحديبية بأكله . وانتهت من هذه
الدراسة عند ما بدأ الرسول صلى الله عليه وسلم استحضاراته لفتح مكة وذلك في شهر
رمضان المبارك من السنة الثامنة للهجرة .

خطة البحث :

قسمت موضوع الحديبية الى ثلاثة أبواب ، وذلك وفق المراحل الإعلامية التي مر بها .
وهذه الأبواب هي :

الباب الأول ، وجاء تحت عنوان :

((مرحلة الأعداد الإعلامي لصلح الحديبية))

ويشتمل هذا الباب على أربعة فصول :

(١) الفصل الأول وعنوانه : رؤيا الفتح ، ويتضمن هذا الفصل أربعة مباحث .
أوضحت في هذا الفصل المفهوم الإعلامي للرؤيا ، وتحدثت بعد ذلك عن الإعلان والخبر وبينت أهمية الخبر الإسلامي الذي يعتمد الصدق أساسا له ، وتكلمت بعدئذ عن أساليب تداول الأخبار في تلك المرحلة .

(٢) الفصل الثاني وعنوانه : دعوة العرب للعمرة ، وفيه أربعة مباحث .
تحدثت في هذا الفصل عن الدعوة التي وجهها الرسول صلى الله عليه وسلم لأداء العمرة وعن استجابة الصفوة المؤمنة لهذه الدعوة وبينت دور المنافقين واليهود في تهيط الهمم وتحدثت فيها بعد عن المظاهر الإعلامية في الشعائر التعبدية ومن ثم تحدثت عن رد الفعل لدى قريش حينما تلقت نبأ هذه الرحلة .

(٣) الفصل الثالث وعنوانه : مهمة إعلامية وفيه ثلاثة مباحث .
تحدثت في هذا الفصل عن المهمة الاخبارية لرجل الأعلام الإسلامي وتحدثت كذلك عن طرق جمع الأخبار عند العرب ومن ثم تحدثت عن أهمية التصريح الذي أدلى به رسول الله صلى الله عليه وسلم .

(٤) الفصل الرابع وعنوانه : خطة إعلامية هادفة وفيه مبحثان .
تحدثت في هذا الفصل عن أهمية الخطة التي وضعها رسول الله صلى الله عليه وسلم في تغيير سير الرحلة وعن رد فعل قريش تجاه هذا الوضع الجديد ، وتحدثت كذلك عن الأثر الإعلامي لهذا التغيير .

الباب الثاني : وجاء تحت عنوان :

((المفاوضات والحرب النفسية))

ويشتمل هذا الباب على خمسة فصول هي :

(١) الفصل الأول وعنوانه : الوفد الإعلامي الأول يصل الى الحديبية وفيه ثلاثة مباحث .
تحدثت في هذا الفصل عن أهمية المفاوضات التي دارت بين رسول الله صلى الله عليه وسلم والرجل المحايد بديل بن ورقاء الخزاعي لأنها الأزمة ، ومن ثم تكلمت عن الأهمية الإعلامية لرسالة بديل بن ورقاء وعن نتائجها في إرسال قريش لأحد زعمائها الى الحديبية للتأكد مما قاله بديل .

(٢) الفصل الثاني وعنوانه : الوفد الإعلامي الثاني برئاسة الحليس بن زبآن وفيه مبحثان .
أوضحت في هذا الفصل أهمية الخطة الإعلامية التي وضعها رسول الله صلى الله عليه وسلم في مواجهة الحليس بن زبآن وصينت النواحي النفسية والرموز الإعلامية التي تعتمد عليها هذه الخطة الإعلامية الهادفة . كما وتحدثت كذلك عن أهمية الوسيلة الإعلامية في إنجاح هذه الخطة .

(٣) الفصل الثالث وعنوانه : أسلوب الحرب النفسية في مفاوضات عروة بن مسعود وفيه مبحثان .

أوضحت في هذا الفصل أسلوب الحرب النفسية الذي استعمله عروة بن مسعود فسي مفاوضاته مع النبي صلى الله عليه وسلم في الحديبية وأوضحت كذلك أساليب هذه الحرب وحقيقتها ، وتسميتها بهذا الأسم ، وأهدافها وتوقيتها . كما وأفردت دراسة خاصة فسي هذا الفصل عما إذا كانت هذه الحرب النفسية قد نحتت أمام العقيدة الإسلامية أم لا .

(٤) الفصل الرابع وعنوانه : الوفود النبوية الى قريش وأهمية بيعة الرضوان وفيه أربعة مباحث .

تحدثت في هذا الفصل عن الفرق بين الداعية الى الله ورجل الأعلام من خلال الوفود النبوية الى قريش ومن ثم تكلمت عن الأشاعات وأهميتها الإعلامية وذلك على أثر إشاعة

مقتل عثمان بن عفان . وبينت بعدئذ أساليب مقاومة هذه الشائعات . وأخيرا تحدثت عن أهميةبيعة الرضوان في تلك المرحلة .

٥) الفصل الخامس وعنوانه : وفد الصلح القرشي برئاسة سهيل بن عمرو وفيه أربعة مباحث .

تحدثت في هذا الفصل عن المفاوضات التي دارت في الحديبية بين النبي صلى الله عليه وسلم ورتيس وفد الصلح القرشي سهيل بن عمرو ومن ثم تحدثت عن الفقرات التي جاءت في كتاب الصلح ، وعن سورة الفتح التي أثبتت بأن هذا الصلح كان فتحا إعلاميا فتحه الله على رسوله الكريم وعلى الدعوة الإسلامية بالخير والأزدهار . ومن ثم تكلمت عن الدروس الإعلامية المستفادة من صلح الحديبية .

الباب الثالث وجاء تحت عنوان :

النتائج والآثار الإعلامية لصلح الحديبية

ويشتمل على ثلاثة فصول هي :

١) الفصل الأول وعنوانه : الإعلام الشفهي وفيه سبعة مباحث .

تكلمت في هذا الفصل عن أهمية وسائل الاتصال الشفهية وأقسامها كالأتصال الشخصي والجمعي ومن ثم تحدثت عن أهمية القرآن الكريم في نشر الدعوة الإسلامية من خلال تلاوته وتعليمه للناس وتبادل أحكامه بين الناس وأثر ذلك في عملية الأتصال الشفهي . وتكلمت كذلك عن أهمية الحديث الشريف في نشر الدعوة الإسلامية من خلال تداوله بين الناس وأوضحت أهمية القدوة الحسنة والكلمة الطيبة في نشر الدعوة الإسلامية في تلك المرحلة ومن ثم تكلمت عن أهمية الشعر في مجال الأتصال الإعلامي . وأخيرا تكلمت عن حركة الممسس وأثرها الإعلامي في نقل الأخبار .

٢) الفصل الثاني وعنوانه : الإعلام التحريري وفيه خمسة مباحث .

أوضحت في هذا الفصل أهمية الإعلام التحريري في نشر الدعوة الإسلامية ومن ثم ذكرت

نموذجين لرسائل رسول الله صلى الله عليه وسلم : النموذج الأول لرسائل الوثنيين والنموذج الثاني لرسائل أهل الكتاب ، ثم قمت بتحليل هذه الرسائل من وجهة النظر الإعلامية . وتكلمت بعدئذ عن عملية إعداد الرسل الذين حملوا هذه الرسائل الإعلامية الى الملوك والزعماء . وأخيرا تكلمت عن النتائج الإيجابية لهذه الرسائل في نشر الدعوة الإسلامية في تلك الفترة .

٣ (الفصل الثالث وعنوانه : الأثر الإعلامي للغزوات والسرايا الحربية لفترة ما بعد الحديبية وفيه خمسة سياحت .

أوضحت في هذا الفصل طبيعة الحرب في الإسلام وأهدافها وأغراضها ومتى يلجأ إليها المسلمون ومن ثم تكلمت عن مراحل تشريع القتال في الإسلام . هذا وتحدثت عن أثر الغزوات والسرايا في نشر الدعوة الإسلامية . وأخيرا تحدثت عن عمرة القضاء وأثرها الإعلامي في نشر الدعوة الإسلامية في تلك المرحلة .

وأخيرا الخاتمة : وقد تحدثت فيها عن النتائج الإعلامية لموضوع :

((منهج الأعلام الإسلامي في صلح الحديبية))

هذا وقد بذلت ما في وسعي لكي أصل الى الصواب ، فأنا كان هذا الجهد الذي بذلته قد أصاب الحقيقة فهو بفضل الله وتوفيقه ، وإن كان قد أخطأ فمن نفسي ومن الشيطان وأرجو الله سبحانه أن يجعل عملي هذا خالصا لوجهه الكريم وأن ينفعني والمسلمين به وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه وسلم .

والحمد لله رب العالمين .

((منهج الإعلام الإسلامي في صلح الحديبية))

- الساب الأول -

وجاء تحت عنوان : الأعداد الإعلامي لصلح الحديبية
وفيه أربعة فصول :

الفصل الأول :

وجاء تحت عنوان : رؤيا الفتح

الفصل الثاني :

وجاء تحت عنوان : دعوة العرب للعمرة

الفصل الثالث :

وجاء تحت عنوان : مهمة اعلامية

الفصل الرابع :

وجاء تحت عنوان : خطة إعلامية هادفة

- الفصل الأول -

((رؤيا الفتح))

بسم الله الرحمن الرحيم

المبحث الأول :

رومها الفتح :

قال تعالى ((لقد صدق الله رسوله الروميا بالحق لقد دخلن المسجد الحرام لمن شاء الله آمنين محلقيين رومكم ومقصرين لا تخافون ، فعلم ما لم تعلموا فجعل من دون ذلك فتحا قريباً .)) (١)

تبدأ فصول صلح المدينة - ذلك الحدث العظيم من تاريخ الدعوة الإسلامية - بالروميا الحقة التي رآها رسول الله صلى الله عليه وسلم في منامه من أنه وأصحابه الكرام سيدخلون مكة المكرمة ويطوفون بالبيت العتيق لمن شاء الله آمنين .

وقد ذهب معظم المؤرخون وكتاب السير على أن تاريخ هذه الروميا المباركة كان في شهر ذي القعدة من السنة السادسة للهجرة على وجه التحديد . (٢)

ولا شك أن روميا الأنبياء صورة من صور الوحي الإلهي وهي تعتبر من وجهة النظر الإعلامية ، طريقة من طرق الاتصال غير المباشر بين الله سبحانه وتعالى وبين الأنبياء الكرام .

ولقد جاءت هذه الروميا المباركة لتؤكد المبدأ الإعلامي الذي يلح على ضرورة البداية بالمواضيع الملفتة للنظر والمحركة للأنبياء ، وذلك لأن الروميا في مفهومها هي ومضة تلتفت الأنظار الى مضمونها وملاحقة النظر الى نورها واتجاهها .

(١) سورة الفتح الآية (٢٧)

(٢) قال ابن هشام إنها كانت في آخر سنة ست للهجرة ج ٣ ص ٣٥٥ . دار الفكر . وقال الواقدي أن روميا رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت في شهر ذي القعدة من سنة ست للهجرة . المغازي ج ٢ ص ٥٧٣ . وذكر الطبري في تاريخ الرسل والملوك أنها كانت في ذي القعدة ج ٣ ص ١٥٣٨ دار المعارف . وكذا الحافظ الذهبي في العبر ج ١ ص ٨ . وابن الأثير في الكامل ج ٢ ص ٢٠٠ .

والجدير بالذكر أن مبدأ وحيه عليه الصلاة والسلام كان بالرويا الصادقة في النوم فقد ذكر الأمام البخارى في صحيحه من حديث عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها " أن أول ما بُدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي بالرويا الصادقة في النوم ، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح ، ثم حُبب إليه الخلاء " . . . الحديث (١) والحدير بالذكر أن الرويا الصادقة هي إحدى الطرق المتعددة للوحي الألهي كما جاء ذلك في كتاب الله عز وجل .

قال تعالى : ((وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً أو من وراء حجاب ، أو يرسل رسولا فيوحي بأن نه ما يشاء انه عليم حكيم)) (٢)

وسا يذكر أن رؤيا الفتاح هذه قد جاءت في وقت كان المسلمون فيه بعدد هم الضئيل يقفون في مواجهة معظم القبائل العربية التي تجمعت ضد هم وتكاثرت عليهم لاقتلاعهم والقضاء عليهم قضا تاما وذلك بفعل دسائس يهود وحقد هم على هذا الدين منذ ولادته . وما غزوة الأحزاب عنا ببعيدة ، تلك الغزوة التي وقعت قبيل رؤيا الفتاح مباشرة ، والتي تجمع لها المشركون وأعوانهم من يهود والقبائل الوثنية الأخرى في أكبر حشد عسكري عرفته الجزيرة العربية طوال تاريخها وذلك من أجل القضاء على المسلمين واستئصالهم .

قال ابن هشام وابن سعد (٣) قریشا والأحبابي والقبائل الأخرى من بني كانه وأهل تهامة وطفان ومن تبعهم من أهل نجد ، قد تجمعوا حول المدينة المنورة لقتال المسلمين في عشرة آلاف حندي وهم الأحزاب وكانوا ثلاثة عساكر وعتاج الأمر الى أبي سفيان بن حرب (٣) هذا بالإضافة الى يهود بني قريظة من الداخل وخيانتهم المعروفة بالمسلمين . ففي ذلك الظرف العصيب ، وفي تلك الأثناء من الحروب الطاحنة والمتواصلة تحي هذه البشري

(١) صحيح البخارى باب بدء الوحي ج ٣ ص ١٠٣ . دار الفكر . وصحيح مسلم كتاب الإيمان

ج ١ ص ١٣٩ باب بدء الوحي . رئاسة البحوث العلمية و زاد المعاد لابن القيم ج ١ ص ١٨٠ .

(٢) سورة الشورى الآية (٥١) .

(٣) ابن هشام السيرة النبوية ج ٣ ص ١٣١ . دار الجيل . وابن سعد الطبقات الكبرى ج ٢ ص ٦٦ دار صادر بيروت .

لنؤكد للمسلمين بأنهم سيد خلون مكة المكرمة إن شاء الله آمين ويطوفون في البيت العتيق ذلك المكان الذى طالما ظن نفوسهم تتطلع اليه شوقا وتحنوا اليه محبة ورقسا وتتوجه اليه في صلاتها خمس مرات في اليوم واللييلة .

وإنه وإن كانت لمكة المكرمة تلك المكانة العظيمة من المحبة والاحترام والتقدير في نفوس المؤمنين في كل مكان من هذه الدنيا ، لما فيها من مكان طاهر عزيز على نفوس المؤمنين ، ألا وهو المسجد الحرام الذى جعله الله مثابة للناس وأمنا ، فإن المهاجرين كانوا يرون فيها أيضا بأنها مسقط رؤوسهم ووطنهم الغالي الذى أخرجوا منه ظلما وعدوانا وبغيا والمكان الذى شهدوا فيه مراتع صباهم وهو لا يزال يضم أهلهم وذوهم ، والله سبحانه يشير في كتابه العزيز الى عليه الأخراج من الوطن عنوة ويقارنها بعملية القتل للنفس فيقول سبحانه في هذا ((ولو أننا كتبنا عليهم أن يقتلوا أنفسهم أو أخرجوا من دياركم ما فعلوه إلا قليل منهم . . . الآية)) (١).

لهذا فقد كانت فرحة المهاجرين بهذه البشرى فرحة لا تعد لها فرحة وهي أعظم وأقوى من فرحة غيرهم بعد ذلك الحرمان الطويل والشوق العظيم .

لذا فما كانوا يسمعون بنأى هذه البشرى الكريمة حتى هبوا فرحين مستبشرين طمحين نداؤا لله عز وجل ونداؤا بنبيهم الكريم وذلك لأنهم يعلمون حقا بأن رؤيا الأنبياء الكرام لا تجي إلا حقا ، ولا تقع إلا صدقا وعدلا .

وكما أن هذه الرؤيا المباركة قد جاءت لتبشر النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه الكرام بدخول مكة المكرمة والطواف البيت العتيق ، وبأن فتحا قريبا ينتظر الدعوة الإسلامية ، فإنه لم يكن الرسول صلى الله عليه وسلم هو وحده من بين الأنبياء الكرام الذين تلقوا الأمر الإلهي عن طريق الرؤيا ، فقد جاء ذكر الرؤيا كطريقة من طرق الاتصال الإلهي بالأنبياء الكرام في أكثر من موضع من القرآن الكريم .

والجد ير بالذكر أن القرآن الكريم قد قدم لنا في جملة نصوصه الساوية صورا رائعة
ومناذج فريدة لما كان عليه الأنبياء* والرسل الكرام من طاعة مطلقة واستسلاما كاملا لله
عز وجل .

ولأهمية الروميا في مجال الاتصال الألهي بالأنبياء* الكرام فأننا نورد بعض الصور
المشابهة لهذه الروميا التي ورد ذكرها في القرآن الكريم .

ففي قصة سيدنا ابراهيم الخليل عليه السلام عندما رأى في المنام أنه يذبح ولده
اسماعيل عليهما السلام قال تعالى : ((فلما بلغ معه السعي قال يا بني إني أرى في
المنام أنني أذبحك فانظروا ماذا ترى . قال يا أبت افعل ما تؤمر ستجدني إن شاء الله من
الصابرين)) (١).

ثم يستكمل النص القرآني حديثه عن استجابة سيدنا إبراهيم الخليل لأمر الله عز وجل
الذي جاءه عن طريق الروميا ، ولم يتردد في تنفيذ ذلك الأمر الألهي مهما كان هذا
الأمر صعبا على نفسه البشرية ثقيلًا على أعصابها وذلك في ذبح ابنه الوحيد الذي جاءه
على كبر وشيخوخة . فيقول سبحانه وتعالى : ((فلما أسلما وتله للجبين ، ونادى بناء أن
يا إبراهيم قد صدقت الروميا لئنا كذلك نجزي المحسنين)) (٢).
وهذه هي الطاعة الحقيقية والاستجابة المطلقة والاستسلام الكامل لأمر الله عز وجل .

وما من شك بأننا نشعر بالمتعة الحقيقية والعبر الرائعة ونحن نقرأ في قصص أمثال هؤلاء
الأنبياء* المكرمين . قال تعالى : ((لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب ، وما كان حديثا
يفترى ، ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل كل شيء ، وهدى ورحمة)) (٣).

(١) سورة الصافات : الآيات (١٠١ - ١٠٢) .

(٢) سورة الصافات : الآيات (١٠٥ - ١٠٦) .

(٣) سورة يوسف : الآية (١١١) .

وتجىء الصورة الأخرى من رؤيا الأنبياء الكرام في قصة سيدنا يوسف عليه وعلى نهينا
محمد الصلاة والسلام ، في قول الله عز وجل : ((إِنْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ
أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ . قَالَ يَا بَنِيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى
إِخْوَتِكَ . . . الآية)) (١)

وبأني تأويل هذه الرؤيا المباركة في أواخر هذه السورة في قوله تعالى : ((وَرَفَعَ
أَبُوهُ عَلَى الْعَرْشِ وَغَرُّوا لَهُ سَجْدًا وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلْنَا
رَبِّي حَقًّا . . . الآية)) (٢)

وهكذا وفي ضوء هذه الحقائق الثابتة يتبين للحسب بأن رؤيا الأنبياء هي حق ، وهي
وسيلة من وسائل الاتصال الألهيمة المتعددة التي جاءت في كتاب الله عز وجل وفي العنة
النبوية المطهرة .

ولا شك أن هذه الطريقة في الاتصال تعتبر من أقدم طرق الاتصال من وجهة
النظر الإعلامية ولنستمع إلى ما يقوله الدكتور عمارة نجيب عن هذا الموضوع :
(وإن كانت الصحافة قد اعتبرت من أقدم وسائل الاتصال الجماهيرى فإن الاتصال
المباشرين أفراد المجتمع الإنسانى قد عد أقدمها على الإطلاق . ولكن الإسلام يقرر
سبق الوحي لكل ذلك كوسيلة إعلام من الله سبحانه إلى البشر ، وكأداة اتصال بين الخالق
والمخلوق) (٣) .

(١) سورة يوسف الآية (٤) .

(٢) سورة يوسف الآية (١٠٠) .

(٣) الدكتور عمارة نجيب : الإعلام في ضوء الإسلام . ص ٢٠١ . مكتبة المعارف - الرياض .

بحث ثاني :

الأعلان بالعمرة :

على أثر هذه الروايا المباركة ، فقد أعلن في المسجد النبوي في المدينة المنورة بأن رسول الله صلى الله عليه وسلم عازم على الذهاب الى مكة المكرمة لأداء مناسك العمرة ، وذلك تنفيذا لأمر ربه عز وجل .

ولا شك أن الإعلان هو وسيلة إعلامية قد بهه استخدمها الإنسان لأغراضه الإعلامية المتنوعة ، وقد تطورت هذه الوسيلة الإعلامية الهامة على مر الزمن ، الى أن أصبحت تستخدم لأغراض إعلامية مختلفة وذلك : كالإعلان التجاري ، والإعلان الذي يستخدم لنقل أخبار الدولة الى الناس ، الى غير ذلك من الأغراض الإعلامية المتنوعة .

ويستعرض الدكتور حسن أبو ركة في معرض حديثه عن الإعلان من حيث تعريفه ومن حيث تطوره من الناحية التاريخية فيقول : (لم يكن الإعلان حديث عهد ، بل يرجع تاريخ ظهور الإعلان الى العصور القديمة ، وهو في كل مرحلة من مراحل تطوره يعبر عن الفترة التي يعيشها بكل ظروفها البيئية والثقافية . ففي العصور القديمة تمثل الإعلان فني النقوش ، وفي المرحلة الأولى من التاريخ القديم ، والأمية سائدة بين الشعوب في العالم كانت المناذاة والأشارات والرموز هي الوسائل الفعالة للوصول الى أكبر عدد ممكن من الجمهور لأبلاغ الوسائل الاعلانية . فكان المنادون يستخدمون الإعلان عن أخبار الدولة ووصول السفن والهضائع التجارية أو يجوبون الأسواق للإعلان عن سلعهم) . (١)

هذا ويتحدث الدكتور خليل الصابات عن الحالة التي كان عليها الإعلان في القرون الوسطى فيقول : (إن الإعلان في العصور الوسطى وحتى نهاية القرن السادس عشر قد اختلط بالأشكال التي كان عليها في العصور القديمة ، وهي المناذاة والأطراء على السلعة في الطرقات واللافتات التي كان التجار يعلقونها على واجهات محلاتهم) . (٢)

(١) الدكتور حسن أبو ركة : كتاب الإعلان ص ٣٦ . دار النهضة المصرية .
(٢) الدكتور خليل الصابات : كتاب الإعلان ، تاريخه ، أسسه وقواعده ، فنونه وأخلاقياته

ثم يأتي تعريف الدكتور محمود عساف للأعلان فيقول : (والأعلان هو النشاط الذى يرمى الى خلق حالة معينة من الرضا والقبول العقلي نحو ما يعلن عنه من خدمات وأفكار ومنشآت ، ويضيف الدكتور عساف في تحديد لأغراض الاعلان وأهدافه ، فيقول : والأعلان يتلخص في العمل على رواج تلك الخدمات والأفكار والمنشآت بين الجمهور كي يقبل على شراء الخدمات أو يقتنع بالأفكار أو يتعامل مع المنشآت) . (١)

وأما هذه التعاريف للأعلان وأغراضه وتاريخه فأنتا نرى أن تعريف الدكتور محمود عساف هو أقرب ما يكون الى الشمول في تحديد الأهداف والأغراض التي يشتمل عليها الاعلان في الماضي والحاضر .

والجدير بالذكر أن الأسلام لم يهمل استخدامه للوسائل الاعلامية القديمة في أغراض الدعوة الإسلامية ، ولكنه عندما استخدم هذه الوسيلة الاعلامية الهامة وجعل منها إحدى وسائله الاعلامية الفعالة ، فأنتصه كدين للفطرة وللإنسانية جميعا ، قام بهتدبها تهذيبا يتلاءم مع منهجه السوى وحدد أغراضها وأهدافها لخدمة الدعوة الإسلامية ، وجعل لها ضوابط أخلاقية وميزها بالصدق والاستقامة والأيجابية والشمول . قال تعالى : ((فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبدل لخلق الله ذلك الدين القيم)) . (٢) وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " ما من مولود إلا يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه ، كما تنتج البهيمة بهيمة عبثا هل تحسون بها من جدع " ، ثم قرأ عليه الصلاة والسلام الآية ، فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبدل لخلق الله ذلك الدين القيم " (٣) يقول الدكتور محي الدين عبد الحلیم : (على الرغم من أن الأعلام بأجهزته ووسائله ونظرياته وتقنياته الحديثة كان غير معروفا وقت نزول الوحي على صاحب الرسالة صلى الله

(١) الدكتور محمود عساف . كتاب أصول الاعلان ص ٣٤ . الهيئة المصرية العامة للكتاب .

(٢) سورة الروم الآية (٣٠) .

(٣) صحيح البخارى ج ٢ باب الجنائز ص ٩٨ . المكتبة الإسلامية استانبول دار الفكر .

عليه وسلم ، إلا أنه بتطبيق المقاييس العلمية الحالية على الدور الملحق على عاتق الدعوة الإسلامية نستطيع أن نقول بأن الأعلام كان ولا يزال أداة هذا الدين ودعامته الرئيسية ولن نتجاوز الحقيقة إذا سمينا الأشياء بسمياتها الصحيحة حين نقول أن الدين الإسلامي هو دين دعوة ، والدعوة عمل إعلامي بكل ما تحمل هذه العبارة من معنى فهي أذهان أساتذة وخبراء الأعلام والاتصال بالجمهور ، ذلك أن الدعوة ما هي إلا عمل إعلامي يخاطب العقل ويستند إلى المنطق والبرهان . ويعمل على الكشف عن الحقيقة وإذا استعرضنا التعريف العلمي للأعلام نجد أنه كاد يكون متطابقاً مع مفهوم الدعوة بمعناها الأشمل . فالأعلام هو تزويد الناس بالأخبار الصحيحة والمعلومات السليمة والحقائق الثابتة بهدف تكوين رأى عام صائب في واقعة من الوقائع وحادثه من الحوادث أو مشكلة من المشكلات (١) .

وعلى هذا الأساس فإن الإعلان الذي كان يصدر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم سواء كان بتنفيذ الأوامر أو النواهي الألهية أو فيما يتعلق بأخبار الوحي ، فإن المسلمين كانوا يتلقونه بالقبول والالتزام والتنفيذ وذلك لأن مفهوم الإسلام عند المسلمين هو الاستسلام المطلق لله بصورة كاملة والالتقياد له بالطاعة والخلوص له من الشرك .

ومن هذا المفهوم تأتي طبيعة التكليف الذي وضعه الله سبحانه وتعالى في هذه الأمة الإسلامية المجيدة مبتدئاً بنبيها الكريم عليه الصلاة والسلام لتبليغ الرسالة الإسلامية الخاتمة ودعوة الناس إلى دين الله القويم . قال تعالى : ((يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس)) (٢) .

وعلى أساس من هذا المفهوم فلا بد أن من استخدام الأعلام بكل وسائله المتاحة -

(١) الدكتور محي الدين عبد الحليم . الأعلام الإسلامي وتطبيقاته العملية ص ١٤٠ -

١٤١ . مكتبة الخانجي بمصر .

(٢) سورة الأعراف . الآية (١٥٨) .

تلك الوسائل التي تتفق مع روح الإسلام ومبادئه السامية وأهدافه النبيلة - من أجل نشر الدعوة الإسلامية وتبليغها الى الناس جميعا .

ومما تجدر الإشارة اليه أن لكل زمان ومكان نوعا خاصا من الأعلام يليق به ويلائم ظروفه ويحقق أغراضه ويعيش مع الأفكار التي تعيش معه .

ومن هنا فإن الرسول صلى الله عليه وسلم قام بتحويل الوسائل الإعلامية الموجودة في ذلك الزمن وتعديل مسارها ، من وسائل إعلامية جاهلية لا تتورع عن استخدام الكذب والدس والتزوير الإعلامي الى وسائل إعلامية نافعة تقوم في أساسها على مبدأ الحق والصدق في القول والعمل . يقول محمد كمال الدين إمام : (لقد كان الإسلام في عصر الرسول صلى الله عليه وسلم يواجه تحديات من لون خاص ، فكان يستخدم الوسائل المتاحة والممكنة التي تمكنه من المقاومة وتقوده الى الانتصار . والرسول جميعا كانوا يستخدمون الوسائل المتاحة في عصرهم لتوصيل الرسالة وامتصاص غضبة المعارضين وتكثير عدد المؤمنين برسالاتهم) . (١)

ولقد حارب الإسلام منذ نشأته قاعدة التزوير والكذب والخداع واختلف معها كلها في الأصول وفي الفروع تلك القاعدة التي تقضي على أن الغاية تبرر الوسيلة للوصول الى الهدف المنشود . وقد تولّى الأعلام الجاهلي في عهد النبي صلى الله عليه وسلم محاربة المسلمين على أساس من هذا المفهوم ، وساعد يهود المدينة المنورة وما حولها على تعميق وتأصيل هذه المفاهيم كعادتهم في تبني الفتن والشور في كل زمان ومكان وفي حروبهم المعلنه وغير المعلنه ضد الإسلام والمسلمين منذ فجر الدعوة الإسلامية ولا يزالون يمارسون هذه السياسة الإعلامية الخبيثة باحتواء الفتن العالمية وتزوير الحقائق ومحاربة الخير والفضيلة وإشاعة الفوضى والربطلة وتوجيه اهتمامات الناس عن طريق أجهزة الأعلام العالمية

(١) محمد كمال الدين إمام : النظرية الإسلامية للأعلام ص ١٤٠ دار البحوث العلمية .

التي تقع غالبيتها العظمى تحت سيطرتهم بصورة مباشرة أو غير مباشرة - إلى البهيمة العمياء من أجل خدمة مصالحهم الشيطانية وتحقيق اغراضهم الدنيئة .

لهذه الأسباب جميعها عند الأسلام مثلاً برسوله الكريم صلى الله عليه وسلم إلى وضع القاعدة الإعلامية الأسلامية موضع التنفيذ ، تلك القاعدة التي تقوم على مبدأ الحق والصدق في القول والعمل والسرعة والشمول بالحركة والفاعلية ، فقام عليه الصلاة والسلام - بالإضافة إلى ما أوجده من وسائل إعلامية حديثة - بتهديب تلك الوسائل الإعلامية الموجودة وتوجيهها الوجهة الصحيحة فزاد من قدرتها وفعاليتها وشمولها من أجل تمكينها من أداء واجبها بصورة صحيحة وفعالة وأعطاها القدرة الكافية لتحقيق جميع الأهداف المطلوبة منها في ظل الأسلام وبادء النبيلة ، لأن الأسلام إنما جاء ليوجه الهوى لا ليمنع الهوى ، كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به " . (١)

هذا ويتحدث الدكتور محي الدين عبد الحلیم في هذا الموضوع فيقول : (إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أدرك بفطرتة وثاقب نظره أنه من الأهمية بمكان استئثار وسائل الأعلام المتاحة آنذاك بين عرب الجزيرة وعدم إسقاط هذه الوسائل من حسابه ، ولكنه قام بتعدد سبل مسارها وتطوير أهدافها لخدمة الأسلام بعد أن كانت تتوجه لبث الخلافات وإثارة القلاقل واشغال الفتن وتعميق الشرور المنتشرة بين عرب العاهلية) . (٢)

ولما كان من الطبيعي أن يكون الأعلام الأسلامي هو الترجمة الحقيقية لفكر هذه الأمة فإن كل فرد من أفراد هذا المجتمع المسلم يشعر بحمل رسالة الأسلام إلى غيره من الناس

(١) ذكره الأمام الحافظ عبد الرؤوف المناوي في كنوز الحقائق في حديث غير الخلائق ج ١ ص ١٧١ . دار الكتب العلمية وقال هو للد بلي في مسند الفردوس .

(٢) د . محي الدين عبد الحلیم . الأعلام الأسلامي وتطبيقاته العملية . ص ١٤٨ . مكتبة الخانجي بمصر .

في كل مكان من هذه الدنيا ، الأمر الذى ساعد في تنسيق وتنظيم العمل الإسلامي ونجاحه في تحقيق أهداف الدعوة الإسلامية .

فبالإضافة الى تنظيم استخدام الوسائل الإعلامية الموجودة في ذلك الزمن وزيادة فاعليتها ونشاطها وفوائدها وتأسيسها على الصدق والأمانة والأيجابية فأَنَّ الإسلام قد قام أيضا بإيجاد وسائل إعلامية جديدة خاصة به وحده .

ومن تلك الوسائل الإعلامية ، بناء المسجد الإسلامي ، تلك القاعدة المركزية لتجميع المسلمين ولقائهم المستمر ، حيث يلتقي فيه المسلمون خمس مرات في اليوم والليلة ، يتعلمون أمور دينهم ويتلقون فيه تعليمات رسولهم الكريم صلى الله عليه وسلم ويناقشون أوضاعهم ومشاكلهم الخاصة والعامة ، يضعون - بالتشاور والتعاون - الحلول الناجمة لها ، ويستعرضون كذلك مشاكل المسلمين الأخرى ، لذلك فأَنَّ من يتعرض للحديث عن الأعلام الإسلامي ووسائله الإعلامية - وما نحن بصدد الحديث عنه - فأَنَّهُ من الأنصاف للحقيقة التاريخية المجردة ولمن كرسوا أنفسهم لدراسة هذا الفن من العلوم الإنسانية أن يبقوا أمام هذا الصرح الشامخ الذى تجسدت فيه مختلف العلوم والدراسات المتنوعة في الشؤون الدينية والدنيوية وذلك كالدراستات الفقهية والأحكام الشرعية والقرآن والحديث واللغة وجميع العلوم الإنسانية النافعة هذا بالإضافة الى المهمة الأساسية التى أوجد المسجد من أجلها ألا وهى أداء الصلوات المكتوبة .

وعلى هذا الأساس فقد كان الإعلان الذى يعلنه رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يجد أى صعوبة في الانتشار والوصول الى جميع المسلمين بسهولة وسرعة ، وذلك بواسطة المسجد . وما أظن أن هذه العلوم التى تلقاها المسلمون عن طريق المسجد إلا إعلانا منظما عن الإسلام وعبادته الخيرة .

فما أحرانا أن نولي المسجد اهتماما أكبر وأن نبين أهمية رسالته الإعلامية التى يمارسها وذلك لأقامة المجتمع الإسلامي الأمثل ، وحتى يستعيد مكانته ومركزه الكبيرين في نشر الدعوة الإسلامية . فهو لا يزال مستعدا للقيام بنفس الدور الذى كان عليه في عهد

الرسول صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين رضي الله عنهم ، ذلك الدور العظيم الذي تمكن فيه من ممارسة نشاطه كوسيلة إعلامية تضافت أمامها أجهزة الأعلام الأخرى ، فهو المدرسة الكبرى للمسلمين ومنطلق الأعلام الإسلامي الذي يتميز فسي سلوكه وفكره ومنهجه والذي يقوم أساسه المتين على الأمانة في القول والعمل ، والصدق في التبليغ ، والدقة في التعبير ، والسرعة في الحركة ، والأيجابية في التنفيذ والنشاط والاستخدام الأرقى للوسائل المتقدمة ، وإذاعة الحقيقة في ربابها . وبهذه المعاني المظمية فإنه يحقق الظهور الإعلامي بكل أشكاله ومعانيه وذلك لأن غاية المسلمين الأساسية في هذه الدنيا هي إعلـاء كلمة الله سبحانه ، قال تعالى : ((كُتِبَ خَيْرَ أمة أخرجت للناس ، تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله)) . (١)

وقال جل شأنه أيضا : ((ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون)) . (٢)

وهذا تظهر الطبيعة الأصلية لهذه الأمة بأنها أمة عقيدة بنائها التوحيد الخالص الذي يحررها من الخضوع لغير الله ، وينقذها من أغلال الطاغوت ، ويظهرها من أدراج الجاهلية ، ينقلها من حضيف التمزق والتخلف والفساد إلى ذروة الوحدة والقوة والتقدم والاستقامة ، لأنها أمة نظام كامل شامل شرعه الله للناس كافة وصيده إيمان لا ينفذ ومصدره قوة لا تضعف ، منهاجه حق وعدل ، لا يهادن باطلا ، ولا يرضى بظلم ، وهذه هي دعوة الإسلام الإعلامية .

ومن هنا ونتيجة لهذا الإعلان ، يأتي دور الخبر الإعلامي في مساراته المختلفة وطرق تداوله بين الناس .

(١) سورة آل عمران . الآية (١١٤)

(٢) سورة آل عمران الآية (١١٠) .

مبحث ثالث :

الخبر :

الخبر هو حدث أو معلومات تنتقل بأحدى الوسائل الإعلامية من مكان لآخر .
ويعرف الدكتور عبد اللطيف حمزه الخبر فيقول : (الخبر هو كل ما يخرج عن محيط
الدائرة للحياة العادية المألوفة ، ويكون مدار حديث العامة والخاصة) . (١)

أما الأستاذ الحامصي فإنه يرى أن هناك أخبار عادية خاصة وأخبار صحفية عامة
والخبر في مضمونه بهم أكبر جمع من الناس ، يرون في مادته ، إما فائدة ذاتية أو توجيهها
هاما لأداة عمل أساسي ، أو تكليفا بواجب معين إلى آخر ما يراه الناس واجبا يتحتم على
الصحافة كأداة من أدوات الإعلام أن تؤيده نحوهم .

ومن هنا نستطيع أن نفرق بين الأخبار العادية التي تتداولها بعض الألسنة والأخبار
الصحفية التي تتداولها كل الألسنة) . (٢)

أما الدكتور إبراهيم إمام فيمتدح في تعريفه للخبر فيقول : (إن الخبر - البناء - عند
المحدثين ، تقرير عن حادث يستطيع القارئ أو جمهور وسائل الإعلام ، أن يفهمه . وهو
عندهم أيضا : كل جديد بهم أكبر عدد ممكن من الناس ويذهب رمزي وكامبل
إلى أن الخبر هو تقرير عن فكرة أو حادث وبهم جمهور الإعلام .)

هذا ويضيف الدكتور عبد العزيز شرف : بأن الخبر هو أحد أوجه النشاط الإنساني
فبقوله : (إن الأخبار هي بعض أوجه النشاط الإنساني التي تهتم الرأي العام
وتوجهه وترشده وتعلمه وتعلمه ، أو الخبر يكون ما يراد لحادث وقع حالا ويبحث على

-
- (١) الدكتور عبد اللطيف حمزه . المدخل في فن التحرير الصحفي ص ٥٥ - ٥٦ . ط (١٩٥٦) .
(٢) انظر كتاب المندوب الصحفي للدكتور جلال الدين الحامصي ص ٢٣ - ٢٤ . دار المعارف
بمصر .
(٣) الدكتور إبراهيم إمام . دراسات في الفن الصحفي ص ٩٥ . (الأنجلومصرية)

اهتمام جمهور المستقلين لوسائل الأعلام ، لمعلم هذا الجمهور بما يريد ، بشرط ألا يخالف قواعد الذوق وقوانين خدش السمعة ، وكلما أثار الخبر مزيداً من التعليقات زادت أهميته . ويضيف الدكتور شرف في تعريفه للخبر فيقول : والخبر هو كل ما تلوه ألسنة الناس) . (١)

أما الهلاغيون العرب ، وفي مقدمتهم صاحب (البرهان) الذي يذهب إلى أن الخبر هو (استجلاء* للبوطن ، وما يوصل إليه بالخبر فمثل الصلاة التي هي في اللغة الدعاء ، والصيام الذي هو الأساك ، والكفر الذي هو ستر الشيء* ، فلولا ما أثنانا من الخبر في شرح مراد الله - عز وجل - في الصلاة والصيام ومعنى الكفر لما عرفنا باطن ذلك ، ولا مراد الله عز وجل في الصلاة والصيام ولا كان ظاهر اللغة يدل عليه ، بل كنا نسمي كل من دعا مصلياً ، وكل من أمسك عن شيء صائماً ، وكل من ستر شيئاً كافراً . والخلاصة أن الخبر هو كل قول أفدت به المستمع ما لم يكن عنده) . (٢)

وفي الألفاظ القرآنية الكريمة ، تحديدات جامعة مانعة ، تيسر لنا سبيل الفهم ، وتضيء معارفنا الحديثة ، التي تعتبر الخبر - الهنا* - جزءاً من طبيعة الحياة التي تبعث على اهتمام الناس . قال تعالى : ((عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ عَنِ النَّبَأِ الْعَظِيمِ الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ)) (٣) والنبا* : هو الخبر ذو الشأن ، والقصة ذات الهال . والجمع أنبا* - والنبا قد يكون عن الماضي وقد يكون عن الآتي ، كما قال تعالى ((لكل نبأ مستقر)) (٤) ، أي لكل خبر أجل . هذا ويستعرض الدكتور عبدالعزيز شرف تحليلاً مدبراً لكلمة استخبر ، فيقول : (واستخبر أي السؤل عن الخبر ... ثم يقول وفي حديث الحديث : أنه عليه الصلاة والسلام بعث عينا له من خزاعة يتخير له خبر قريش أي يتعرف على أخبارهم ...) (٥)

-
- (١) د . عبدالعزيز شرف . فن التحرير الأعلامي ص ٩٩ الهيئة المصرية العامة للكتاب .
 (٢) أبو الحسن بن وهب . البرهان في وجوه البيان ص ١٣ طبعة بغداد تحقيق أحمد مطلوب
 (٣) سورة النبا : الآيات (١ - ٢ - ٣) .
 (٤) سورة الأنعام : الآية (٦٧) .
 (٥) د . عبدالعزيز شرف . المربع السابق ص ٩٦ .

والاستنباه عن الشيء : هو طلب معرفة كنهه ، ويقال : إاستنباه الشيء : أى سألته

عنه .

قال تعالى : ((ويستنبهونك أحق هو قل إإى وربى إانه لحق وما أنتم بمعجزين)) (١)

الخبر الأسلامي :

قال تعالى : ((وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر ... الآية)) (٢)

لقد أمتد الإسلام منهجا أساسيا للأعلام بني قواعده على أساس من الحق والصدق

والعدل والأخلاق في القول والعمل .

وفي مجال الخبر الإعلامي في الإسلام فقد جعل الإسلام الصدق هو الدعامه الأساسية

لمنهجه الإعلامي القويم . وقد بنى على هذه القاعدة المتينة جميع النشاطات والاعتبارات

التي تجعل من الحق والصدق المحور الذى تقوم عليه حركته الإعلامية وقضى بأن يكون

هذا المبدأ هو المحتوى الحقيقي لمادته الإعلامية المتميزة .

والصدق في الإسلام يعتبر من أعظم الفضائل الأخلاقية التي يتميز بها الخبر الأسلامي

عن غيره ، والالتزام بالصدق صفة بالغة الأهمية بالنسبة للأعلام الناجح ، لأن تحرر الحقائق

والالتزام بروايتها كما وقعت ها الضمانة الأساسية لتحقيق الغاية التي يعمل عليها الأعلام

الأسلامي ، وإن هذا من شأنه أن يحقق الفوز برضى الله سبحانه وثقة الناس الذين هم

غرض المادة الإعلامية أو هدف الدعوة الى الله سبحانه .

والجدير بالذكر أنه ليس أولى على أهمية الصدق وتحرر الحقيقة في الأعلام من تاريخ

الوقائع الأسلامية نفسها ، فلقد أثبتت حوليات التاريخ الأسلامي أن الأكاذيب والأساطير

التي واجهت دعوة الإسلام قد سقطت كلها أمام الاستقامة والصدق والعدل والفضائل التي

كان يتميز بها رجال الأعلام الأسلامي الداعين الى الله تعالى على مر العصور .

(١) سورة يونس . الآية (٥٣) .

(٢) سورة الكهف . الآية (٢٩) .

قال تعالى في تعليمه لعباده المؤمنين : ((وقل رب أدخليني مدخل صدق وأخرجني مخرج صدق واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا)) (١) .

وكما علم الله سبحانه وتعالى في كتابه العزيز عباده المؤمنين بالدعاة اليه بالصدق فقد حذرهم أيضا من مغبة الاستماع الى الكذب وبين لهم سبحانه بوجوب التحقق فسي الروايات والأخبار . فقال سبحانه : ((يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأٍ فتبينوا الآية)) (٢) .

وفي نظرية الأعلام المستقاة من الدعوة الإسلامية ، نجد أن الله سبحانه وتعالى ، قد أمر الناس بالأخذ بالحق والصدق ، ووصف نفسه بهما ، فقال تعالى : ((ومن أصدق من الله قيلا)) (٣) . ثم قال جل شأنه : ((ومن أصدق من الله حديثا)) (٤) . وقال جل شأنه : ((فذلکم الله ربکم الحق)) (٥) . ثم قال جل وعلا ، مشنبا على الصادقين المصدقين : ((والذي جاء بالصدق وصدق به ، أولئك هم المتقون)) (٦) . ولأنه لا بد للحق أن يظهر ولا بد للباطل أن ينتهي ، وفي ذلك يقول الله عز وجل : ((وقل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا)) (٧) .

وكفى بهذا فضيلة للحق والصدق ولعن عرف بهما ونسب اليهما . فإن الصادق المحقق عظيم المنزلة عند الله تعالى عز وجل ، وعند خلقه ، والكاذب المبطل ساقط المنزلة عنسب الله تعالى عز وجل وعند خلقه . فالصادق حرى يلزوم شرف المنزلتين وطلب أعلى

-
- (١) سورة الأسراء : الآية (٨٠) .
 - (٢) سورة الحجرات : الآية (٦) .
 - (٣) سورة النساء : الآية (١٢٢) .
 - (٤) سورة النساء : الآية (٨٢) .
 - (٥) سورة يونس : الآية (٣٢) .
 - (٦) سورة الزمر : الآية (٣٣) .
 - (٧) سورة الأسراء : الآية (٨١) .

الدرجتين ، ان شاء الله .

والصدق لا يتجزأ كما أن الكذب لا يتجزأ ، وإن اتخذ ألوانا زاهية أو غير زاهية .
وهناك صدق إعلامي وكذب دعائي ، والكذب الدعائي قد يصل الى الناس بالحذف فسي
الخبر وقد يكون أخطر ما فيه حينما تنعدم الثقة بين الناس وبين وسيلتهم الإعلامية من
جرا . هذا الاتجاه ولذلك يحرص الأسلام على أن تكون وسيلته الإعلامية صادقة الخبر ،
صدقة المقال ، صحيحة النبأ ، حتى يصبح من الوسائل الموثوقة والتي تتجافى عن قول
الزور وتبين للناس جميعا قيمة الصدق الإعلامي .

هذا ولقد كان الأنبياء والمرسلون الكرام أحسن الناس خلقا ، وأصدقهم قولا ، فالصدق
هو من أعظم الفضائل الأخلاقية للأنسان ولمؤسساته الإعلامية . فقد جعله الله خلقا
لحملة رسالاته السماوية الذين يبلغون دعوة الله سبحانه للناس . فكان النبي صلى الله
عليه وآله وسلم الصادق الوعد الأمين منذ نشأته الى أن لحق بربه عز وجل ، وكذلك كان
الأنبياء والمرسلون . قال تعالى : ((واذكري الكتاب إبراهيم إنه كان صديقا نبيا)) (١)
وقال تعالى : ((واذكري الكتاب إسماعيل إنه كان صادقا الوعد وكان رسولا نبيا)) (٢) .
وقال تعالى : ((واذكري الكتاب إدريس إنه كان صديقا نبيا ورفعناه مكانا عليا)) (٣) .
هذا وقد عني الرسول الكريم محمد صلى الله عليه وسلم عناية كبيرة جدا في بناء رجل
الأعلام المسلم ، حين أدرك أنه مكلف من ربه سبحانه وتعالى بأعلام الناس برسالة الأسلام
وانذارهم عاقبة أمرهم ، فقد بدأ صلى الله عليه وسلم بإعداد رجال صدقوا ما عاهدوا الله
عليه ، رجال من الأصدقاء الخلق أمثال الصديق أبي بكر وعلى بن أبي طالب وغيرهم ،
ونساء مخلصات أمثال السيدة خديجة وعائشة رضي الله عنهما من اللاتي كان لهن قدم
راسخة في نشر هذا الدين الحنيف لعلمه صلى الله عليه وآله وسلم أن الأعلام له خطورته
وله رجاله ، ولأنه يعتمد على الأمانة في القول والعمل حتى يثمر الأعلام ثمرته المرجوة منه .
كذلك فقد عني صلى الله عليه وسلم باختيار الرسل الذين يبلغون دعوة الله سبحانه

(١) سورة مريم : الآية (٤١) .

(٢) سورة مريم : الآية (٥٤) .

(٣) سورة مريم : الآية (٥٦ - ٥٧) .

وتعالى فكان يتخيرهم ويعلمهم ويزكهم ، ويقف على أحوالهم وها نحن نرى اليوم العديد من الدراسات والنظريات التي تهتم بدراسة رجل الأعلام أو ما يعرف باسم القاسم بالاتصال .

فالصدق في نشر الخبر ، وفي كتابة المقال ، وفي الحديث الذي يذاع ، سمة هامة من سمات رجل الأعلام المسلم ، لأن الصدق هو جوهر الدعوة الإسلامية ، وهولها بها ، وهو صام الأمان فيها . ولذلك كان من أعظم صفات الرسول صلى الله عليه وسلم أنه الصادق الأمين . قال عليه الصلاة والسلام في الحديث الشريف " إن الصدق يهدي إلى البر وإن البر يهدي إلى الجنة ، وإن الرجل لصدق حتى يكتب عند الله صديقاً ، وإن الكذب يهدي إلى الفجور وإن الفجور يهدي إلى النار ، وإن الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذاباً " (١) .

وكما وردت أحاديث كثيرة تحت على الصدق ، فإن القرآن الكريم قد اعتبر الصدق من سمات المؤمنين المتقين .

قال تعالى : ((يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين)) (٢) .

وقال تعالى في وصفه لقول المؤمنين : ((هذا ما وعدنا الله ورسوله ، وصدق الله ورسوله)) (٣) .

وقال جل شأنه كذلك : ((هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون)) (٤) . ثم قال جل ولا يصف المؤمنون بمعهد هم إذا عاهدوا والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس بأنهم هم الصادقون وأنهم هم المتقون ، قاله عز وجل : ((ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملئكة والكتب والنبيين وأتى المال على حبه ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب وأقام الصلاة وآتى الزكاة والمؤمنون بمعهد هم إذا عاهدوا والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون)) (٥) .

(١) أخرجه البخاري في كتاب الأدب ، باب الصدق ج ٨ ص ٩٥ . دار الفكر .

(٢) سورة التوبة : الآية (١١٩) .

(٣) سورة الأحزاب : الآية (٢٢) .

(٤) سورة البقرة : الآية (١٧٧) .

ولا شك أن معظم وسائل الإعلام في عصرنا الحاضر تحاول أن تخرج عن نطاق واجبها الأصلي وعن مهمتها الأساسية التي وجدت من أجلها وهو الصدق والأمانة والبعد عن الهوى . والأمانة في نقل الأخبار وروايتها على حقيقتها إلى خلقها وتحريفها ويحذر الدكتور شرف من ذلك بقوله (ينبغي على وسائل الإعلام أن تروى الأخبار ولمس عليها أن تصنعها . وحذار من رواية نصف الحقيقة ، دون الحقيقة كلها ، وإلاّ حق على المندوب قول القائل (وما آفة الأخبار إلاّ روايتها) فالخبر لا بد وأن تكون روايته صادقة كاملة دقيقة سليمة بعيدة عن الهوى لما وقع فعلا من أحداث . والخبر سواء كان بسيطا مجرداً أم طويلاً مركباً هو ما اجتمعت له عناصر الصدق والواقعية ، قبل أن تجتمع له مقوماته . وتحتم علينا قواعد الإعلام الإسلامي مراعاة الصدق والدقة والموضوعية والأمانة في عرض وجهات النظر المتباينة ، وهي القواعد المستمدة من القرآن الكريم . قال تعالى : ((يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوماً بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين)) (٢) (١)

ونخلص ما تقدم إلى أن الإعلام الإسلامي كما يتميز بالصدق ، فإن شعاره الصراحة وخطته قول الحق وشرف المقصد ، لا يضل ولا يضلّل ، بل يهدي للتي هي أقوم ، وهو لا يعلن إلاّ ما يظن ويرفض أساليب الغش والخداع ونزعات الهوى .

(١) الدكتور عبد العزيز شرف . المرجع السابق ص ١٤٦ .

(٢) سورة الحجرات : الآية (٦) .

مبحث رابع :

تداول الخبر وانتشاره :

على أثر الإعلان الذي أعلنه رسول الله صلى الله عليه وسلم بأنه عازم على الذهاب الى مكة المكرمة لأداء العمرة فإن خبر هذا الإعلان أخذ ينتشر بسرعة كبيرة في المدينة المنورة وخارجها ، وأخذ الناس يتحدثون فيما بينهم بأخبار هذه الرحلة المباركة التي وقعت موقع الحب والقبول في نفوس الصحابة الكرام ، خاصة المهاجرين الذين أخرجتهم قريش بغيا وظلما وعدوانا من بلادهم الطيبة وفرقت بينهم وبين أهلهم وعشيرتهم ومنعتهم طوال مدة دامت أكثر من خمس سنوات من بموتهم ودارهم وأصرت بعنادها وفطرتها على المعضي بهذا التعمت اللئيم بقوة السلاح .

وقد بدأ الصحابة الكرام بتجهيز أنفسهم والاستعداد لمرافقة رسولهم وقائدهم الكريم لأرض مكان واحد سيقع حبيبة الى نفوسهم وإلى نفس كل مسلم في كل مكان من هذه الدنيا . وسأ تجد الإشارة إليه أن طرق نقل الأخبار الى جميع المناطق التي يعيش فيها المسلمون داخل المدينة المنورة وخارجها كانت تعتمد أساسا على الطريقة البدائية وهي طريقة المشافهة من شخص لآخر وذلك من أجل تبليغ الإعلان الذي أعلنه النبي صلى الله عليه وسلم في المدينة المنورة من أنه عازم على الذهاب الى مكة المكرمة لأداء مناسك العمرة . فكانت هذه الطريقة تتم بواسطة التداول والاتصال بين الناس حتى تشمل أكبر مساحة ممكنة في أكبر عدد ممكن من الناس .

يقول الدكتور محمود آدم : (لقد غلب على نشر الأخبار وتداولها في وسط وشمال الجزيرة العربية رواية المشافهة ، كما لم تكن عناية العصر الإسلامي بالمادة الاخبارية وأهميتها بأقل منها في العصور السابقة ، حيث بدأ الإسلام بتحصين الروايات وتنقيتها من المبالغة والأسطورة والمواد المختلفة . كما عني الإسلام بتدوينها أيضا والحفاظ عليها) . (١)

هذا ، وكما تميز الخبر الإسلامي بصدقه فإنه بالمقارنة بتلك الفترة أيقظ تميز بسرعة

انتشاره ، ويرجع السبب في ذلك الى أن الصحابة الكرام كانوا دوماً على اتصال بنبيهم
الكريم صل الله عليه وسلم من جهة ، وبين بعضهم البعض من جهة أخرى ، وذلك لمعرفة
أخبار الوحي وما جد من أمور دينهم . لذا فأن اهتمام المسلمين بالأخبار يأتي من
اهتمامهم بمعتقداتهم وأمر دينهم الذي ترتبط به حياتهم وتتفاعل معه نفوسهم . تقول
الدكتور إحسان عسكر : (يستمد الرأي العام قوته وصلابته من النظام الأخباري السائد
فكلما كان هذا البيان راسخاً ، كان ارتباط الرأي العام بالأحداث وتفاعله معها أقوى .
ثم تضيف قولها : وننتهي مما تقدم الى القول بأن الأعلام الصحيح فن اخباري يستهدف عرض
الأنباء والحقائق للتأثير الصحيح في الجماهير وتكوين رأى هام ورشيد ، وهناك نتائج
خطيرة من ترك الجماهير في حالة ضياع نتيجة لفقدان الحقيقة وانحرافها عن مدارجها
السليم . ثم تستطرد قائلة : ولكي يؤدى الخبر رسالته في تكوين الرأي العام لا بد وأن
تلتزم السياسة الاخبارية بالقواعد الأخلاقية في رواية الخبر وصياغته . (١)
ولقد وضع الإسلام الأسس الثابتة لسياسة الاخبارية منذ البداية وعمق مفاهيمها
في نفوس اتباعه وجعل منها محورا لحركته ونشاطه الاعلامي .

والحديث بالذکر أن القرآن الكريم قد اعتمد وسيلة القصص في سبيل نشر الدعوة والاتصال
بالناس . ويعتبر الاتصال الشخصي من أهم الوسائل التي استخدمها الرسول صلى الله
عليه وسلم في تداول الخبر وانتشاره . يقول الدكتور عبد اللطيف حمزة : (وسهما يكن
من شيء ، فإن أكثر ما اعتمد الرسول صلى الله عليه وسلم على وسيلة الاتصال الشخصي ، كان
في المراحل الاولى للدعوة .) (٢) ثم يضيف الدكتور حمزة قائلاً حول هذا الموضوع أيضاً :
(إن وسيلة الاتصال الشخصي كانت أولى الوسائل التي مارسها الرسول صلى الله عليه
وسلم في نشر الدعوة . ويعتبر الاتصال الشخصي أخطر الوسائل الاعلامية على الإطلاق
ان بالإضافة الى نشر الدين فقد حافظ الرسول بها على وحدة أصحابه .) (٣)

(١) دكتورة إحسان عسكر . الخبر ومصادره ص ١٥٤ . عالم الكتب القاهرة .
(٢) عبد اللطيف حمزة . من كتابه الأعلام في صدر الإسلام ص ٧٢ . دار الفكر العربي .
(٣) عبد اللطيف حمزة ، المرجع السابق ص ٧٦ .

وهكذا فإن النبي صلى الله عليه وسلم قد مارس الأعلام بصورة الصحيحة والفعالة للوصول الى الهدف المنشود ولم يكن فعلا أنفع من وسيلة الاتصال الشخصي في ذلك الزمن لنقل الأخبار وتداولها فمن مركز الدعوة الاسلامية في المدينة المنورة الى بقية المناطق الأخرى . يقول الدكتور إبراهيم إمام : (إن الذي لا شك فيه أن الاتصال الشخصي في ذاته هو أساس لجميع العمليات الإعلامية من حيث هي ، ومن بينها العملية الإعلامية التي تعرف (بالعلاقات العامة) والعملية التي تعرف بالأعلان ، ولكن الاتصال الشخصي أكثر ما يوحى بالحقيقة في ميدانين خطيرين هما ميدان الدعوة وميدان الدعاية . والقدرة على ممارسة الاتصال الشخصي الذي من هذا النوع شرط في نجاح العمليات الإعلامية ، ذلك أنه يلعب دورا خطيرا في الأعلام على جميع المستويات ، ومن الجدير بالذكر أن اتجاهات البحوث الحديثة تؤكد أهمية الاتصال الشخصي وتنسب اليه مقدرة عظيمة على التأثير فسي الجماهير أكثر بكثير من بقية وسائل الأعلام العامة الأخرى) . (١)

ويضيف الدكتور إمام قائلا : (والمهم في هذا الاتصال هو مدى ثقة الجمهور في مصدر الأعلام ، لأن هذه الثقة هي الأساس الذي يعني عليه الجمهور تصديقه أو عدم تصديقه للرسالة الإعلامية

ثم يميز الدكتور إمام رأييه هذا بنقل بعض أراء الباحثين في هذا الموضوع فيقول : ويعمل الباحثون من أمثال : لازر سفيك وكارتز وغيرهما سرتفوق الاتصال الشخصي في التأثير ، بأنه اذا كان من السهل أن ينصرف الناس عن المواد الإعلامية التي لا تتفق مع آرائهم وميولهم فإنه ليس من السهل أن يتجنبوا الحديث مع زميل أو قريب أو صديق لهم وخاصة اذا كان موضوع الحديث غير معروف لديهم سلفا ، كما يتيح النقاش المباشر مرونة أكبر في عرض وجهات النظر والتأثير في الناس) . (٢)

ومن هنا فإنه يمكننا القول بأن الأساليب التي اتبعها الإسلام في نقل الأخبار وتداولها ونشرها بين الناس في تلك الفترة كانت تعتمد على وسيلة الاتصال الشخصي والشفهي المباشر

(١) الدكتور إبراهيم إمام : الأعلام والاتصال بالجماهير ص ١٠ مكتبة الأنجلو المصرية .

(٢) الدكتور إبراهيم إمام : المصدر السابق ص ١٢ .

والجدير بالذكر أن هذه الوسيلة الإعلامية الهامة يعتبرها رجال الإعلام بأنها تمثل المرحلة الأولى من مراحل تطور وسائل الاتصال الإعلامية .

وتتحدث الدكتور جيهان رشتي عن هذا الموضوع موضحة رأيها بنقل عبارة ماكلوهان الذي يرجع مضمون عملية الاتصال الأنساني الى أربع مراحل تعكس في تصوره التطور الأنساني لعمليات الاتصال . وهذه المراحل هي كما يراها بقوله : أولا المرحلة الشفوية ما قبل القلم ، أي المرحلة القبلية ، ثم مرحلة الكتابة والخط ، ثم عصر الطباعة فوسائل الإعلام الألكترونية .

ثم يقول : بأن طبيعة وسائل الإعلام المستخدمة في كل مرحلة تساعد على تشكيل المجتمع . (١)

(١) انظر كتاب الدكتور جيهان رشتي : الأسس العلمية لنظريات الإعلام ص ٣٤٦ . دار الفكر .

الفصل الثاني

دعوة العرب للعمرة

مبحث أول :

بدأت الاستعدادات تحرى في المدينة المنورة وضواحيها على قدم وساق ، وأخذ الصحابة الكرام الذين سيراقدون نبههم صلوات الله وسلامه عليه بالاستعداد والتزود لهذه الرحلة المباركة .

وقد أخذت أنباء هذه الرحلة المباركة تنتشر بين الناس في كافة أنحاء المدينة المنورة وضواحيها . ولم تضى سوى أيام قليلة حتى أتم الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه الكرام من المهاجرين والأنصار - الذين أعلنوا عن رغبتهم في مرافقة الرسول صلى الله عليه وسلم لهذه الرحلة الميمونة - كامل تجهيزاتهم واستعداداتهم لتلك الرحلة المباركة .

هذا وقد ذكرت كتب السيرة بأن الرسول صلى الله عليه وسلم قد استنفر العرب ومن حول المدينة من البوادي ليخرجوا معه ، فقال ابن اسحاق : (إن الرسول صلى الله عليه وسلم قد استنفر العرب ومن حوله من البوادي من الأعراب ليخرجوا معه ، وهو يخشى من قريش الذي صنعوا أن يعرضوا له بحرب ويصدوه عن البيت الحرام ، فأبطلوا عليه كثير من الأعراب . وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم بمن معه من المهاجرين والأنصار ، ومن لحق به من العرب ، وساق معه الهدى وأحرم بالعمرة ليأمن الناس من حربه وليعلم الناس أنه إنما خرج زائرا لهذا البيت ومعظما له) . (١)

الصفوة المختارة تستجيب :

لقد جاء وحى الله تبارك وتعالى يهتف بالمؤمنين ليطيعوا الله ورسوله ، ولا يتولوا عنه وهم يسمعون آياته وكلماته . وجاء التحذير من التولي والأعراض مقتربا بذكر شر

(١) سيرة ابن هشام : مجلد (٣) ص ٣٥٥ - ٣٥٦ . دار الفكر .

الدواب التي فقدت السمع والنطق والعقل ، وتلك صورة ينفر منها الإنسان المؤمن وبأبى أن ينحدر إليها ولذلك كان اقتران الدعوة للطاعة والتحذير من التولي بهذا المثل الحي في ذروة العظمة والتذكير والتأثير . وفي ذلك يقول سبحانه وتعالى : ((يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله ورسوله ولا تولوا عنه وانتم تسمعون ، ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون . إن شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون)) . (١)

وقال تعالى : ((يا أيها الذين آمنوا استجبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم ، واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه وأنه اليه تحشرون)) . (٢)

أما تلبية المؤمن لدعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأُن ذلك يعني أن هذا المؤمن قد استجاب للنداء وتلازم مع دعوة الحق التي ملأت قلبه وظهرت وجدانه وارتفعت به إلى نور الأيمان الذي أكرمه الله تبارك وتعالى به ، فاستقام بذلك خلقه وصح اتجاهه ، وخلص للخير عمله . وتلك هي عناصر الأيمان .

ولقد عني الإسلام منذ البداية عناية كبيرة في تربية المسلم تربية متكاملة تحرر عقله وتهذب نفسه وتطهر وجدانه وتوازن بين ضرورات جسمه وأشواق روحه وتنمي فيه بواعث الأيمان وأنه لا بد لدعوة الحق من مثل هذه النماذج الرفيعة المستوى التي تتحرر من أغلال الأهواء وتسمو عن نوازغ النفس وتعلو فوق قيود التراب لتنتقل بحزم وأخلاص في آفاق رحبة وضيئة تزرع في جنباتها غرس الأيمان الخالصر الذي سرعان ما يخرج نباته بإذن ربه طيبا داني القطوف .

ومن الطبيعي أن المحن والشدائد وعنف المجاهبة وحدة الصراع هي المناخ الصالح لأعداد هذه النماذج الفريدة وتربيتها وتكوينها وجعلها القاعدة الصلبة الثابتة التي يعول عليها ويستند إليها في المعارك والأزمات لأنها الصفة المختارة الخالصة التي

(١) سورة الأنفال : الآيات : من (٢٠ - ٢٢) .

(٢) سورة الأنفال : الآية : (٢٤) .

لا يزيد لها لهب المعارك إلا توجعا وضاها . وقد أُنح لدعوة الأسلام في فجر الرسالة أعداد فقة من هؤلاء الأعدان الذين استجابوا لله وللرسول فضربوا أروع الأمثلة فسي البطولة والفداء ، وفيهم يقول الله سبحانه وتعالى : ((من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا)) (١)

إن هؤلاء الأبرار الذين نهلوا من معين النبوة وتربوا في مدرسة الرسول صلى الله عليه وسلم برأينا كانوا الترجمة الحية المتحركة للعبادى والمثل التي جاءت بها العقيدة الإسلامية ، لأنهم آمنوا بها وفهموها ووهوا أبعادها الكبرى في الحياة ، فلم يبقوا عند حدود معرفتها وتعلمها والتحقق في معانيها ، بل خطوا بها أشواطاً بعيدة فسي مضار التبليغ والدعوة الى الله عز وجل والجهاد في سبيله لرفع راية الحق وإزالة الظلم والطغيان ، فكانوا بذلك مشاعل الهداية التي أضأت للبشرية جميعا سبيل الخير والرشاد . فقد حُملوا الأمانة فحملوها على أحسن وجه ، واستجابوا لدعوة نبيهم صلى الله عليه وسلم طامعين ملبيين هذه الدعوة الكريمة ، مؤثرين رضى الله سبحانه ورسوله صلى الله عليه وسلم . لذلك فقد كان هؤلاء الصحابة الذين خرجوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم لهذه العمرة ، هم الصفوة المختارة فعلا .

(١) سورة الأحزاب : الآية (٢٣) .

مبحث ثان :

دور المنافقين واليهود في تشهيط الهم :

النفاق هو الداء العضال الباطن الذي لا يخلو منه عصر من العصور . وقد رافق هذه الدعوة الإسلامية منذ بدايتها ولا زال يعيش في جسم هذه الأمة الكريمة . والنفاق كما ذكره ابن القيم في كتابه " صفات المنافقين " نوعان : (أكبر ، وأصغر . فالأكبر : يوجب الخلود في النار في دركها الأسفل كما جاء في الآية الكريمة ((إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار)) (١) . وتعريف هذا النوع من أنواع النفاق : هو أن يظهر الإنسان أمام الناس إيمانه بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، وهو في الباطن منسلخ من ذلك كله . فهو لا يؤمن بأن الله سبحانه يتكلم بكلام أنزله على بشر جعله رسولاً للناس كافة ، يهد بهم بأن نه وينذرهم بأسه ويخوفهم عقابه . (٢)

وقد هتك الله سبحانه أستار المنافقين ، وكشف أسرارهم في القرآن الكريم ، وبين لعباده حقيقة أنهم ليكونوا منها ومن أهلها على حذر وذكر طوائف الناس الثلاثة في القرآن الكريم وهم : (١) المؤمنون . (٢) الكفار . (٣) المنافقون .

وقد ذكر الأمام ابن القيم : (أن الله سبحانه وتعالى قد بين في سورة البقرة فصي المؤمنين أربع آيات ، وفي الكفار آيتين ، وفي المنافقين ثلاث عشرة آية ، وذلك لكثرتهم وصوصم الأبتلاء بهم وشدة فتنتهم على الإسلام وأهله ، فأن بلية الإسلام بهم شديدة جداً لأنهم منسجون اليه ، وإلى نصرته ومولاته ، وهم بالحقيقة أعداؤه الألداء الحقيقيون ، فكم من معقل للإسلام هدموه ، وكم من حصن له قد قلعوه وخربوه ، وكم من علم قد طمسوه (٣) (٤) فلا يزال الإسلام منهم في بلية ومحنة ، ويزعمون بذلك أنهم مصلحون - ((ألا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون)) (٤) . وقد أنزل الله سبحانه وتعالى فيهم قولاً : ((وكذ لك جعلنا لكل نبي عدواً شياطين الأنس والجن يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غروراً ولو شاء ربك ما فعلوه فذرهم وما يفترون)) (٥)

(١) سورة النساء : الآية (١٤٥) .

(٢) الأنيام : ابن القيم الجوزية : صفات المنافقين : ص ١٥ . المكتب الإسلامي .

وسا تجد الإشارة إليه أن تلك الفترة التي كان المسلمون يستعدون فيها لمرافقة نبيهم الكريم للذهاب إلى مكة المكرمة لإداء العمرة ، قد لعب المنافقون فيها دورا كبيرا في تشييط الهمم وتوهين عزائم المؤمنين لعدم مرافقة نبيهم الكريم صلوات الله وسلامه عليه في تلك الرحلة المحفوفة بالأخطار وأخذوا ييثنون الشائعات المغرضة ، ذلك لأنه رسخ في نفوسهم المريضة أن مشركي مكة سيحولون دون دخول النبي صلى الله عليه وآله وسلم ومن معه من الصحابة الكرام مكة بالقوة المسلحة .

ومعنى ذلك أن المسلمين ونبيهم الكريم سيضطرون لخوض حرب ضروس وهم بعيدون عن بلادهم . فهي إذن رحلة محفوفة بالمخاطر الجسام ، لذلك فإن الكثيرين من ضعاف الإيمان من المنتسبين إلى الإسلام ، في الحاضرة والبادية ، قد تأثروا بهذه الدعايات الكاذبة ، والشائعات المغرضة ، وقد تناقلوا عن هذه الرحلة الكريمة ، وتخلفوا عن ركب الإيمان متعللين بشتى الأعذار الكاذبة ، من ذلك ، أن انشغالهم بأموالهم وأهلهم لا يسمح لهم بمصاحبة النبي صلى الله عليه وآله وسلم في هذه الرحلة المباركة . بينما الباعث الحقيقي لهذه الأنهازية هو ما رسخ في نفوسهم الضعيفة الإيمان من أن المعركة سوف تكون لصالح قريش وأن المؤمنين قد لا يعودون إلى أهلهم أبدا وظنوا ظن السوء وكانوا كما وصفهم القرآن الكريم قوما بورا . قال تعالى : ((بل ظننتم أن لن ينقلب الرسول والمؤمنون إلى أهلهم أبدا وزيّن ذلك في قلوبكم وظننتم ظن السوء وكتمت قوما بورا)) . (١)

هكذا ظنوا ، بل هكذا كانوا يتهايسون فيما بينهم ، قائلين : أئذ هب إلى قوم قد فزوه في عقر داره بالمدينة وقتلوا أصحابه . (٢) ولكنهم تظاهروا بأنهم مشغولون بأهلهم وأموالهم ، واعتدروا بذلك وقد خصهم القرآن الكريم فيما بعد وكشف لنبيه الكريم وللناس جميعا حقيقة أمرهم ، فقال تعالى : ((سيقول لك المخلفون من الأعراب شغلنا أموالنا

(١) سورة الفتح : الآية (١٢) .

(٢) السيرة الحلمية : ج ٢ ص ١٣٢ - المكتبة التجارية الكبرى .

وأهلونا فاستغفر لنا ، يقولون بالسنتهم ما ليس في قلوبهم ، قل فمن يملك لكم من الله

شيئا إن أراد بكم ضرا ، أو أراد بكم نفعا ، هل كان الله بما تعملون خبيرا)) . (١)

وهكذا فقد لعب المنافقون دورا وإعلاميا هاما في هذه الفترة مستغلين فرصهم للتصيد

في الماء العكر ، وذلك في تشبيط هم المؤمنين وتوهينها من ناحية والاتصال بقريش

لأبلاغهم أخبار المسلمين من ناحية أخرى . وهذا شأن المنافقين في كل زمان ومكان .

قال تعالى : ((وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول رأيت

المنافقين يصدون عنك صدودا)) . (٢)

غير أن هذه الأنهازية التي قعدت بالمنافقين وجعلتهم يثبطون عزائم ضعاف النفوس

من المسلمين ليمتنعوا عن مرافقة النبي الكريم في هذه الرحلة المباركة هذه

الأنهازية لم يكن لها أى أثر على عزائم الصفوة المؤمنة من أصحاب النبي صلى الله

عليه وسلم الذين ما كادوا يسمعون بخبر الاستنفار الذى وجهه النبي الكريم للانضمام

إلى ركبهم المبارك للم توجه إلى مكة المكرمة لأداء العمرة ، حتى تسابقوا فرحين مستبشرين

ملبين نداءهم صلوات الله وسلامه عليه ، مستهينين بكل ما يهوله المنافقون من كذب

وإدعاء باطل ، بأن الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه الكرام سيواجهون أخطارا

جساما قد تحدث من جانب قريش في هذه الرحلة التي تحمل كل معاني التحدى لقريش

وكبيرائها الوثني ، وهم يبعدون عن المدينة المنورة .

وذلك لأن هذه الصفوة المؤمنة من أصحاب النبي صلوات الله وسلامه عليه ، كانت

واثقة كل الثقة من أن سعادتها في الدنيا وفلاحها في الآخرة يكمن في طاعة ربها جل

وعلا وطاعة نبيها الكريم الذى لا يدعوها إلا إلى خير ، ولا ينهأها إلا عن شر . قال

تعالى : ((من يطع الرسول فقد أطاع الله ومن تولى فما أرسلناك عليهم حفيظا)) . (٣)

وقال جل شأنه : ((وما أرسلنا من رسول إلا ليطاع بإذن الله)) . (٤)

(١) سورة الفتح : الآية (١١) .

(٢) سورة النساء : الآية (٦١) .

(٣) سورة النساء : الآية (٨٠) .

(٤) سورة النساء : الآية (٦٤) .

هذا ولقد عمل الأعلام اليهودى أيضا كمعادته في زرع الفتنة بين الناس وبث الأحقاد والأفساد في الأرض على نقل أخبار المسلمين وتحركاتهم الى أعدائهم من القبائل المشركة ، في مكة المكرمة وغيرها من القبائل الأخرى في نجد والحجاز ، واعطائهم صورة كاذبة عن وضع المسلمين الحلي في المدينة المنورة ولم ينفكوا عن العمل بكل الوسائل الممكنة لتحريض هذه القبائل المشركة للهجوم على المسلمين ، الذين كانوا يجاورونهم ويعايشونهم في المدينة المنورة ، للقضاء عليهم .

كذلك فقد عمل هذا الأعلام اليهودى المجرم في المدينة المنورة وغيرها على إيقاع الفتنة والدسائس بين الناس من هم ليسوا على دينهم ، وإضرام نار العداوة بينهم وذلك لأضعافهم وإحكام السيطرة عليهم وحتى تبقى زعامة المدينة المنورة بيد يهود .

والجدير بالذكر أن اليهود هم عدة قبائل سكنوا المدينة المنورة منذ عهد بعيدة وقد استغلوا أهلها حقبة من الزمن لمصالحهم الدينية أشبع استغلال ، حتى جاء الإسلام فنشر العدل بين الناس وحرر الناس من عبادة العباد الى عبادة رب العباد ومن ضيق الدنيا الى سعتها ومن جور الأديان الى عدل الإسلام ، وأهم هذه القبائل اليهودية هم بنو النضير وهو قريظة وهو قنفذ . وكما هو معروف عن اليهود في حاضرهم وماضيهم ومستقبلهم أنهم لا يهتأ لهم عيش ولا يهدأ لهم بال إلا على إيقاع الفتنة بين الناس وإشعال نار الحرب بين غيرهم من الأمم ولا تسترخي أعصابهم إلا في أجواء الفتنة والأفساد في الأرض وسفك الدماء . لذلك فقد عمدوا الى إشعال نار الفتنة والحروب المستمرة بين قبيلتي الأوس والخزرج اللتان جائتا الى المدينة المنورة وسكنتا فيها عقب سيل العرم . وكانت هاتين القبيلتين تجاوران وتعايشان اليهود في المدينة المنورة ، وقد اتخذ يهود بني النضير من قبيلة الخزرج حليفا لهم ، واتخذ يهود بنو قريظة من قبيلة الأوس حليفا لهم وذلك حتى يسهل على يهود إيقاع الخلاف بين هاتين القبيلتين وإضعافهما وانهاكهما في الحروب المستمرة . وكذلك من أجل إبقاء السيطرة عليهما بصورة دائمة ومستمرة ، ولأبقاء زعامة المدينة المنورة بأيدي يهود .

وعند ما جاء الإسلام الى المدينة المنورة فقد أحل المحبة والأخاء والمودة بين الناس بدلا من البغضاء والأحقاد وسفك الدماء . فقد آخى النبي صلى الله عليه وسلم بين هاتين القبيلتين وجمع بينهما على الخير والمحبة في ظل الإسلام الذي تدعوا شرائعه المساوية السمحة الى إرساء قواعد الخير والمحبة والوفاق والعدل بين الناس . وقد أساهما رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بالأنصار ، وأصبحت هاتان القبيلتان تنعمان بالمودة والحب والأخاء والاستقرار النفسي في ظل الإسلام وقد اتجهتا الى الهدوء والتعمير بدلا من الحرب والتدمير ، الأمر الذي انزعج له اليهود في المدينة المنورة مما جعلهم يشعرون بأن الإسلام إنما جاء ليفشل ويحبط مخططاتهم في استعباد الناس فأخذوا يبحثون عما يستطعمون به إيقاع الخلاف بين هاتين القبيلتين وإرجاعهما الى الحظيرة اليهودية ، فعمدوا الى حيك الدسائس والمؤامرات الدنيئة بينهما ، والعمل بكل الوسائل لأشعال نار الفتنة وإعادة الحرب بينهما من جديد وذلك بتذكيرهما بالأحقاد والثارات القديمة ، كيوم بعاث . فقد ذكر ابن اسحاق قال (ومرشاسي بن قيس ، الذي كان شيخا قد عسا (١) والذي كان عظيم الكبر شديد الضغن على المسلمين شديد الحسد لهم ، مر على نفر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من الأوس والخزرج في مجلس قد جمعهم يتحدثون فيه ، فغاضه ما رأى من إلفتهم ، وجماعتهم وصلاح ذات بينهم على الإسلام بعد الذي كان بينهم من العداوة في الجاهلية فقال : قد أجمع هؤلاء بني فيلة بهذه البلاد ، لا والله ما لنا معهم إذا اجتمع ملوهم بها من قرار ، فأمر فتى شابا من يهود كان معه ، فقال : إعد المهم فاجلس معهم ، ثم اذكر يوم بعاث وما كان قبله ، وانشد هم بعض ما كانوا تطلقوا فيه من الأشعار ، وكان يوم بعاث يوما اقتتلت فيه الأوس والخزرج قتالا شديدا قبل الإسلام .

قال ابن اسحاق : ففعل ، فتكلم القوم عند ذلك وتنازعوا ، وتفاخروا حتى تواشبه وجلان فتقاولا ، ثم قال أحدهما لصاحبه : إن شئت مردناها الآن جذعة ، وفضب الفريقان

(١) عسا : تمكن من كرهه ، فصعب إخراجه منه .

جميعا ، وقالوا : قد فعلنا ، مودكم الظاهرة (والظاهرة : الحرة) ، الصلاح : السلاح فخرجوا اليها ، فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فخرج اليهم فبين معه من الصحابة المهاجرين حتى جاءهم فقال : " يا معشر المسلمين ، الله الله أهدموا الجاهلية ، وأنا بين أظهركم !! بعد أن هداكم الله للإسلام وأكرمكم به ، وقطع به عنكم أمر الجاهلية واستنقذكم به من الكفر والف به بين قلوبكم " فعرف القوم أنها نزعة من الشيطان وكيد من عدوهم ، فبكوا ، وهانق الرجال من الأوس والخزرج بعضهم بعضا ، ثم انصرفوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم سامعين مطيعين ، قد أطفأ الله عنهم كيد عدو الله شاسي بن قيس ، فأُنزل الله تعالى في شاسي بن قيس وما صنع ((قل يا أهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله والله شهيد على ما تعملون ، قل يا أهل الكتاب لم تصدون عن سبيل الله من آمن تخفونها عوجا وأنتم شهداء وما الله بغافل عما تعملون)) (١) (٢) وقال تعالى للمؤمنين : ((واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم بأصبعه بنعمته لإخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار فانقذكم منها ، كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون)) (٣) .

والجدير بالذكر أن دعوة الإسلام التي جاءت بمنهج الحق والخير للبشر جميعا قد لقيت من المجتمع الجاهلي الذي علقت على تحريره وتطهيره ، وإنقاذ من الضلال ، ما لا بد أن يلقاه الحق الذي يواجه الباطل من معارضة واستهتار وعناد واستكبار ، فكانت الأوضاع المعوجة الشوهاة التي أقامتها الوثنية وعمقتها العصبية ، أكف حجاب مظلم بين الشرك والأيمان .

وما يذكر أن موقف العداء المستمر للإسلام والمسلمين من جانب يهود قد بدأ في المدينة المنورة معذ هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم ، وأصحابه

(١) سيرة ابن هشام ج ٢ ص ١٨٣ - ١٨٥ . دار الفكر .

(٢) سورة آل عمران : الآيات (٩٨ - ٩٩) .

(٣) سورة آل عمران : الآية (١٠٣) . وقد ذكر بن كثير أن هذه الآية قد نزلت

بشأن الأوس والخزرج ج ص ٣٨٩ .

الكرام من أهل مكة اليها ، فقد كان موقفهم من الأسلام أشد كبرا وابعدا مكررا ، فقد كفروا بالحق الذى يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة ، حين كذبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهم يجدون البشارة به فيما يتلون من كتاب . ولقد عزلهم - حسدا صغيا - أن يكون النبي - الذى كانوا يقولون للعرب : قد أظلنا زمانه - من غسيير يهود ، وسائهم أن ينزل القرآن بلسان عربي مبين ، كانوا يحرفون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم هو النبي المنتظر الذى ينتظرون . وإن ما أنزل عليه من الآيات هدى ، وحق ونور ، ولكن غلبت عليهم شقوتهم المتأصلة فيهم ، فلم يخرجوا عن أن يكونوا حلقمة جديدة في سلسلة الشر والكفر والمكر ، سلسلة الضلال والخذل والعدوان الذى عرّف به اليهود في أحقاب التاريخ .

لم يكفهم أن يكفروا ، وكل ما حولهم يبعث على الهداية والأيمان ، بل اندفعوا ، بكل ما عرف عنهم من نوازع الشر وحيائل المكر يصدون الناس عن دين الله القويم ، ويعملون على إيقاد نار الفتنة ، وإثارة عوامل التفرقة ، وقطع روابط الألفة ، وهدم قيم الحق والخير يغيثون في الأرض بغير الحق ، وهم أهل الموج والأحراف ، يفسدون في الأرض والله لا يحب الفساد ، حتى تسود البهضة وتنتشر الفتنة ، ويبعد الناس عن سبيل الاستقامة والرشاد والخير .

ولقد كان هدف هؤلاء الأعداء الحاقدين أن يردوا المؤمنين الى الكفر ، بعد أن أكرمهم الله بنعمة الأيمان ، وأن يقذفوهم في حضيض التمزق والضياح بعد أن سلكوا سبيلهم الى تسلّم قم العلياء في الوحدة والنور ، كانوا يريدون لهم الضياح كما كان شأنهم في الجاهلية ، حتى يبقوا حيارى تائهين تفرسهم العصبية وتفك بهم العدوات ، وتدبرهم الأحقاد والعداوات والثارات .

انهم يريدون - وهذا شأنهم في كل عصر - أن يبتعد المسلمون عقيدة وفكرا وعقلا وخلقاً ، وترهية ونظاما ، عن سبيل الله الذى يحقق لهم الوجود الحق ، والكيان القوى والمجد الرفيع ، والنصر الكبير ، وليس سبيلهم الى تحقيق ما يريدون من أذى وشـر وفساد إلا العمل على فسخ المودة والأخاء ، وإثارة نوازع العداوة والبغضاء وحث

الفتن وتوهين العزائم ، والكيد والدسائس ضد المسلمين بمؤالة أعدائهم من القرشيين وغيرهم . لذا فقد جاءت آيات الله سبحانه تكشف حقيقتهم وتفضح حركتهم ، وتحذر المؤمنين من شرهم . قال تعالى : ((لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا الآية)) (١) .

عدد أهل الحديبية :

تختلف الروايات في تحديد عدد الصحابة الذين أعلنوا عن عزمهم لمرافقة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، لهذه الرحلة المباركة .

فقد ذكر ابن اسحاق : (أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج عام الحديبية يريد زيارة البيت لا يريد قتالا ، وساق معه الهدى سبعين بدنة ، وكان الناس سبعمائة رجل ، فكانت كل بدنة عن عشرة نفر . وأضاف : وكان جابر بن عبد الله فيما بلغني يقول : كنا أصحاب الحديبية أربع عشرة مائة) . (٢)

هذا وقد أخرج الأمام البخاري رضي الله عنه في صحيحه عن رواية البراء بن عازب رضي الله عنهما أنهم كانوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية ألفاً وأربعمائة أو أكثر . (٣)

وقد ذكر البخاري أيضاً في إحدى الروايتين عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أنهم كانوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ألفاً وأربعمائة . (٤)

وقد ذكر بن سعد في الطبقات الكبرى ، أن الرسول صلى الله عليه وسلم خرج عام الحديبية ومعه من المسلمين ألف وستمائة ، ويقال ألف وأربعمائة ، ويقال ألف وخمسمائة وخمسة وعشرون رجلاً . (٥)

(١) سورة المائدة : الآية (٨٢) .

(٢) ابن هشام : المرجع السابق : ج ٣ ص ٣٥٦ .

(٣) انظر صحيح البخاري : كتاب المغازي ، باب غزوة الحديبية مجلد ٥ ص ٦٢-٦٣ . دار الفكر .

(٤) صحيح البخاري : المرجع السابق ص ٦٢-٦٣ .

(٥) الطبقات الكبرى لابن سعد : مجلد (٢) ص ٩٥ . دار صادر بيروت .

والجدير بالذكر أن الراجح في جميع هذه الروايات أن الصحابة الذين خرجوا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في عمرة الحديبية كان عددهم ألفاً وأربعمائة رجلاً ورجح ذلك ابن القيم في زاد المعاد . (١)

هذا وقد كان تاريخ خروج النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه الكرام لعمرة الحديبية هو يوم الاثنين ليلال ذى القعدة من السنة السادسة للهجرة . وقد ورد هذا التاريخ في كثير من كتب السيرة . (٢)

الأهلال بالعمرة :

بعد أن أتم الصحابة الكرام تجهيزاتهم واستعداداتهم للسفر ، خرج النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه الكرام من المدينة المنورة وانطلقوا في الطريق المسمى مكة المكرمة .

وعندما وصل الركب الكريم إلى ذى الحليفة (٣) وقف النبي صلى الله عليه وسلم هو وأصحابه الكرام للأحرام وتقليد الهدى وأشعاره . فدعى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالهدى ، فجعلت قلده وأشعر بنفسه عدد منها وهن متوجهات نحو القبلة ، وكان من بين الهدى جملاً لأبي جهل بن هشام فغضب النبي صلى الله عليه وسلم يوم بدر . (٤)

(١) انظر زاد المعاد ج ٢ ص ١٢٣ ، لابن القيم الجوزية .

(٢) أ - الطبقات الكبرى لابن سعد ج ٢ ص ٩٥ .

ب - السيرة الحلبية ص ١٩٣ .

ج - بهجة المحافل للأمام الفقيه أبي بكر العامري م ١ ص ٣١١ .

د - السيرة النبوية والآثار المحمدية : مجلد ٢ ص ٣٨ .

هـ - رامتاع الأسعالم القمري : ص ٢٧٥ .

و - فتح الباري لابن حجر العسقلاني ج ٧ ص ٤٤٠ دار البحوث العلمية .

(٣) ذى الحليفة (بضم الحاء) ذكرها ياقوت الحمصي في معجم البلدان ج ٢ ص ٢٩٥ ، بأنها إحدى ضواحي المدينة المنورة ، وتقع على بعد حوالي ستة أو سبعة أميال منها ، وتسمى ذى الحليفة اليوم بأبيار على . ومنها ميقات أهل المدينة .

(٤) لابن هشام : السيرة النبوية ج ٣ ص ٣٦٩ . دار الفكر .

هذا وقد أحرم النبي صلى الله عليه وسلم من ذى الحليفة بالعمرة وأحرم بأحراسه
عامة الصحابة الكرام ، ثم دعى براجلته القصواء فركبها من باب المسجد في ذى الحليفة
ثم أهل هو وصحابته الكرام بالتلبية وانطلق الركب النبوى باتجاه مكة المكرمة في موكب
مهيب وفي مظهر إعلامي رائع ، وهم يرددون التلبية واصواتهم تشق عنان السماء بها .
وهذه الحالة يكون النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه الكرام ، قد دخلوا في
حالة العمرة وأنهم في وضعهم الحالي لا يجوز لهم فعل كثير من الأشياء بما فيها
القتال ، وإلا في حالة الدفاع عن النفس ، وكذلك لا يجوز - في عرف العرب - التعرض
لهم بقتال وهم على حالتهم التعمدية هذه .

بحث ثالث :

المظاهر الإعلامية في الشعائر التعبدية :

انطلق الصوت الإسلامي مجلجلا عبر الصحراء* ليذيع رسالة إعلامية ذات دلالة ومعنى في المفهوم الإعلامي .

وكانت تلك الرايات الإعلامية ذات المعاني المعبرة تدل دلالة واضحة على المحتوى الحقيقي لهذه الرحلة المباركة ، وقد تمثلت في صورة بدعة استخدمت فيها ما تستخدمه أرقى الوسائل الإعلامية في عالمنا اليوم ، وذلك في نقل الصورة المتحركة والصوت المسموع لدى المشاهدين بشكل واضح وجلي .

ولا شك أن هذه الشعيرة التعبدية قد عبرت عن مدلولاتها الحقيقية وعن أغراضها الإعلامية المرجوة منها بشكل كامل ، وذلك بما تضمنته هذه الشعيرة التعبدية من سمات إعلامية واضحة . ولا بد لهذه المدلولات الإعلامية بشي* من التفصيل :

١- الشهر الحرام : لقد كانت هذه الرحلة المباركة في شهر ذي القعدة من السنة السادسة للهجرة - كما جرى تحقيق ذلك من قبل - ومعلوم أن شهر ذي القعدة هو من الأشهر الحرم التي لا يجوز القتال فيها - حسب قانون العرب كافة - بحال من الأحوال . لذلك فإن طابع هذا المظهر الإعلامي يعكس المضمون السلمي للرحلة .

٢- الأحرام : وهذا مظهر إسلامي تعبدى ذات معنى إعلامي معبر عن الغرض الذى وجد من أجله ، حيث عند ما يرى المشاهد هذا المظهر فإنه لا يماوره أدنى شك بأن الشخص الذى يلبس هذا الأحرام قد دخل في النسك وأنه قد أعد نفسه الى مهمة تعبدية خاصة .

٣- الصوت : وهذا الصوت هو صوت التلبية الذى يهمل به الحاج ، أو المعتسر في بداية دخوله في النسك من الميقات الذى يحرم منه . ومضمون هذه التلبية أربع عبارات هي كالآتي :

لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك لبيك ، إن الحمد والتعاسة

لك والملك ، لا شريك لك .

وسا يجد رذكره ، أن من شروط المحرم أن يرفع صوته في التلبية
كلما نزل واديا أو صعد مرتفعا وعلى طول الطريق الواصل بسين
الميعات والحرم الشريف بمكة المكرمة مهما طال هذا الطريق ،
وذلك اقتداء^١ بسنة النبي صلى الله عليه وسلم . ويعتبر رفع
الصوت هنا بمثابة الإعلان الذي يعلن به المسلم بأنه قد لبى ندا^٢
الله بالحج أو العمرة وأنه قد بدأ فعلا بتنفيذ هذه المهمة .

يقول الدكتور عبد اللطيف حمزه : ربما كان أول شكل من هذه
الأشكال الدعائية هذا المشهد الذي يردده الحجاج وهم مقبلون
على مكة المكرمة ، ويردونه أثناء طوافهم بالكعبة وهو النشيد
الذي وضعه لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم . وفيه يقول :
لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك لبيك . . . الخ . ثم
يضيف الدكتور حمزه في وصفه لهذا المشهد بقوله : إنه مشهد
رائع جميل من مشاهد الدين يثبت العقيدة في نفوس المسلمين
ويزرع الأيمان والسكينة زرا آخر في قلوب المؤمنين . ثم يضيف
قائلا : وللأنشيد الحماسية في كل ثورة دينية أو سياسية أثرها
الذي لا يحتاج منها الى شرح . (١)

والله سبحانه له حكمة جليلة في جعل فريضة العمرة مثل فريضة
الحج مصداقا لقوله تعالى : ((وأتموا الحج والعمرة لله)) . (٢)
والعمرة فريضة على كل مسلم وسلمة مرة واحدة في العمر . ولكن
ذلك كما هو في الحج - على المستطيع - بكل ما لهذه الاستطاعة

(١) الدكتور عبد اللطيف حمزه . المرجع السابق ص ٨٢ .

(٢) سورة البقرة : الآية (١٩٦) .

من معنى وذلك للآية السالفة الذكر .

٤- إشعار الهدى وتقليده : وتعتبر هذه الأشارات ذات معنى ومدلول إعلامي واضح . يفهم المشاهد منها أن هذا الحيوان الذى يحمل هذه العلامات وإنما هو هدى بالغ الكعبة .

٥- المظهر الإعلامي المعبر : لا شك أن هذا المظهر الإعلامي المتكامل يعكس صورة متحركة لذلك الموكب الإسلامي المهيب ذات الزى الموحد والحركة المنتظمة والصوت المجلجل الذى يشق عنان السماء بالتلبية وهم في طريقهم عبر الصحارى والوديان باتجاه مكة المكرمة لاداء مناسك العمرة .

إن هذا المظهر الإعلامي ذو الرموز الإعلامية المتعددة ليعبر أصدق تعبير عن المعنى المقصود لهذه الرحلة المباركة ، وإنه يشكل كذلك عملية إعلامية للاتصال غير المباشر بالمشاهدين من الناس على طول الطريق بين مكة والمدينة المنورة عن طريق هذه الرموز ذات الدلالات الإعلامية المعبرة ، الأمر الذى أدى الى تنشيط الحركة الإعلامية في الرأى العام في تلك المناطق مما أكسب الدعوة الإسلامية نجاحا إعلاميا هائلا ، وقد استطاع عرب الجزيرة العربية معرفة الكثير عن الإسلام وبياد وءه السلمية النبيلة .

وهكذا فقد كان تأثير وسائل الإعلام المتداخلة بعضها في البعض تأثيرا مباشرا فسي اظهار أهداف وبيادى الدين الإسلامي في هذه الرحلة وذلك ضمن العملية الإعلامية المتكاملة التي شاركت فيها كل وسيلة من تلك الوسائل الإعلامية المذكورة بقدر معين من التأثير بما يتناسب والمفاهيم السائدة في تلك المجتمعات ، كما يوضح لنا ذلك الدكتور أحمد بدر بقوله : (يتأثر الرأى العام - كما تتأثر العمليات الاجتماعية الأخرى - بطرق الاتصال ووسائله ، وعلى الأخص بحجم الجاعات الداخلة في هذه العملية ، وأما كمن انتشارها وطرق الاتصال المذكورة هذه تشمل كل السبل التي ينتقل بها المعنى أو

الأشارة أو الرمز من شخص الى آخر ، أو من جماعة الى أخرى وكل عمليات
الاتصال تعتمد على الأشكال الرمزية التي يستخدمها الفرد من الثقافات التي يعيش فيها
أو يتعلمها من خبراته الشخصية . (١)

(١) الدكتور أحمد بدور : الاتصال بالجهان والدعاية الدولية ص ٥٢ . دار القلم .

صحت رابع :

قريش تتلقى نداء الرحلة :

لقد شاع بين العرب نداء خروج النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه الكرام الى مكة المكرمة ، لأننا مناسك العمرة . ولم يكن في هذا الخروج ما يدعو الى الدهشة أو الاستغراب بين العرب الوثنيين عموما .

لأن زيارة البيت - وخاصة في الأشهر الحرم - هو حق شاع لكل إنسان ، مهما كان دينه أو لونه أو جنسه ، وذلك قانون غير مكتوب ، ومجمع على العمل به بين جميع القبائل العربية .

غير أن قريشا تجاهلت هذا القانون الذي كان يجب أن تكون أول من يلتزم به ويحرص على تنفيذه ، لأنها حتى ذلك الحين كانت هي السادة للكعبة ، والمسؤولة بين العرب من جميع المشاعر التي يعظمها العرب في مناسكهم ، ومطلوب منها إعطاء كل التسهيلات لمن جاء راجيا في زيارة البيت حتى ولو كان في حالة نزاع مسلح معها ، مادام انه لم يأت محاربا ، لأن لمنطقة الحرم قد سية خاصة عند العرب تجعل من المحرم تحريرا قاطعا سذك أي دم أو انشاب أي حرب داخل حدوده ، ذلك هو القانون والعرف السائد بين عرب الجزيرة منذ آلاف السنين .

ولكن قريشا قد تملكها الغرور - بعد أن استبد بها الغضب ونزا بها الحق - ففصرت بهذا العرف عرض الحائط حينما قررت - بإصرار - منع النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه من دخول مكة بالرغم من علمها اليقين بأنهم لم يأتوا للحرب وإنما جاؤوا عارًا ومحرمين .
ولن جميع مظاهر هذه الرحلة المباركة تدل على أن الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه الكرام إنما جاؤوا لزيارة البيت وتعظيمه والطواف به .

فلقد اعتبرت قريش خروج النبي صلى الله عليه وسلم نحو مكة - وفي هذا العدد الكبير من أصحابه - بادرة خطيرة وتحدى سافر ، أحسن منه سادات مكة أن فيه ساسا بكرامتهم وخذشا لكبريائهم الوثني ، ولأنه بالنسبة للعرب أجمعين ، بمثابة الدليل العملي على

ضعف قريش السياسي وإنخفاض هيبتها العسكرية ، وتضعف لدورها القيادي بين العرب .
كما أن قريشا قد اعتبرت هذا التصرف من جانب النبي صلى الله عليه وسلم ، وأصحابه
الكرام ردا - في صورة تحدى - على ما قامت به من أعمال إرهابية ضده وضد القلة من
أصحابه عند ما كانوا في مكة ، مما اضطرهم الى مغادرتها مكرهين .
ولم يستطع النبي صلى الله عليه وسلم - منذ أن خرج من مكة مهاجرا الى المدينة
المنورة ، بعد أن أهدرت قريش دمه الشريف - ولا أحدا من أصحابه الأقترب من مكة
فضلا عن دخولها بصورة علنية .

ولكن ها هو بعد مرور أقل من ست سنوات على هجرته يأتي الى مكة المكرمة قادما
من المدينة المنورة ، لا وحيدا ولا مستغفيا هذه المرة ، وإنما على رأس ألف وأربعمائة
من أصحابه الكرام ، كلهم يفديه بماله وأهله وروحه ، إنه إذن التحدى في أعلى صورته
وأشكاله لكبريا . قريش وفطرسيتها وتعنتها ، هكذا فهم القرشيين من هذه الحالة التي
قدم بها رسول الله صلى الله عليه وسلم الى مكة مع هذا العدد الكبير من أصحابه
الكرام .

وعلى أثر هذا النبأ ، فقد عمت مكة موجة من الغضب والاستياء الشديدتين مما أدى
الى عقد اجتماع طارىء في دار الندوة .

اجتماع طارىء :

لقد سارع زعماء قريش الى عقد اجتماع طارىء في دار الندوة للتشاور فيما بينهم
وللأتفاق على خطة يضعونها لمواجهة هذا التطور الخطير الذى نتج عن
خروج النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه الكرام ، قادمين نحو مكة المكرمة .
وبعد مناقشات طويلة بين زعماء قريش المجتمعين في دار الندوة تم الاتفاق على
تشكيل لجنة من ثلاثة أشخاص من سادات مكة ، وتكون مهمة هذه اللجنة اتخاذ القرارات
اللازمة ومعالجة الوضع الناتج عن التطورات المحتملة للموقف أولا بأول وهو لا الأشخاص
هم :-

١- عكرمة بن أبي جهل المخزومي . (١)

٢- صفوان بن أمية الجمحي . (٢)

٣- سهيل بن عمرو العامري . (٣)

- (١) عكرمة بن أبي جهل المخزومي : قال ابن الأثير في (أسد الغابة في معرفة الصحابة م ٣ ص ٤ - ٥) هو عكرمة بن أبي جهل بن هشام المخزومي ، أسلم بعد الفتح بقليل وحسن إسلامه وقد حارب المرتدين في زمن الخليفة أبي بكر الصديق ، ولما فرغ من قتال المرتدين سار مجاهدا إلى الشام وقد دخل معارك اليرموك ولجنادين . وقيل أنه استشهد في اليرموك وقيل في إجنادين .
- (٢) صفوان بن أمية القرشي الجمحي . يكنى بأبي وهب . كان أحد أشرف مكة فسي الجاهلية وكان من أفصح قادة قريش . هرب إلى جدة يوم الفتح ثم تشعبه أحد أصحابه وجاء به إلى مكة وقد شهد حنين مع المولفة قلوبهم ، ثم أسلم بعد ذلك وحسن إسلامه . وقيل إنه مات بمكة سنة اثنتين وأربعين أول خلافة معاوية . وقيل توفي عام مقتل عثمان . (أسد الغابة م ٣ ص ٢٢ - ٢٣) .
- (٣) سهيل بن عمرو العامري : قال ابن الأثير في أسد الغابة : إنه أسلم يوم الفتح وحسن إسلامه ، يكنى أبا يزيد ، وهو أحد أشرف مكة وخطيب قريش وخطيبهم وساداتهم ، أسير يوم بدر ، وكان كافرا ، وكان أعلم الشفة . فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، يا رسول الله : إنزع ثنيته فلا يقوم عليك خطيبا أبدا ، فقال الرسول صلى الله عليه وسلم : دعه يا عمر فعسى أن يقوم مقامه تحمده عليه . فكان ذلك المقام ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما توفي ارتجت مكة لما رأت قريش من ارتداد العرب واختفى عتاب بن أسيد أمير مكة ، فقام سهيل بن عمرو خطيبا فقال : يا معشر قريش لا تكونوا آخر من أسلم وأول من ارتد ، والله إن هذا الدين ليمتدن امتداد الشمس والقمر من طلوعهما إلى غروبهما . . . في كلام طويل مثل كلام أبي بكر في ذكر وفاة النبي صلى الله عليه وسلم . وهذا سهيل هو صاحب القضية يوم الحديبية مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حين اصطلحوا . لم يكن أحدا من كبار قريش الذين تأخروا إسلامهم أكثر صلاة ولا صوما ولا صدقة ولا أهل على ما يعنيه من أمر الآخرة منه حتى أنه كان قد شجب وتغير لونه وكان كبير البكاء رقيقا عند قراءة القرآن . كان يقول : لعمرى لقد وضع الإسلام أمر الجاهلية ، ورفع الله أقواما بالإسلام كانوا في الجاهلية لا يذكرون ، فليتنا كنا مع أولئك فتقدنا وأرجو الله أن ينفعني بدعا أهل بيتي ، فقد شهدت المواطن كلها أنا فيها معاند للحق ، وأنا وليت أمر الكتاب يوم الحديبية باضرار ، إنني لأذكر مراجعتي رسول الله يومئذ وما كنت أظن به من الباطل ، فأستحي من رسول الله . قيل إنه استشهد باليرموك . وقيل مات بطاعون عواس . (أسد الغابة م ٢ ص ٣٧١ - ٣٧٢) .

قال الواقدي في مغازيه : (ولما بلغ المشركين خروج النبي صلى الله عليه وسلم الى مكة المكرمة ، راعهم ذلك ، واجتمعوا له ، وشاوروا فيه ذوى الرأى منهم ، فقالوا : يريد - أى النبي صلى الله عليه وسلم - أن يدخل علينا عنوة في جنوده ، معتمرا ، فتسمع به العرب ، وقد دخل علينا عنوة ، وبيننا وبينه ما بيننا ، والله لا يمكن هذا أبداً ، ومنا عين تطرف ، فارتأوا رأيكم فأجمعوا أمرهم وجعلوه الى نفر منهم وهم - صفوان بن أمية . . . وسهيل بن عمرو . . . وعكرمة بن أبي جهل) . (١)

هذا وقد اتخذت هذه اللجنة الثلاثة عدة قرارات هامة هي : وضع المنطقة فسي حالة طوارئ عسكرية واستنفار كل قادر على حمل السلاح من قريش وطلب المساعدة العسكرية من ثقيف والأحباش . وتكوين قوات كثيفة من الفرسان وإعطاء قبادتها لفراس قريش خالد بن الوليد ، على أن تعسكر هذه القوات من الفرسان على الطريق الرئيسي بين مكة والمدينة المنورة ، وذلك لاعتراض المسلمين وإفهامهم ، عملها ، بأن قريش قد قررت وبدون رجعه منهم من دخول مكة بالقوة المسلحة .

ومن ثم إقامة جهاز دقيق جداً للأغراض الإعلامية والعسكرية تكون مهمة هذا الجهاز اعلام قريش أولاً بأول عن أخبار المسلمين وتحركاتهم ، وذلك بوضع العميون على الجبال البعيدة عن مكة والتي هي بموازات الطريق المعتاد الذي سيمر منه النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه الكرام ، وإبلاغ قريش ، في معسكرها الرئيسي الذي أُقيم في وادي بلدح (٢) عن كل ما تحتاجه من المعلومات الضرورية عن تحركات المسلمين ومدى قوتهم وعدد همم وعدتهم ، وتحليل الأخبار وإبلاغ النتائج في غاية السرعة الممكنة وذلك لاتخاذ القرارات المناسبة لمواجهة الموقف المتجدد .

قال الواقدي : (واستنفرت قريش من أطاعها من الأحباش ، وجلبت ثقيف معهم ،

(١) مغازي الواقدي : ج ٢ ص ٥٢٩ . عالم الكتب بيروت .

(٢) بلدح : أخره حاء سهجلة والدال قبله . هي واد قبل مكة من جهة الغرب ،

ياقوت الحموي . معجم البلدان ج ٦ ص ٤٨٠ .

وقد ما خالد بن الوليد في الخيل ، ووضعوا العيون على الجبال حتى انتهوا إلى
جبل يقال له وزر (١) وزع ، كانت عيونهم عشرة رجال قام عليهم الحكم بن عبد مناف ، يوحى
بعضهم إلى بعض الصوت الخفي : فعل محمد كذا وكذا ، حتى ينتهي ذلك إلى
قريش ببلد ح .

وخرجت قريش إلى بلد ح فضربوا بها القباب والأبنية ، وخرجوا بالنساء والصبيان
فمسكروا هناك ، ودخل بسر بن سفيان مكة فسمع من كلامهم ورأى منهم ما رأى ثم رجع
إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم (٢) .

(١) قال الواقدي : هكذا في الأصل ، والوزر : الجبل المنيع (القاموس المحيط ،

الفصل الثالث

مهمة إعلامية

مبحث أول :

مهمة إعلامية :

لقد كانت خبرة النبي صلى الله عليه وسلم ببعوث الاستطلاع كخبرته بفنون القتال المختلفة ، من حيث اختيار الزمان والمكان والرجال والمهمة ، وفي اختيار القائد العسكري ورجل الأعلام الناجح وتزويده بالتعليمات والوصايا الإسلامية ، فكانت هذه الخبرة ، مثلاً يُحتذى به في جميع العصور .

حيث كان عليه الصلاة والسلام أعرف الناس ببعوث الاستطلاع والحصول على أخبار أعداء الإسلام وأماكنهم وعددهم وعدتهم وقياداتهم وحتى عن معنوياتهم وكل ما يتعلق بالأسباب التي تؤمنى إلى كسب المعارك وتغليب المقاصد ولا سيما في العصور التي كثرت فيها ذرائع الثورة والمراوغة والكشف ، مما جعل حاجة القتالين من المسلمين إلى استقصاء أخبار الأعداء من الأمور الملحة .

وقد أعد لهذه المهمات من الأسباب والدراسات ما جعلها علماً من العلوم العسكرية الهامة في كل عصر من العصور على مر الزمن حسب إمكانيات كل عصر .

والجدير بالذكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم منذ أن أقام حكومته الإسلامية فسي المدينة المنورة عمد إلى إرسال دوريات الاستطلاع ، وذلك ليتعرف المسلمون على الطرق المحيطة بالمدينة المنورة والطرق المؤدية إلى مكة والقادمة منها بصورة خاصة ، وذلك ليرصدوا حركات أعداء الإسلام والمسلمين المترشحين بالمسلمين الدوائر من جهة ، وليلوؤدوا بعض القبائل المجاورة من جهة أخرى .

وفي هذا الخصوص من المهمات العسكرية الاستطلاعية والأعلامية الهامة ، وبالنظر للظروف الحساسة لتلك المرحلة وما لها من شأن عظيم في حياة المسلمين ومستقبلهم ، فقد

عهد الرسول صلى الله عليه وسلم ، وهو في ذى الحليفة ، وقبل أن يتوجه الى مكة - عهد الى رجل من أصحابه ليقوم بمهمة إستطلاعية ، وذلك بأن يتقدم أمام المسلمين ليكتشف المنطقة أمامهم وليقوم بمهمة جمع الأخبار عن قريش داخل مكة وخارجها ، ومن تحشداتها العسكرية ، ومن ردود الفعل الناتجة عن خروج الرسول صلى الله عليه وسلم وصحبه الكرام الى مكة في هذا العدد الكبير ، وقد كان هذا الرجل الذى أعده رسول الله صلى الله عليه وسلم لهذه المهمة الإعلامية هو بسر بن سفيان الخزازي (١) ، كما ذكر ذلك — هشام (٢) ، والواقدي (٣) ، وغيرهما من أصحاب كتب السيرة النبوية .

(١) بسر (بضم أوله وسكون ثانيه) بن سفيان بن عمرو بن عويمر الخزازي من سادات خزاعة قال ابن حجر في الإصابة (ج ١ ص ١٥٤) أن بسر بن سفيان الخزازي كتب اليه النبي صلى الله عليه وسلم وكان شريفاً في قومه وقد أسلم سنة ست من الهجرة ، وجرى ذكره في حديث الحديث .

— وقد ذكر ابن عبد البر في الاستيعاب (مجلد ١ ص ٢٧) أن بسر بن سفيان الكعبي الخزازي أسلم سنة ست للهجرة وبعثه النبي صلى الله عليه وسلم عنده الى مكة وشهد الحديث مع الرسول صلى الله عليه وسلم .

— وذكر ابن الأثير في (أسد الغابة في معرفة الصحابة ج ١ ص ١٨١-١٨٢) هو بسر بن عمرو بن عويمر الخزازي كان شريفاً كتب اليه النبي صلى الله عليه وسلم يدعو إليه الأسلام وله ذكر في قصة الحديث .

— وذكر الزرقاني في المواهب اللدنية (م ٢ ص ١٨١-١٨٢) دار الكتب العلمية - لبنان — أن الرسول صلى الله عليه وسلم اختار بسر بن سفيان الخزازي ، وهذا لقرب عهده بالأسلام ، لأنه أسلم في شوال فلا يظنه من رأي بأنه عينا فلا يؤمن به .

— كما ذكر المقرئ في كتابه (إمتاع الأسماع - ج ١ ص ٣٧٤) أن بسر بن سفيان الكعبي الخزازي كان قد قدم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم مسلماً في ليل من شوال فقال له يا بسر لا تبرح حتى تخرج معنا فلما إن شاء الله معتبرون .

— وذكر الواقدي في مغازيه تماماً مثل رواية المقرئ . انظر ج ٢ ص ٥٢٢ (طبعة عالم الكتب بيروت) .

... ويظهر لنا مما تقدم أن بسر بن سفيان الخزازي عندما بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذه المهمة الإعلامية الاستطلاعية أنه كان مسلماً وهذا خلاف لما ذهب اليه بن القيم في زاد المعاد (ج ٢ ص ١٣٧) بأن بسر الخزازي كان عندما أرسله رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذه المهمة الإعلامية الهامة ، كان لا يزال على الكفر ، ومع أن بن القيم يعتبر من المتأخرين بالنسبة لطبقة ابن حجر وابن الأثير وغيرهما ، فإن روايته هذه ليس له عليها أى دليل ، كذلك فإنه من غير المعقول أن يبعث الرسول صلى الله عليه وسلم لمهمة غاية في الدقة والحساسية ويترتب عليها أمور خطيرة كهذه المهمة لرجل وهو لا يزال على الكفر .

(٢) ابن هشام . المرجع السابق (ج ٣ ص ٣٥٦) .

... المأخذ : ... المغازي ، (٥٢٢ : ٥٢٣) .

ويتضح ما تقدم أن من جملة الأسباب التي توافرت لاختيار هذا الرجل لهذه المهمة الخطيرة هو كونه حديث عهد بالأسلام ، وإن قريشا لم تكن تعلم بأسلامه بعد ، لهذا فإنه لا يتطرق اليها أن يشك من دخوله مكة أو خروجه منها ، أو حتى من دخوله إلى داخل معسكراتها أو برلمانها - دار الندوة - . وقد حصل فعلا أن بمعوث رسول الله صلى الله عليه وسلم بسر بن سفيان الخزاعي قد دخل إلى داخل معسكرات قريش وحليفاتها في الأماكن التي أعدتها لمواجهة النبي صلى الله عليه وسلم وصحابته الكرام في منطقة بلدح ، وهي منطقة تقع خارج مكة قليلا ، وقد حصل بسر الخزاعي على كافة المعلومات المطلوبة لمهمته الإعلامية التي كلفه رسول الله صلى الله عليه وسلم بها . والجدير بالذكر أن بسر بن سفيان الخزاعي كان أحد زعماء قبيلة خزاعة البارزين فهو بالزعامة يضاهاى بديل بن ورقاء الخزاعي ، لذا فهو ذو مكانة سياسية واجتماعية رفيعة ، وهو معروف لدى قريش بموزنه السياسي الأمر الذي لا يدعو قريشا إلى منعه أو حتى الشك فيه .

وهناك ثمة أسباب أخرى تعتبر أساسية قد أدها رسول الله صلى الله عليه وسلم برجل الإعلام المسلم وقد تمثلت ببسر الخزاعي وهي : القدرة على تحمل المسؤولية والثقة الكاملة بأن ما يفعله في هذا المجال ، إنما هو طاعة لله ورسوله وهذا من دواعي الإيمان ، والسرعة المتقنة في إنجاز المهمة والإحاطة بها ، وإن يكون كهيما فطنا ، وأن يكون على معرفة تامة بالمقاصد الحقيقية لمهمته التي أوكلت إليه ، وكذلك يجب أن يكون عارفا بالطبيعة الجغرافية للمنطقة التي سيذهب اليها وكذلك معرفته بأهذاف وأفكار ولغة القوم المرسل اليهم ، وهذه الاستراتيجيات فإن الأسلام يكون قد أده رجل الأعلام ، وجامع الأخبار المسلم إعداد متينا ، وأهله تأهيلا ممتازا للقيام بمهمته خير قيام ، فسي غاية من الدقة والسرعة والنجاح .

هذا ويحدد الدكتور محمود عساف مهمة المخبر بقوله (والمخبر كما هو معروف هو الباحث عن الأنباء ، أى جامع الخبر ، وحامله من مصادره إلى ناشره ، ويقول علميا

الأخبار عن المخبر ووظيفته ، أن وظيفة المخبر ، هي التردد على أرض الأحداث للحصول على التفاصيل والمعلومات التي سيتكون منها النبأ* ، ويقدر ما يكون لدى المخبر من ذكاء* وفطنة وثقافة واسعة وإطلاع وصبر ومثابرة وحسب للاستطلاع ، بقدر ما يوفق في عمله ، فسي مهمة جمع الأخبار واستكمال جوانبها . (١)

وسا لا شك فيه أن بسر الخزاعي كان يمثل رجل الأعلام المسلم الذي يتحرك وفوق خطة إعلامية مدروسة ، ويعمل بموجبه سبقا على دراسة المجتمع الذي تقضي مهمته الإعلامية بالعمل فيه ، وذلك من أجل تحقيق الغاية التي يعمل من أجلها بدقة ونجاح وهذه هي طبيعة الإعلامي المسلم الناجح .

يقول الأستاذ محمد كمال إمام : (وعلى الإعلامي المسلم أن يقوم بدراسة ميدانية لا اختيار طبيعة المجتمع الذي يتحرك فيه واختيار نوعية الوسائل التي تصل به الى غايته الاستراتيجية . (٢)

ولا شك أن الميزات الهامة التي توفرت لدى بسر بن سفيان الخزاعي ، كي يقع عليه اختيار الرسول صلى الله عليه وسلم للقيام بهذه المهمة الإعلامية الخطيرة ، تتمثل فسي جملتها بالصفات العلمية والعملية والأخلاقية والذكاء* والمنزلة الاجتماعية والظرف المناسب تلك الصفات والميزات التي أثبت بموجبه أنها قادر على القيام بهذه المهمة وإنجازها بنجاح تام . ولا شك أن الرسول صلى الله عليه وسلم هو أعرف الناس بالرجال وبكيفية استغلال الظروف المناسبة لصالحه . لهذا فقد كانت ثقة الرسول ببسر الخزاعي هي السبب فسي نجاح مهمته ، ولنستمع الى ما قاله الدكتور عبد القادر حاتم عن مهمة رجل الاعلام : إن رجل الاعلام يجب أن يتميز بصفات خاصة منها أنه لا بد وأن يكون موضع ثقة الشخص الذي توجه إليه الفكرة ، وأن يتصف بالاحترام والأمانة والصدق ، وأن يكون متخصصا في ما تد بعلمه

(١) الدكتور محمود عساف . المرجع السابق ص ١٢ .

(٢) الأستاذ محمد كمال الدين إمام . المرجع السابق ص ١٤٩ .

وتجاربه وبعبارة موجزة ، فان رجل الأعلام يجب أن يتميز بصفات علمية وعملية وأخلاقية تسبغ عليه الاحترام والثقة من الجميع . (١)

هذا وقد استطاع بسر الخزاعي إنجاز المهمة التي أوكلت اليه بنجاح تام ، وذلك بالحصول على جميع المعلومات المطلوبة بشكل دقيق ومفصل ، والعودة الى قاعدته بسرعة مذهلة ، وقد التقى بالرسول صلى الله عليه وسلم على غدير الأشتاط قرب عسفان (٢) ، وقد م اليه تقريراً إخبارياً شاملاً ومفصلاً ، غاية في الدقة والأهمية عن المهمة التي قام بها . وقد تضمن هذا التقرير الأخبار الهامة جميع المعلومات المطلوبة عن الوضع العام في مكة وإعطاء الرسول صلى الله عليه وسلم صورة مفصلة ودقيقة عن مراكز تجمع قوات قريش وحليفاتها ، التي هبت لمناصرتها والوقوف الى جانبها نتيجة للأخبار الكاذبة التي نقلتها قريش وإلهمهم من أجل قلب الحقائق وتزوير المواقف وتشويه الصورة الصحيحة التي كان عليها الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه الكرام . وبالجمل فأن هذا التقرير الإخباري الهام قد شمل كل ما آل اليه الموقف القرشي بعد سماعهم خبر قدوم الرسول صلى الله عليه وسلم بهذا العدد من أصحابه الكرام الى مكة المكرمة .

قال الواقدي : (ودخل بسر بين سفهان مكة فسمع من كلامهم ورأى منهم ما رأى ثم رجع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلقبه بغدير الأشتاط من وراء عسفان فقال له النبي ما وراءك يا بسر قال : يا رسول الله اني تركت قومك ، كعب بن لؤي وهامر بن لؤي قد سمعوا بمسيرك ، ففرزوا وهابوا أن تدخل عليهم عنوة ، وقد استنفروا الأخابيش ومن أطاعهم ، معهم العوذ المطافيل ، قد لبسوا جلود النمر ليصدوك عن المسجد الحرام . وقد خرجوا الى بلدح وضرهوا الأبنية وتركتم عمادهم (أي قادتهم) يطعمون الجوزر

(١) الدكتور عبد القادر حاتم : الأعلام والدعاية نظريات وتجارب ص ١٠٢ .

(٢) عسفان بضم أوله وسكون آخره . قال ياقوت الحموي في معجم البلدان (ج ٤ ص ١٢١) سميت عسفان لتعصف الليل والنهار فيها . وهي منبلة من مناهل الطريق بين الجحفة ومكة . وقال السكري - عسفان على مرحلتين من مكة على طريق المدينة والجحفة على ثلاث مراحل .

أحابهشهم ومن ضوى (أى انضم إليهم) في دورهم وقدموا الخيل عليها خالد بن الوليد
بمائتي فارس ، وهذه خيلهم بالغميم وقد وضعوا العيون على الجبال ووضعوا الأرصاد. (١)
هذا وقد ذكر الإمام البخارى في صحيحه (أن النبي صلى الله عليه وسلم بعد ما
أحرم بالعمرة بعث له عنها من خزاعة وسار النبي صلى الله عليه وسلم حتى إذا كان بخديرو
الأنشطة أتاه عنه ، قال إن قريشا جمعوا لك جموعا وقد جمعوا لك الأحابهش وهم
مقاتلونك وصادوك عن البيت وما نعوذك . (٢)

وتعتبر هذه المهمة الأخبارية التي قام بها بسر الخزاعي نموذجاً قيمياً للمهام
الأعلامية الأخبارية الناجحة ، وهي تعتبر مثلاً رائعاً يحتذى به في مثل هذه المهمات
الأعلامية الحساسة .

(١) مغازى الولاقدى ج ٢ ص ٥ - ٥٨٠ عالم الكتب بيروت .
(٢) صحيح البخارى ، كتاب المغازى ، المجلد الخامس ص ٦٧ . (دار الطباعة العامة
بإستانبول) - (دار الفكر - بيروت) .

مبحث ثان :

طرق جمع الأخبار عند العرب :

لكل أمة من الأمم طرقها الخاصة في جمع الأخبار والحصول على المعلومات الضرورية لتثبيت كيانها ولتعزيز وجودها بين الأمم .

وبالنظر إلى أن هذه الطرق تختلف من عصر إلى عصر ومن بيئة إلى أخرى ، فإنها في حد ذاتها تشكل أهمية كبرى بالنسبة لكل أمة من الأمم ، وذلك من حيث كونها أساساً لبقائها واستمراريتها .

ولا شك أن الظروف البيئية والجغرافية والحضارية تساعد على إنجاز تلك المهمات الأساسية لهذه الأمم .

ولما كان الحصول على الأخبار والمعلومات الضرورية يعتبر من المواضيع ذات الأهمية البالغة بالنسبة لعرب الجزيرة ، وخاصة أثناء الأزمات والظروف الحربية والمتطلبات المعيشية لهم ، فإن هؤلاء العرب قد سلكوا طرقاً عديدة في هذا المضمار ، وذلك من أجل إنجاز مهماتهم الإعلامية التي تقوم على خدمة أغراضهم ومتطلباتهم المختلفة ، سواء كانت هذه المهمات عسكرية أو غير عسكرية . وبالنظر إلى أن النبي صلى الله عليه وسلم - أثناء قيامه في نشر دعوته الإسلامية - قد استفاد من الطرق القديمة التي كان يستخدمها العرب في جمع الأخبار والحصول عليها ، فإنه عليه الصلاة والسلام لم يقف عند حد تلك الطرق التقليدية القديمة ، بل استحدث طرقاً جديدة لخدمة أغراضه الإعلامية ، وقد أحرز فيها نجاحاً إعلامياً رائعاً .

ولا شك أن الباحث في كتب السيرة النبوية - يجد الكثير من المعلومات النافعة التي تركها لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم للاستفادة منها في مجال الإعلام وفي غيره من المجالات النافعة الأخرى .

ومن المعلومات التي تتعلق بطرق جمع الأخبار والحصول عليها ما ذكره بن هشام من أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أثناء خروجه باصحابه الكرام من المدينة المنورة إلى بدر

- قبل غزوة بدر الكبرى - فقد أراد صلى الله عليه وسلم معرفة أخبار قريش وجميع المعلومات الضرورية عن عددهم وعدتهم ، وعن موقعهم وعن كل ما يتعلق بهم . قال ابن هشام : (فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم بسيس بن عمرو الجهني ، حليف بني ساعدة ، وعدى بن أبي الزبيا الجهني حليف بني النجار الى بدر لتحسمان له الأخبار عن أبي سفيان بن حرب وغيره وأضاف ابن هشام قوله وأتاه الخبر عن قريش يسيرهم ليمنعوا عيرهم ، فاستشار الناس وأخبرهم عن قريش) . (١)

وقد تكون هذه الطريقة هي إحدى الطرق التقليدية لجمع الأخبار والحصول على المعلومات الهامة عند العرب ، وذلك بتخصيص شخص واحد أو عدة أشخاص للقيام بهذه المهمة والعودة الى القاعدة بأقصى سرعة ممكنة .

وضمن هذه المهمة الإعلامية الأخبارية المشابهة بالهدف والمختلفة بالأسلوب يذكر ابن هشام أيضا في معرض حديثه عن حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه كان أحيانا يقوم بنفسه بمهمة جمع الأخبار والحصول على المعلومات فقال : (ثم نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم قريبا من بدر ، فركب هو ورجل من أصحابه ، قال ابن هشام الرجل هو أبو بكر الصديق ، حتى وقف على شيخ من العرب ، فسأله عن قريش وعن محمد وأصحابه وما بلغه عنهم ، فقال الشيخ : لا أخبر كما حتى تخبراني من أنتما ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إذا أخبرتنا أخبرناك ، قال : أؤذاك بذلك ؟ قال : نعم ، قال الشيخ : فانه بلغني أن محمدا وأصحابه خرجوا يوم كذا وكذا ، فإن كان صدق الذى أخبرني فهم اليوم بمكان كذا وكذا ، للمكان الذى به رسول الله صلى الله عليه وسلم يبلغني أن قريشا خرجوا يوم كذا وكذا ، فإن كان الذى أخبرني صدقني فهم اليوم بمكان كذا وكذا ، للمكان الذى به قريش . فلما فرغ من خبره قال : فمن أنتما ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم " نحن من ما " ثم انصرف عنه) . (٢)

(١) ابن هشام السيرة النبوية ج ٢ ص ٢٥٢ - ٢٥٣ . دار الفكر .

(٢) المرجع السابق ص ٢٥٤ - ٢٥٥ .

وهذه الطريقة التي تولى فيها القائد بنفسه مهمة جمع الأخبار والحصول على المعلومات ، تعتبر بلا شك غاية في الحرص والتضحية ، لأن الرسول صلى الله عليه وسلم كان دائما يحاول أن يقف نفسه على جمع الأخبار والمعلومات الهامة عن أعدائه ، وهذه بالحقيقة من مزايا القيادة المثلى التي كان يتمتع بها عليه الصلاة والسلام .

وأما بالنسبة لأسلوب التورية الذي استعمله رسول الله صلى الله عليه وسلم مع الشيخ ، عندما قال له " نحن من ماء " فإن هذا الأسلوب يعتبر بلا شك من المتطلبات الضرورية أثناء الحروب . فالرسول صلى الله عليه وسلم قد صدق الشيخ عندما أخبره بقوله " نحن من ماء " وأنه عليه الصلاة والسلام كان يقصد بهذه التورية أن كل كائن حي هو من الماء أصلا . والله سبحانه وتعالى يقول في الآية الكريمة ((وجعلنا من الماء كل شيء حي)) (١) ومن الطرق الإعلامية المحدثات التي استخدمها رسول الله صلى الله عليه وسلم في جمع الأخبار والمعلومات العسكرية عن أعدائه ، تلك الطريقة الاستنتاجية التي استنتج رسول الله صلى الله عليه وسلم بها من خلال استجوابه للغلامين اللذين اسرها بعض اصحابه الكرام قبيل معركة بدر ، في معرفة عدد أفراد جيش قريش ومكانه وقادته ، فقد ذكر بن هشام أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سأل الغلامين بقوله : (أخبراني عن قريش قال : هم والله وراء هذا الكتيب الذي ترى بالعدوه القصى ، فقال لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم : " كم القوم " ؟ قال : كثير ، قال : ما عدتهم ؟ قال : لا ندرى قال : كم ينحرون كل يوم ؟ قال : يوما تسعا ويوما عشرا ، فقال صلى الله عليه وسلم القوم فيما بين التسعمائة والألف ، ثم قال لهما : فمن فيهم من أشرف قريش ؟ فأخبراه بهم . (٢)

وبهذا الأسلوب الإعلامي المستحدث استطاع رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يعرف كل ما يجب أن يعرفه القائد العسكري الفذ عن أعدائه من حيث عدد هم وعدتهم وقادتهم

(١) سورة الأنبياء : الآية (٣٠) .

(٢) ابن هشام . المرجع السابق - ج ٢ ص ٢٥٥ - ٢٥٦ - .

المسكربين ، ومن مكان وجودهم ومن أسلحتهم ونوعيتها .

وهذا فقد استطاع رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يهتدى الى الاجهزة التي كان يبحث عنها وذلك بالاستفادة من الأسئلة ذات الأسلوب الاستنتاجي . ولعل الدكتور عبدالعزيز شرف قد أشار الى هذا الأسلوب حين قال : (وإذا كان منهج المحدث إذا وصل اليه الحديث الموضوع أن يطرحه أرضاً ويمضي لطيه ، فأن مهمته الإعلامي الباحث عن الأخبار في أن يبادر الى التقاط هذا المنهج والأفادة منه وتبسيط الأضواء الكاشفة حتى يهتدى الى أوجهة عن أسئلته تحقق وظائف الإعلام في المجتمع على النحو السديد .) (١)

ومن الطرق الكثيرة التي كان العرب يستخدونها في جمع الأخبار في ذلك الزمن طريقة جديدة بالذكر والإهتمام ، وهذه الطريقة تقضي بمعرفة أنواع التمور والأعلاف للبلدان المختلفة في الجزيرة العربية وذلك من خلال فحص أبعاد الأبل أو الحيوانات الأخرى . وهذه الطريقة فقد استطاع أبو سفيان التأكيد من وجود جيش إسلامي من المدينة المنورة في منطقة بدر ، الأمر الذي جعله يغير خطة سيره ، وينجح في حمايته القافلة .

فقد ذكر ابن هشام قائلا : (وأقبل أبو سفيان بن حرب ، حتى تقدم العير حذرا حتى ورد الماء ، فقال لمجدي بن عمرو : هل أحسست أحدا فقال : ما رأيت أحدا أنكره الا اني رأيت راكبين قد اتاخا الى هذا التل ثم أستقيا في شئ لهما ثم انطلقا فأتى أبو سفيان مناخهما فأخذ من أبعاد بعيريهما ففتش ، فاذا فيه النوى فقال : والله هذه علائف يثر فرجع الى أصحابه سريعا ف ضرب وجه غيره عن الطريق .) (٢)

وهذان الرجلان هما الرجلان اللذان أرسلهما رسول الله صلى الله عليه وسلم ليتحسسا أخبار قريش .

(١) الدكتور عبدالعزيز شرف . المرجع السابق ص ١٤٤ .

(٢) ابن هشام . المرجع السابق ج ٢ ص ٢٥٧ .

وهذه بعض الطرق والوسائل الإعلامية التي كان يستخدمها العرب في جمع الأخبار والحصول على المعلومات في ذلك العصر . ولا شك أن مهمة بسر بن سفيان الخزاعي الإعلامية لا تعدوا كونها إحدى هذه الطرق التي استخدمها الرسول صلى الله عليه وسلم في جمع الأخبار والحصول على المعلومات الضرورية .

مبحث ثالث :

تصريح هام للرسول صلى الله عليه وسلم :

بالنظر الى ما آل اليه الوضع المتوتر من تصعيد للموقف من جانب قريش ، بعد أن سمع النبي صلى الله عليه وسلم التقرير الأخباري الهام الذي جاء به بسر بن سفيان الخزاعي فقد أدلى عليه الصلاة والسلام بتصريح هام ينم عن الحنكة ، يعد النظر في وزن الأمر ووضع كل منها في مكانه المناسب . فقد قال عليه الصلاة والسلام : كما جاء في رواية بسنن هشام (يا ويح قريش ! لقد أكلتهم الحرب ، ماذا عليهم لو خلوا بيني وبين سائر العرب فإن هم أصابوني كان ذلك الذي أرادوا وإن أظهروني الله عليهم دخلوا في الإسلام واقرين ، وإن لم يفعلوا قاتلوا بهم قوة فما تظن قريش ؟ فوالله لا أزال أجاهد على الذي بعثني الله به حتى يظهره الله أو تنفرد هذه السالفة ، ثم قال عليه الصلاة والسلام من رجل يخرج بنا على طريق غير طريقهم التي هم بها) . (١)

والحقيقة أن هذا التصريح الخطير يعتبر بمثابة إعلانا هاما فيما يتعلق بالناحيتين العسكرية والإعلامية ، وفي رسم السياسة العامة التي أعد ها رسول الله صلى الله عليه وسلم لمواجهة الموقف العام الذي نتج عن تصرف قريش في مثل ذلك الطرف العصيب . وما يذكر أن قريشا التي تختلف مع المسلمين عقائدا كانت قد تبنت العمل لمحاربة الإسلام والمسلمين - منذ فجر الدعوة الإسلامية - بكل ما لديها من الوسائل الممكنة سواء إعلامية كانت أم عسكرية ، فقد قامت بمهاجمة المسلمين في عقد دارهم في المدينة المنورة أكثر من مرة ، بعد أن فعلت بهم ما فعلت وطردتهم من مكة وأهدرت دماهم . وقد أدى الأمر بزعماء الشرك في قريش الى التأمر على حياة خير البرية محمد عليه الصلاة والسلام في عملية اغتيال لشعبة ، وقد نجاه الله سبحانه وتعالى من غدرهم وكيدهم ، قال تبارك وتعالى في وصفه لذلك الحادث الغادر : ((وإن يكربك الذين كفروا ليشتموك أو يقتلوك ، أو يخرجوك ، ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين)) . (٢)

(١) ابن هشام : المرجع السابق مجلد ٣ ص ٣٥٦ - ٣٥٧ .

وقال سبحانه : ((والله يعصمك من الناس إن الله لا يهدي القوم الكافرين)) . (١)

وقال حل شأنه : ((والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون)) . (٢)

ومع ذلك العداء الطويل والمستمر من جانب قريش ضد المسلمين فأنها في هذه المرة كانت تعلم تمام العلم بأن المسلمين إنما جاءوا لزيارة البيت الحرام وإنهم في وضعهم الحالي ، قد وصلوا في مهمة تعبدية خاصة . وهم ليسوا في وضع يمكنهم من القتال ولا يصح في عرف العرب وشهاتهم ، أن يعتدي عليهم ، لأن العرف السائد عند العرب أن الرجل كان يلقي قاتل أبيه في الأشهر الحرم فأنه لا يهذيه ولا يعتدي عليه ، احتراماً للأشهر الحرم ، فكيف إذا كان المسلمون هم الآن في حالة الأحرار وفي الأشهر الحرم أيضا ؟ !

ومع ذلك كله فأن قريشا زالت مستمرة في غيها وسياستها العدائية للمسلمين بنفس الحدة والعنف اللذان بدأت عدائهما بهما في بداية الدعوة الإسلامية .

ومع كل هذا العداء والتحدى فأن الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم ، الذي وصفه الله بصاحب الخلق العظيم . قال تعالى ((وإنك لعلى خلق عظيم)) ، (٣) كان ينظر إلى قومه وإلى الناس جميعا بمنظار الرحمة والعطف ويقابل السيئة بالحسنة ، وقد صرح بهذا التصريح الذي أكد فيه حرصه على هذه المعاني الإسلامية النبيلة مرارا وتكرارا ، ولكن قريشا المتفطرسة والمتجبرة - التي كان رسول الهدى يحرض على إسلامها - وهدايتها وإخراجها من ظلام الشرك إلى نور الإيمان ، ويدعو لها بقوله (اللهم اهدى قريشا فأن عالمها يملأ طباق الأرض علما) (٤) بقيت على نفس الخط من عدائهما التقليدي للإسلام والمسلمين .

غير أن هذا الموقف النبيل الذي كان يتبناه النبي صلى الله عليه وسلم تجاه قريش وغيرها لم يكن قد جاء من موطن ضعف ، فقريش تعرف قبل غيرها من هم المسلمون حينئذ لا يجدون ملجأ إلا الحرب ، فهي لها مواقف ومواقف معهم ، أخذت فيها دروسا وعبر بالغة

(١) سورة المائدة : الآية (٦٧) .

(٢) سورة يوسف : الآية (٢١) .

(٣) سورة العنكبوت : الآية (٢٤) .

وكما يقول الشاعر العربي :

الحرب في حق لديك شريعة" ومن السموم الناقعات دواء"
والبر عندك ذمة وفريضة" لا منة ممنونة وجبلاء"
وتد حلك للسفيه مدارياً" حتى يضيق بعرضك السفهاء"
لما دعوت الناس لى عاقل" وأصم منك الجاهلين نسماء"^(١)

وتجيء الإشارة الى هذا المفهوم في التصريح الذي أعلنه عليه الصلاة والسلام والذي قال فيه : (فما تظن قريش ؟ ! فوالله لا أزال أجاهد على الذي يحثني الله به حتى يظهره الله أو تنفرد هذه السالفة) .^(٢)
ولا شك أن هذه العبارة الأخيرة من هذا التصريح الهام لتعتبر بمثابة إشارة تحذير الى قريش كي لا تتركب رأسها وتتأذى في غيرها .

(١) الشاعر أحمد شوقي ، الشوقيات . من قصيدة الهزمة النبوية ج ١ ص ٣٤ .
دار الكتاب العربي .

سجل في دار الأحياء القديمة ، ص ٣٣ ، ٣٥٦ .

الفصل الرابع

خطة إعلامية هادفة

بحث أول :

خطة إعلامية هادفة :

بعد الأخبار التي وصلت إلى النبي صلى الله عليه وسلم بشطط قريش و صلفها وطغيانها وإصرارها على منع المسلمين من زيارة البيت الحرام بالقوة المسلحة . وإن أساطين الكفر بمكة ، قد اتخذوا قرارا بعد اجتماع عقدوه في دار الندوة ، باستنفار جميع قواتهم الضاربة وطلب النجدة من حلفائهم قبائل ثقيف والأحباش ، حسبما جاء في رواية بن سعد ، حيث قال : (وبلغ المشركين خروجه فأجمعوا رأيهم على صده عن المسجد الحرام وعسكروا ببلدح وقد موأثتي فارس إلى كراع الغميم (١)) وعليهم خالد بن الوليد (١) . لذا فإن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، مع كراهيته للحروب وعدم رضته في غوصها ، فإنه قد اتخذ كافة الاحتياطات الضرورية تحسبا للطوارئ ، فقد أمر قائد فرسانه عباد بن بشر بأن يكون على أهبة الاستعداد وأن يتخذ له مكانا فسي مقدمة الجيش الإسلامي ، وكذلك فقد أمر ببقية الصحابة الكرام بأن يكونوا في حالة استعداد تام وهم في حالة الأحرار لمواجهة الموقف المتجدد .

غير أن النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم مع كل ما صنعتته قريش من التحدي ووسع ما قامت به من الاستفزاز للمسلمين والتحرش بهم وذلك بتكليفها قائد فرسانها خالد بن الوليد بأن يربط بمائتين من الفرسان في الطريق الرئيسي بين عسفان ومكة لا اعتراض المسلمين ومنعهم من المرور بالقوة ، فقد قرر عليه الصلاة والسلام أن يتحاشى الصدام مع جيش خالد بن الوليد الذي قطع الطريق الرئيسي على المسلمين ووضعهم أمام محنة قاسية يصعب عليهم اختيارها ، لا سيما وأنه جائهم بصورة المهاجم المعترض ، وقد بالغ

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد : مجلد ٢ ص ٩٥ ، دار صادر بيروت .

(٢) كراع الغميم : قال باقوت الحموي : هو موضع بين مكة والمدينة ، وذكر عن نصر قوله :

الغميم هو موضع بين رابغ والجحفة . معجم البلدان ج ٤ ص ٢١٤ .

في تحدى المسلمين وإثارتهم .

وقد قرر عليه الصلاة والسلام أن لا يمر بالطريق الرئيسي وأن يغير اتجاه هذه الرحلة المباركة الى طريق آخر يوصل به وأصحابه الكرام الى مكة المكرمة ضمن خطة إعلامية تمويهية تؤدى الى تضليل المشركين وإيقاع الحيرة والأرباك في صفوفهم جميعا ، حيث كان من المفروض أن يستمر النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه الكرام في المسير في الطريق العام من عسفان نحو الجنوب باتجاه مكة المكرمة وكان هذا الطريق سينتهي بهم الى مكة المكرمة عبر التنعيم (١) ، وهو الطريق الرئيسي الذى يسلكه كل من يقصد مكة قادما من المدينة المنورة . ولكن هنا على القرار الحكيم الذى اتخذه النبي صلى الله عليه وسلم يتجنب الاشتباك مع قوات خالد بن الوليد وبالتالي تجنب القتال مع قومه ما وجد الى ذلك سبيلا ، فقد قرر أن يغير اتجاه سيره هذا وأن يسلك بالمسلمين طريقا وعبرا غير مسهد ولا مطروق ، وقد لقي النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه الكرام هنا شديدا أثنا سيرهم بهذا الطريق الصعب المسالك . وقد ظلوا طريقهم عدة مرات وما زالوا يكابدون المشاق القاسية أثناء سيرهم نحو مكة المكرمة مصممين كل التصميم على دخول الهيئ الحرام مهما بلغت بهم المشاق ومهما كبرت عليهم التضحيات والصعاب ، فقد ذكر ابن هشام (أن رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، أنا سالك بكسر طريقا الى مكة ، فسلك بالمسلمين طريقا أجرا (٢) بين شعاب ، فلما خرجوا منه وقد شق ذلك على المسلمين وأمضوا الى أرض سهيلة عند منقطع الوادى ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " قولوا نستغفر الله ونتوب اليه " فقالوا ذلك ، فقال : " والله إنها للحطة التى عُرضت على بني اسرائيل فلم يقولوها " . (٣)

(١) التنعيم . قال في مرصاد الأطلاع : هو موضع بمكة خارج الحرم وهو أدنى الحل البها على طريق المدينة وهو على ثلاثة أميال من مكة .

(٢) أجرا : كثير الحجارة .

(٣) ابن هشام . المرجع السابق مجلد ٣ ص ٣٥٧ .

ثم أضاف ابن هشام قائلا : ثم أمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الناس فقال
اسلكوا ذات اليمين - في طريق تخرجهم على شئمة الرار سهبط الحديدية (١) من أسفل
مكة ، فسللك الجيش ذلك الطريق ، فلما رأيت خيل قريش فترة الجيش (٢) ، قد خالفوا عسن
طريقهم ، رجعوا راكضين الى مكة لإخبار قريش بما حصل ، وقد اتجه رسول الله صلى
الله عليه وسلم من جهة أخرى نحو مكة حتى إذا سلك في شئمة الرار بركت ناقته ، فقال
الناس : خلأت الناقة (٣) . فقال النبي صلى الله عليه وسلم : " ما خلأت وما هولها
بخلق ولكن حبسها حابس الفيل عن مكة ، ثم قال : لا تدعوني قريش اليوم الى خطبة
يسألوني فيها صلة الرحم إلا أعطيتهم إياها . ثم قال للناس انزلوا " . (٤)

وقد كانت ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم والتي تُعرف بالقصواء* من أجساد
النوق المطاوع ولكنها بركت مكانها على مشارف حدود الحرم الشريف ، وظلت على مبركها
بالرغم من محاولة إنهاضها ، فظن الناس أنها تعبت فعجزت فقالوا خلأت القصواء* ، أى
أحرنت . قال الواقدي في مغازيه : (عندما قال الناس خلأت القصواء* قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم : ما خلأت وما هولها بخلق ولكن حبسها حابس الفيل عن مكة ، ثم
قال : بعد أن أدرك ما لم يدركه غيره من الناس : والذي نفس محمد بيده لا تدعوني
قريش اليوم الى خطبة يسألوني فيها تعظيم حرمة الله إلا أعطيتهم إياها . ثم أضاف
الواقدي : بأن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد هذا الإعلان الهام عزجر ناقته
فقامت ، فعاد بها راجعا عودة بدئه (٥) .

(١) الحديدية : يقال بتخفيف الهاء وتشديد ها . هي قرية ليست بكبيرة ، بينها وبين
مكة مرحلة واحدة ، بينها وبين المدينة تسع مراحل ، ويقال إن بعضها من الحبل
وبعضها من الحرم ، وسميت بذلك لبشر فيها تسمى الحديدية (السيرة النبوية لابن
هشام ج ٣ ص ٣٥٥ - ٣٥٦) دار الفكر العربي بيروت .

(٢) فترة الجيش : ضاراه .

(٣) خلأت : أى أحرنت ولا يقال ذلك إلا للناقة .

(٤) ابن هشام : المرجع السابق مجلد ٣ ص ٣٥٧ - ٣٥٨ .

(٥) مغازي الواقدي ج ٢ ص ٥٨٢ .

ولا شك في أن حادثة الناقة هذه كانت تتضمن أمرا الهيا بعدم الأقتراب من مكة المكرمة في حالة حرب ما قد يترتب عليه قتالا شديدا وسفكا دما كثيرة في البيت الحرام . ذلك البيت الأمين وحرم الله المصون ، أحب البقاع الى الله والى رسوله والمؤمنين الذى حرم الله القتال فيه إلا في حالة الدفاع عن النفس وهي حالات الضرورة القصوى . قال تعالى : ((ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه فإن قاتلوكم فاقتلوهم ، كذلك جزاء الكافرين)) . (١)

وقال جل شأنه : ((وإن جعلنا البيت مثابة للناس وأمنا)) (٢) . هذا وقد ثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : (أن مكة حرمها الله ولم يحرمها الناس ولا يحل لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسفك فيها دما ولا يعضد بها شجرا ، فإن أحد ترخص لقتال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها فقولوا له إن الله أنزل رسوله ولم يأذن لكم ، وإنما أذن لي فيها ساعة من نهار وقد عادت حرمتها اليوم كحرمتها بالأمس وليبلغ الشاهد الغائب) . (٣)

هذا وقد أراد الله سبحانه وتعالى بحادث برك الناقة ، ذلك الحادث العجيب وتلك الإشارة البالغة ، أن يأمر رسوله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين بالتوقف عند حدود الحرم وعدم الأقتراب منه وهم في حالتهم العسكرية تلك ، وذلك لما للحرم الشريف من حرمة ومكانة عند الله سبحانه وتعالى ، وهذا فضل من الله ومنه ، فقد جنب الفريقين اللذين يرتبطان بصلة الرحم ، مأساة مجزرة رهيبة كانت وشيكة الوقوع على أرض حرم الله سبحانه في مكة المكرمة ، لو أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه الكرام استمروا في سيرهم نحو الكعبة المشرفة لأداء العمرة .

ولقد كان لحادثة برك الناقة هذه آثارها الإيجابية في توقيع معاهدة صلح الحديبية مع قريش مما سمى ذكره ان شاء الله .

(١) سورة البقرة : الآية : (١٩١) .

(٢) سورة البقرة : الآية : (١٢٥) .

(٣) صحيح البخارى كتاب المغازى ج ٥ ص ٩٤ . باب غزوة الفتح . دار الفكر .

بحث ثان :

الأثر الإعلامي الناتج عن تغيير خط سير الرحلة :

لا شك أن ذلك التصرف الحكيم الذي قام به رسول الله صلى الله عليه وسلم بتغيير خط سير الرحلة المباركة نحاشيا للصدام المسلح مع قوات خالد بن الوليد ، والعمل على تجنب سفك الدماء بدون مبرر ولإحلال أسلوب التفاهم والأقناع بالحجة والبرهان على أسلوب الحرب والقتال، لدلّيل كبير على حسن النية التي كان يعمل بها رسول الله صلى الله عليه وسلم . غير أن قريشا المتفطرسة التي تفتخر بكبريائها الوثني لم تكن تفهم هذا الأسلوب الأنساني النبل في التعامل في أكثر الأحوال على حقيقته الصادقة .

والجدير بالذكر أن هذا التغيير لخط سير الرحلة له أبعاد كبيرة في الفهم العسكري والإعلامي ، فهو يعتبر - في نظر قريش - أكثر خطورة من المواجهة المسلحة المباشرة .

وعلى هذا الأساس فإن خطة التغيير هذه تحمل في طياتها معاني ذات أبعاد وفاهيم متعددة الجوانب والاتجاهات ، وسعلوم أن الخطط العربية والتكتيكات العسكرية تعتمد في تنفيذها ونجاحها على التعاون المشترك بين الجهازين العسكري والإعلامي ، ومن هنا فإن خطة التغيير هذه لم تكن كما يتصوره البعض ، خوفا من قريش أو من تسويات خالد بن الوليد . فالذي يخاف من عدوه يرجع الى الوراثة عودته بدونه ولا يتقدم بهاتجاه قاعدة الأصلية ومركز قوته .

يقول اللواتي محمود شيت خطاب : (لم يكن العمل الذي قام به رسول الله صلى الله عليه وسلم بتركه للطريق الرسمي الى طريق جانبي آخر خوفا من قريش . فالذي يخاف من عدوه لا يقترب من قاعدة الأصلية ، وهي مركز قوته ، بل يحاول الابتعاد عنها حتى يطيل من صعوبة مواصلات العدو وبالتالي يجعل فرصة النصر أمامة أقل) . (١)

(١) اللواتي الركن محمود شيت خطاب : الرسول القائد ص ١٨٦ . مكتبة الحياة والنهضة ببغداد . الطبعة الثانية .

لذا فإن هذه الخطة تعتبر بمثابة عملية للتنمية والتغطية الإعلامية وإثارة الحسرب النفسية ولفت الأنظار وتوجيه الأفكار الى ما يخدم أغراض وأهداف هذه الرحلة . ولقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم في كثير من غزواته لا يعلن عن وجهته الحقيقية ، بل كان عليه الصلاة والسلام إذا أراد جهة معينة فإنه يتوجه الى مكان آخر غير الذي يقصده (١) حتى إذا كان قد اعتمد بجيشه مسافة يكون فيها بعيدا عن الأنظار ، فإنه يتحول بجيشه الى جهته الحقيقية التي يقصدها فعلا ، وذلك لوجود المنافقين في المدينة المنورة وكذلك لا احتمال وجود عيون لقريش أو لغيرها في تلك المناطق تراقب تحركات المسلمين . وهذه الخطة التي يتم فيها التعاون الفعلي بين الجهازين العسكري والأعلامي .

والجدير بالذكر أن مدى تغيير اتجاه سير رحلة الرسول صلى الله عليه وسلم هذه عن طريقها الرئيسي له عدة احتمالات ومفاهيم أخرى في نفوس القرشيين . وقد تكون أول ثمرة من ثمرات هذه الخطة الإعلامية الناجحة هو إيهاد البهيلة والأرتباك في صفوف قوات قريش المرابطة في كراع الغميم بقيادة خالد بن الوليد على الخط الرئيسي بين مكة والمدينة المنورة والتي تقدر بأكثر من مائتي فارس من الخيالة ، مما جعل خالد بن الوليد يعود مسرعا بقواته الى مكة المكرمة ليخبر زعماءها بما حصل .

هذا ولقد كان لهذه الخطة التنويرية الناجحة الأثر الكبير في قلب الوضع العسكري لدى قريش وحليفاتها في بلدح الأمر الذي جعلها في موقف المدافع بدلا من موقف المهاجم وذلك لأن قريشا في وضعها الحالي ، أصبحت لا تدرى من أى الجهات سينقض عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم في الهجوم وعلى هذا الأساس فأنهم ستقوم بتوزيع جيوشها على جميع الجبهات التي يحتمل أن يهاجمها منها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، الأمر الذي سيضعف من قوتها العسكرية ويفتتها في أماكن متعددة نظرا لعدم معرفة الجهة الحقيقية التي توجه إليها النبي صلى الله عليه وسلم بالضبط وكذلك الخطة التي ينوى القيام بها ولصعوبة تحديد ذلك في هذا الظرف العصيب ، فإن

(١) من حديث كعب بن مالك قوله رضي الله عنه : لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد غزوة إلا أوري بغيرها - باب التوبة - رياض الصالحين . من ذكر غزوة تبوك ص ١٥ .

الأفكار تتجه الى استنتاج احتمالات عديدة أخرى منها : أن الرسول صلى الله عليه وسلم في أى لحظة سيدخل مكة بقواته الضاربة ، التي تعرفها قريش تمام المعرفة ، من مكان سيحدده هو بنفسه ، هما أن جميع القوات القرشية والحليفة هي الآن ترابط في نقطة متقدمة خارج مكة على طريق المدينة المنورة ، فمعنى ذلك أن الرسول صلى الله عليه وسلم سيقوم بما لديه من قوات باحتلال مكة واحتجاز ما فيها من الأهالي والذاري كرهائن لديه ومن ثم فإنه سيهاجم جيوش المشركين وحلفائهم بخربة قاضية غير محتلة ولا محسوب لها حساب من جانب قريش ويقضى على كل ما عطلته وما خططت له قريش في ضربة مزدوجة واحدة .

والحقيقة أن هذه الخطة الإعلامية العسكرية الناجحة قد شتتت أفكار قادة وزعماء قريش بالإضافة الى تشتيت قواتهم العسكرية وجعلتهم في حيرة من أمرهم لا يعلمون ماذا يفعلون . كذلك فإن هناك احتمالا آخر لديهم وهو قيام الرسول صلى الله عليه وسلم بالالتفاف حول قوات خالد بن الوليد ، والتي تعتبر من الناحية العسكرية في ذلك الزمن هي القوة المعول عليها في الهجوم ، وبفصلها عن قوات قريش الأخرى . والأفراد بكل قوة على حدة .

ولا شك أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يعلم - بواسطة التقرير الأخباري الذي تلقاه من رجل الأعلام بحمر بن سفيان الخزاعي - عن مكان تواجد القوات القرشيمية وحليفاتها في وادي بلدح ، والجملة فإن صدق هذه العملية الناجحة خاضع من قبل قريش لكافة الاحتمالات من الناحيتين النفسية والعسكرية ، وهي تعتبر في مضمونها ونتائجها غاية في الحنكة العسكرية والإعلامية وقد أدت كافة أغراضها بنجاح كبير .

ومن هنا تتضح طبيعة المعركة التي يخوضها الإسلام لتبين للناس جميعا بأنها معركة تنطلق من روية فكرية شاملة وذات طبيعة استراتيجية ثابتة تلتزم بمنهج فكري معين . ليس القتال إلا بعض صورها ووسائلها .

والجدير بالذكر أن حادثة برك الناقة - تلك الحادثة الخارقة والأشارة البالغة - كان لها الأثر بأن منع الله سبحانه ذلك البلد الأيمن من أن يكون مسرحا للحرب وسفك الدماء

والمنازلات العسكرية . قال تعالى : ((وهو الذى كف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم ببطن مكة من بعد أن أظفركم عليهم وكان الله بما تعملون بصيرا .)) (١)

ولا شك أن هذه الدعوة الإسلامية التى جاءت لهداية البشرية قاطبة ، قد خرجت من وادى مكة وهو بيت الله الحرام ، تلك البقعة المباركة التى كانت وستظل مركزا لاستقطاب قلوب الملايين ، لا من أبناء الجزيرة العربية وحسب ولا من أبناء الأقطار المجاورة لها ، بل من أبناء الشعوب الإسلامية الذين لا يرتبطون بهذا البيت العظيم بمصالح مادية أو نوية أخرى ، بل برابطة العقيدة الدينية المحضة . قال تعالى : ((فليعبدوا رب هذا البيت الذى أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف .)) (٢) . ولهذا فإن المكانة التى يتميز بها هذا البلد الأمين وهذا البيت العظيم ترمز الى وحدة العقيدة ووحدة العبادة لدى المسلمين جميعا ، فمن الواجب صيانة هذه الأماكن المقدسة من العبث . وإذا كانت العلاقات قبل الإسلام قائمة على العداوة والبغضاء والخصومة والشر وفقدان روح الأفضلية والأخلاق وتحكيم نزعة الهوى في القوة والبطش وانعدام أى رعاية للحق والعدل والسلام ، فإن الإسلام قد جاء بالمبادئ التى تتضمن أسس التشريع الأخلاقي والإنساني ، وهذه المبادئ والشرائع الإلهية هي التى تحكم العلاقات بين الأفراد والدول ، وإن كل مؤمن في هذه الدنيا يعتقد اعتقادا جازما بأن قوة الله وحده هي القوة التى يلمس عند هـا النصر ، وهـا نتقى الهزيمة ، والهـا يكون التوجه وهـا يكون التوكل ، فإذا أراد الله تبارك وتعالى نصر المؤمنين - إذا هم عملوا بشريعته والتزموا بدعوته ، وأطاعوا أمره ولم يخالفوا حكمه وتوكلوا عليه وحده دون سواء ، وأخذوا للأمر أهميته وأعدوا له عدته - فلا غالب لهم من الناس . قال تعالى : ((إن ينصركم الله فلا غالب لكم .)) (٣)

(١) .سورة الفتح الآية (٢٤) .

(٢) سورة قريش الآيات (٣-٤) .

(٣) سورة آل عمران الآية (١٦٠) .

معجزة للرسول صلى الله عليه وسلم في الحد يمية

ومن جهة أخرى فإن المسلمين بعد أن جنحوا الى طريق فرعى آخر عقب حادثة برك الناقة ، حيث أنهى بهم ذلك الطريق الى سهل الحد يمية على حدود الحسم الشريف من أسفل مكة . وهناك أمر النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه بالنزول ، فقبل له كما جاء في رواية بن هشام : (يا رسول الله ، ما بالوادي ما ينزل عليه ، فأخرج سهما من كنانته فأعطاه رجلا من أصحابه فنزل به في قليب من تلك القلب فغرز في جوفه فجاش بالرواء حتى ضرب الناس عنه بعطس) (١) . وقد جاء مثل ذلك في كتب أخرى (٢) . ولقد كان ذلك الفيض الرباني الكريم علامة فرج واستيشار للرسول الكريم صلى الله عليه وسلم وأصحابه الكرام . وهذه هي سنة الله في خلقه ينصر عباده المؤمنين الذين ينصرونه . ويتوكلون عليه حق التوكل ويخلصون النية والعمل له ويسلمون أمورهم بيده ، مع الأخذ بالأسباب التي أمر الله سبحانه وتعالى بها . قال تعالى : ((انا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد)) (٣) .

وقد أصبح المسلمون في منطقة الحد يمية هذه يقفون وجها لوجه مع أعداءهم القرشيين الذين يقيمون مع حلفائهم من قبائل ثقيف والأحباش في بلد ح .

(١) ابن هشام السيرة النبوية ج ٣ ص ٣٥٨ دار الفكر .

(٢) راجع الكتب التالية :

أ - السيرة الحلبية ج ٢ ص ٦٩٣ .

ب - المعقريزي إمتاع الأسماع ص ٣٨٤ .

ج - السيوطي الخصائص الكبرى ج ٢ ص ٢٥ .

د - الواقدى : المغازى ج ٢ ص ٥٩٠ عالم الكتب بيروت .

(٣) سورة غافر : الآية (٥١) .

سرايا للحراسة والاستطلاع

لم يكن يستقر المقام بالرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه الكرام في الحديبية ، حتى أمر بتشكيل ثلاثة سرايا للقيام بمهمة الحراسة والاستطلاع حول معسكر المسلمين بالحديبية . (١) ولا شك أن هذا الأجراء الحكيم يدل دلالة واضحة على حسن التصرف والقيادة الحكيمة التي كان يتمتع بها رسول الله صلى الله عليه وسلم والتي لم يعرف التاريخ البشري لها مثيل ، وذلك بالآخذ بالأسباب وتصريف الأمور تصريفا حكيما يتلائم وطبيعة المرحلة التي يعيشها المسلمون .

والجدير بالذكر أن أهمية هذه السرايا تأتي من أهمية وجود المسلمين في تلك المنطقة حيث يقف المسلمون وجها لوجه مع أعدائهم القرشيين الذين حشدوا من القوات المسلحة الضاربة ما يزيد على عدد المسلمين أضعافا مضاعفة .

وتتقضى المهمة الرئيسية لهذه السرايا القيام بأعمال الاستطلاع والخفارة الليلية وذلك لمنع أي تسلل إلى داخل معسكر المسلمين ولصد أي عدوان أو هجوم مفاجئ ، وقد تقوم به قريش وحلفائها على المسلمين ، كذلك فإن من مهمات هذه السرايا أيضا معرفة أخبار المنطقة المحيطة بالمسلمين والاتصال المباشر بمقر القيادة العليا داخل معسكر المسلمين . وبهذه الاستراتيجية الحكيمة يكون الرسول صلى الله عليه وسلم أخذ بالأسباب ، في تأمين الحماية اللازمة للمسلمين وتقويت كل فرصة على المشركين من يأخذوا المسلمين فيها على حين غرة . هذا وقد وقع اختيار الرسول صلى الله عليه وسلم لأئساد هذه المهمة إلى ثلاثة أبطال من أصحابه الكرام لتولي قيادة هذه السرايا ، كلهم من الأنصار وهم على التوالي :

(١) - عباد بن بشر . (١)

- (١) انظر مغازي الواقدي ج ٢ ص ٦٠٢ عالم الكتب بيروت .
(٢) ذكر في الأصابة لابن حجر ج ٢ ص ٢٦٣ . وكذلك في أسد الغابة ج ٣ ص . . لابن الأثير هو عباد بن بشر بن وقش بن زغبة بن زعورا* بن عبد الأشهل بن جعشم بن الحارث الأنصاري الأوسي الأشهلي يكنى أبا بشر - أسلم بالمدينة على يد مصعب بن عمير وشهد بدرًا وأحد والمشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم . وكان ممن قتل كعب بن الأشرف اليهودي الذي كان يؤذى رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين . وكان من فضلا الصحابة . قالت عائشة ثلاثة من الأنصار لم يكن أحد يعتد عليهم فضلا عنهم من بني الأشهل : سعد بن معاذ وأسيد بن خضير وعباد بن بشر . وفي الصحيح عن عائشة =

٢- محمد بن مسلمة الأنصاري . (١)

٣- أوسي بن خولي . (٢)

هذا ولقد استقر رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه الكرام في الحديبية بصورة مؤقتة منتظرين ما سيستجد من أمور ، مصرين على هدفهم الذي جاءوا من أجله بدخول مكة وإدائه مناسك العمرة .

= رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم سمع صوت عباد بن شرف قال اللهم أرحم عباد بن بشر . . الحديث . وله ذكر في الصحيح عن أنس أن عباد بن بشر وأسيد بن خضير خرجا من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم في ليلة مظلمة فأضأت عصا أحدهما فلما افترقا أضأت عصا كل واحد منهما . وقيل استشهد باليامة ، وكان له يومئذ بلا عظيم وعمره (٤٥ سنة) .

(١) هو محمد بن مسلمة بن خالد بن عدي بن حارثة بن الحارث بن الخزرج الأوسى الأنصاري حليف بني عبد الأشهل يكنى أبا عبد الرحمن شهد بدرًا وأحد والمشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إلا تبوك . ومات بالمدينة ، ولم يستوطن غيرها . وهو أحد الذين قتلوا كعب بن الأشرف اليهودي واستخلفه رسول الله صلى الله عليه وسلم على المدينة في بعض غزواته ، واستعمله عمر بن الخطاب رضي الله عنه على صدقات جهينة . وكان صاحب المال أيام عمر ، واعتزل الفتنة بعد مقتل عثمان . (أسد الغابة لابن الأثير ج ٤ ص ٣٣٠) .

(٢) هو أوسي بن خولي بن عبد الله بن الحارث الأنصاري الخزرجي . قال المدائني يكنى أبا ليلى ، قال البخاري في معجمه : كان الذي غسل النبي صلى الله عليه وسلم علي والفضل ، فقالت الأنصار ننشدكم الله وحقنا ، فأدخلوا معهم رجلا يقال له أوسي بن خولي ، رجلا شديد يحمل الحجرة من الماء بيده ، وقد ذكر نحوه ذلك ابن اسحاق في المغازي وقال البخاري لا أعلم لأوسي حديثا . وذكر المدائني وغيره أن النبي صلى الله عليه وسلم خلفه في عمرة القضاء بذي طوى ليقطع كيدها . وذكره الزهري وموسى بن عتبة وابن اسحاق وغيرهم ممن شهد بدرًا . مات أوسي بن خولي قبل عثمان . (الأنساب لابن حجر ج ١ ص ٨٤ . دار الفكر .)

- الباب الثاني -

وجاء تحت عنوان : المفاوضات والحرب النفسية .

وفيه خمسة فصول :

الفصل الأول :

وجاء تحت عنوان : الوفد الإعلامي الأول يصل الى المدينة .

برئاسة بديل بن ورقاء الخزاعي .

الفصل الثاني :

وجاء تحت عنوان : الوفد الإعلامي الثاني برئاسة الحليس بن

زبان .

الفصل الثالث :

وجاء تحت عنوان : اسلوب الحرب النفسية في مفاوضات عروبة بن

مسعود .

الفصل الرابع :

وجاء تحت عنوان : الوفود النبوية الى قریش وأهميةبيعة الرضوان .

الفصل الخامس :

وجاء تحت عنوان : وفد الصلح القرشي برئاسة سهيل بن عمرو .

مبحث أول :

الوفد الاعلامي الأول يصل الى الحديبية :

لقد ذكر معظم المؤرخون (١) وكتاب السير أن أول وفد قدم الى الحديبية للتوسط في النزاع القائم بين النبي صلى الله عليه وسلم وكفار قريش كان وفد قبيلة خزاعة برئاسة بديل بن ورقاء (٢) بن ورقاء الخزاعي .

قال الواقدي في روايته : (فلما اطمأن رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحديبية جاءه بديل بن ورقاء في ركب من خزاعة وهي عيبة (٣) نصح لرسول الله صلى الله عليه وسلم بتهامة منهم المسلم ومنهم المواع لا يخفون عليه بتهامة شي * ، فأناخوا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم جاءوا فسلموا عليه فقال بديل : جئناك من عند قومك كعبي بن لؤي وعامر بن لؤي ، قد استنفروا لك الاحابيش ومن أطاعهم ، معهم العوذ المطافيل ، والنساء والصبيان ، يقسمون بالله لا يخلون بينك وبين البيت حتى تبعد خضراؤهم (٤) .

فقال النبي صلى الله عليه وسلم : لما لم تأت لقتال أحد وإنما جئنا لنطوف بهذا البيت ، فمن صدنا عنه قاتلناه وقريش قد أضرت بهم الحرب ونهكتهم فأنشأوا ما ددتهم مدة يأمنون فيها ، ويخلون فيما بيني وبين الناس . والناس أكثرهم منهم ، فأنظرهم أمرى على الناس كانوا بين أن يدخوا فيما دخل فيه الناس أو يقاتلوا ، وقد جمعوا ، والله لأجهدن على أمرى هذا حتى تنفرد سالفتي أو ينفذن الله أمره .

(١) الواقدي : المغازي ج ٢ ص ٥٩٣ عالم الكتب . وإبن هشام السيرة النبوية ج ٣ ص ٣٥٩ - ٣٦٠ ، دار الفكر وتاريخ الطبري ج ٢ ص ٦٢٥ دار المعارف والطبقات الكبرى لابن سعد ج ٢ ص ٩٦ دار صادر .

(٢) ذكره ابن الأثير في أسد الغابة ص ١٢٠ قال : هو بديل بن ورقاء بن عمرو بن ربيعة بن عبد العزى بن عامر الخزاعي ، قيل إنه أسلم يوم الفتح بمر الظهران من قول ابن شهاب وقال ابن اسحاق إن قريشا يوم فتح مكة لجأوا الى دار بديل بن ورقاء الخزاعي وشهد بديل وابنه عبد الله حنيناً والطائف وتبوك وكان من كبار مسلمة الفتح وقيل أسلم قبل الفتح وقد توفي بديل قبل النبي صلى الله عليه وسلم ، وكان النبي قد أمره ان يحبس النساء والأموال بالجمرة معه حتى يقدم - يعني النبي

وأضاف الواقدي قائلا : فعنى بديل مقاله النبي صلى الله عليه وسلم ثم ركب وركب الوفد المرافق له الى قريش حتى هبطوا على كهار قريش وهم مجتمعون هم وحلفائهم من قبائل ثقيف بقيادة عروة بن مسعود الثقفي وقبائل بنو كنانة تحت قيادة الحليس بن زهران ويقال الحليس بن علقمة في المعسكر الذي أقاموه في منطقة بلدح (١) .

وما من شك أن الرسالة الشفوية التي صرح بها رسول الله صلى الله عليه وسلم والتي حملها بديل بن ورقاء الخزاعي الى قريش ، كانت تحمل كل معاني الحفاصة والمرونة وبعد النظر مع الإعلان بالثقة الكاملة بنصر الله عز وجل والاستعداد التام لكافة الاحتمالات التي يتطلبها الموقف المتجدد .

سمع بديل بن ورقاء ما جاء في أقوال رسول الله صلى الله عليه وسلم ووعاه وتأثر به غاية التأثر ، وذلك بوصفه رجل محايد جاء للتوسط في حل النزاع القائم بين النبي صلى الله عليه وسلم وقريش ، وهذا ولقد تأثر بذلك عمرو بن سالم الخزاعي (٢) الذي كان أيضا ضمن الوفد الخزاعي بما سمع من رسول الله صلى الله عليه وسلم من دعوة صادقة الى السلام الى درجة أنه كان يقول وهو عائد مع بديل وكأنه يخاطب قريشا (والله لا تنصرون على من يعرض هذا أبدا) (٣) ، يعني ذلك العرض السلمي الذي عرضه رسول الله صلى الله عليه وسلم لبديل بن ورقاء الخزاعي .

-
- (١) مغازي الواقدي : ج ٢ ص ٩٣-٩٤ هـ . هذا وقد جاء في رواية المقرئ شبل ذلك ، انظر ج ١ ص ٢٨٥-٢٨٦ هـ . إمتاع الأسماع .
- (٢) هو عمرو بن سالم الخزاعي من سادات خزاعة ، كان صديقا لسعد بن عباد وأهداه جزورا في الحديبية وجاء سعد بن عباد وعمرو بن سالم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال النبي : وعمرو قد أهدى لنا ماترى فيارك الله في عمرو . الواقدي المغازي ج ٢ ص ٩٢ هـ ، وكذا عند المقرئ ج ١ ص ٢٨٥ هـ في إمتاع الأسماع .
- (٣) الواقدي : المغازي ج ٢ ص ٩٤ هـ .

بديل بن ورقاء في معسكر قريش :

وصل الوفد الخزاعي الى معسكر قريش وحليفاتها في بلدح حاملا رسالة الرسول صلى الله عليه وسلم الاعلامية الى زعماء قريش وقد حاول بعض المتطرفين من سادات قريش الشباب حمل قريش على مقاطعة وفد الوساطة الخزاعي ، وتحريض قريش على المضي قدما في موقفها الحربي وذلك لانهم أدركوا أن وفد خزاعة هذا إنما جاء للعمل على إحلال السلام ومنع نشوب الحرب .

فقد ذكر الواقدي في مغازيه قال (فعندما أقبل بديل وأصحابه على قريش قال أناس منهم ، هذا بديل وأصحابه إنما جاءكم يريدون أن يستخبروكم ، فلا تسألوهم عن حرف واحد ، فلما رأى بديل وأصحابه انهم لا يستخبرونهم قال بديل : إنما جئناكم من عند محمد ، أتحبون ان نخبركم ؟ قال عكرمة بن أبي جهل والحكم بن العاص وبعض المتطرفين : لا والله ما لنا حاجة أن نخبرنا عنه ، لكن أخبرنا عنا ، فإنه لا يدخلها علينا عامه هذا أبدا حتى لا يبقى منا رجل واحد) (١) . وكان عروة بن مسعود سيد ثقيف حاضرا يسمع ما يدور من حديث بين وفد خزاعة المحاييد ، الذي يدعو الى الصلح بين الأهل والعشيرة ، وبين المتطرفين من قريش ، وعروة بن مسعود هذا كان قد جاء من الطائف على رأس قوات قبائل ثقيف العسكرية ليساندا قريشا في نزاعها المسلح ضد المسلمين ، وإذا ما نشبت الحرب بينهما ، وذلك على أثر الدعاية الكاذبة التي بثتها قريش في جميع القبائل العربية من أن محمدا وأصحابه قد جاءوا للهجوم على قريش في عقر دارها ، يريدون انتهاك الحرمات واستباحة المقدسات ، مما حمل حلفاء قريش من القبائل المجاورة أن يهرعوا تستنفرين كافة قواتهم المسلحة لنجدة قريش والدفاع عن مكة ومقدساتها ، وعلى رأس هذه القوات كانت قوات قبائل ثقيف بزعامة عروة بن مسعود الثقيفي وقبائل الأحابيش بزعامة الحليس بن زبان .

وكان سيد ثقيف هذا حازقا محنكا مطاعا في قومه ، ذو عقل راجح وتجارب عديدة فقد استهجن صنيع عكرمة بن أبي جهل وبعض المتطرفين من الشباب القرشي المتمسور

فقال : (والله ما رأيته كاللوم رأيا أعجب ، وما تكرهون أن تسمعوا من يد يل وأصحابه ، فان أعجبكم أمرا قبلتموه ، ولئن كرهتم شيئا تركتموه ، لا يفلح قوما فعلوا هذا أبدا). (١)

وعلى أثر ما سمع زعماء قريش من قول عروة بن مسعود هذا وخوفا من أن يظهر لديه ولدى الزعماء الآخرين من حلفاء قريش ، بطلان إدعاءات قريش وتزويرها للحقائق فينقلب الموقف لصالح المسلمين ، فقد قرر رجال من عقلائهم وزعمائهم تلافي هذا الموقف وحاولوا بأن لا يظهرُوا أمام حلفاءهم مظهر المعتدى . وقد طلبوا من يد يل أن يخبرهم بما عنده ، فأبلغهم يد يل بذهابه ووفده الى النبي صلى الله عليه وسلم بالهدية ، وما دار بينه وبين النبي صلى الله عليه وسلم من مفاوضات ، حول مجيئه الى مكة وما قاله النبي صلى الله عليه وسلم له حول هذا الموضوع . فقد ذكر ابن اسحاق من رواية الزهري أن يد يل قال لهم : (يا معشر قريش إنكم تعجلون على محمد ، إن محمدا لم يأتكم لقتال ، وانما جاء زائرا لهذا البيت ، معظما له ، فاتهموهم وجبهوهم (٢) ، وقالوا : ولئن كان جاء لا يريد قتالا ، فوالله لا يدخلها علينا عنوة أبدا ولا تحدث بذلك عنا العرب (٣) . ثم نقل اليهم العرض السلمي الذي إذا ما وافقت عليه قريش ، فانه يقضي بأقامة معاهدة بين الفريقين بأمن كل منهما الآخر ولو لمدة زمنية قصيرة . . .) (٤)

(١) إمتاع الأسماع : للمقرئ ج ١ ص ٢٨٦ . والواقدي : المغازي ج ٢ ص ٥٩٤ ، عالم الكتب بيروت .

(٢) جبهوهم : خاطبوهم بما يكرهون . نقول جبهت الرجل : أي خاطبته بما يكره .

(٣) سيرة ابن هشام ج ٣ ص ٣٦٠ . دار الفكر .

(٤) انظر السيرة النبوية لأبْن كثير ج ٣ ص ٣٣٠ - ٣٣١ . وإمتاع الأسماع للمقرئ

مبحث ثان :

التحليل الإعلامي لرسالة بديل الشفوية :

نستطيع القول بأن رسالة بديل الشفوية هذه قد حققت كافة أغراضها الإعلامية بنجاح كامل ، وكان لها أحسن النتائج الإعلامية . فقد سمع زعماء قريش وزعماء القبائل الحليفة الأخرى الى ما قاله بديل وهو ينقل لهم رسالة النبي صلى الله عليه وسلم الإعلامية الشفوية التي تتضمن رغبة المسلمين الأكيدة الصادقة بنهذ الحرب وحققن الدماء واخترام المقدسات وأنه واصحابه لم يأتوا يريدون قتالا وإنما جاءوا عاراً ومعظمين لهذا البهت ، وإن حققهم في ذلك كسائر العرب .

هذا ولقد استعمل بديل أسلوب المقدمة الشاملة لخلاصة الخبر الإعلامي في جملة واحدة ، وذلك عندما قال لزعماء قريش :

يا معشر قريش إنكم تعجلون على محمد

فقد استهل بديل كلامه بهذه البداية المحركة للأنتباه بانتظار لما سيأتي بعدها من عبارات مكملة لها . ثم أضاف قائلا : إن محمدا لم يأت لقتال أحد وهذه العبارة الثانية هي مكملة لمعنى العبارة الأولى ، بالنسبة لتسلسل هذه الرسالة الشفوية . ثم انتهى الى المقصود بقوله : إن محمدا جاء لزيارة هذا البهت وتعظيمه . هذه العبارات الثلاثة التي ذكرها بديل - حسب تسلسلها الإعلامي - تحمل أرقى معاني الاتصال الشفوي ، وذلك في عرضه للموضوع وتنسيقه للعبارات بطريقة فنية ومرتبة وذلك لأن الحجج المهمة التي تقدم في بداية الرسالة الإعلامية تترك تأثيرا كبيرا لدى المستمعين لهذه الرسالة الإعلامية .

يقول الدكتور عبدالعزيز شرف : (إن المقدمة في الخبر الإعلامي هي تقديم الحجج أو العناصر الرئيسية في البداية وما يليها في الأهمية بعد ذلك ، فهي تتبع ترتيباً هرمياً يقوم على تقديم الحجج الرئيسية في البداية) (١)

والجدير بالذكر أن بديل قد بدأ عباراته بلموع قريش على عملها مبيناً لها خطأها بما

قامت به من عمل ، لأن هذه الاستعدادات العسكرية ليس لها ما يبررها ما دام أن محمدا لم يأت لقتالهم وإنما جاء زائرا معظما للبهت شأنه في ذلك شأن بقيّة العرب .

وهذا السرد المباشر فإن يدل يكون قد أنجز رسالته الإعلامية الشفوية بأقصر العبارات الممكنة وذلك عند ما ابتدأ بعرض أكثر عناصر الرسالة أهمية في المقدمة ثم انتقل الى العناصر المكملّة الأخرى ذات المدلول الإعلامي الواضح ، وهذا ما يتعارف عليه الإعلاميون اليوم بأسلوب الهرم المقلوب .

ويوضح لنا ذلك الدكتور إبراهيم إمام بقوله : (إن الخبر الإعلامي الحديث له قوالبه الجديدة القائمة على السرد المباشر واعطاء كل الحقائق بأقصر العبارات الممكنة والابتداء بالعقدة أو أهم عناصر الخبر في البداية مباشرة ، وهذا ما يسمى بأسلوب الهرم المقلوب .) (١)

وإن مما لا شك فيه أن عوامل النجاح الإعلامي لرسالة يدل الإعلامية يمكن فسي أسلوب العرض المنظم وعوامل الاختصار للخبر الإعلامي المباشر .

فلقد كان الأبحار الذي استخدمه يدل في رسالته الإعلامية الشفوية إيجازا ذا معاني ودلالات إعلامية هادفة ، فكل عبارة من تلك العبارات كانت تحمل في طياتها معاني سابقة من أجزاء تلك الرسالة الشفوية المختصرة . وهذا التنظيم لمضنون الخبر الإعلامي فإنه يمكننا القول بأن تأثير هذه الرسالة الإعلامية كان مباشرا على قريش وحلفائها المجتمعين معها في بلد ح ، وذلك بعد أن سمع زعماء هذه القبائل المتحالفة مع قريش بأن الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه الكرام قد جاءوا زائريين للبيت الحرام معظمين له ، وليس كما قالت قريش وادعت بأن محمدا وأصحابه جاءوا لغزو قريش في عقر دارها والاعتداء على المقدسات ، الأمر الذي أدى الى تصديق جبهة قريش الداخلية وخلخلتها ، بعد أن اتضح الموقف الحقيقي للجميع .

(١) الدكتور إبراهيم إمام . المرجع السابق ص ١٢٩ .

ومن هنا فإن المضمون الإعلامي لرسالة بديل وأساليب تنظيم أجزاء هذه الرسالة وطريقة عرضها تكون قد أدت دورها بنجاح كامل . يقول الدكتور عبد العزيز شرف : (إن ما لا شك فيه أن المضمون الإعلامي وأساليب تقديمه وتنظيم أجزاء الرسالة الإعلامية ، من أهم عوامل النجاح الإعلامي .) (١)

وأما فيما يتعلق بالهيكل الإعلامي لتركيب رسالة بديل الإعلامية ، فإن هذا الهيكل يتكون في ترتيبه من مقدمة الخبر الإعلامي ، فالبرهان ، ومن ثم الهدف المقصود ، أو الخاتمة .

وهذا الهيكل يمثل من وجهة النظر الإعلامية ، أجزاء تلك الرسالة في عرض الحالة الراهنة والبرهنة عليها .

يقول الدكتور محمد غنيمي هلال : (إن لكل كلام جزءان جوهريان : هما عرض الحالة ثم البرهنة عليها . ولا يمكن الاستغناء عن أحدهما بالآخر ، ولا تقديم ثانيهما على أولهما ، لأن البرهان لا بد أن يلي الحالة التي يراد أن يبرهن عليها وهذا تكون أجزاء القول بالرسالة عامة ثلاثة هي :

(١) المقدمة .

(٢) الفرض : ويقصد به ما يشمل عرض الحالة والبرهنة عليها .

(٣) الخاتمة : وتقضي بوحدة العمل الفني وإدراك الموضوع بما يتضمنه من أفكار . ثم

تنظيم المعاني أو وحدات المضمون بحيث تكون مرتبة ومنسقة لتتجلى وحدتها .) (٢)

وتأسسها على هذا الفهم ، فقد استتسلت رسالة بديل الإعلامية هذه على جميع تلك

الأجزاء الثلاثة المذكورة في قول الدكتور هلال .

(١) الدكتور عبد العزيز شرف . المرجع السابق ص ١٥٩ .

(٢) الدكتور محمد غنيمي هلال : المدخل إلى النقد الأدبي الحديث . ص ٢٤٢ .

فقد تضمنت فعلا ، في إطارها العام المقدمة الملفتة للانتباه ، وذلك عند ما قال قريش : يا معشر قريش انكم تعجلون على محمد وهذه تعتبر بداية ناجحة لشد أسماع قريش وحلفائها الى ما سيأتي بعدها من كلام ، وهو البرهان في قوله : أن محمدا لم يأت لقتال أحد ، ومن ثم انتهى الى الهدف المقصود عند ما قال : إن محمدا جاء زائرا لهذا البيت ومعظما له .

ولا شك أن هذا الترتيب لأجزاء هذه الرسالة الإعلامية بهذه الطريقة قد دل على الأسلوب الفني لها ، فقد تناسقت أجزاء هذه الرسالة تناسقا فنيا ، بحيث أصبحت كسل عبارة مكلمة لما سبقتها وتدل على المعنى العام لهذه الرسالة الإعلامية الشفوية . وقد حافظت الخاتمة على وحدة المضمون الكلي لهذه الرسالة ووضعتها في قالب إعلامي متكامل .

أما نتيجة هذه الرسالة الإعلامية الشفوية ، فلقد أسفر عن إظهار موقف قريش الحقيقي أمام حلفائها وكشف أباطيلها وزيف إدعائها ، الأمر الذي جعل قريشا تشعر بالحرج أمام زعماء القبائل الحليفة ما أدى الى إضعاف الثقة بها . ولما كان من المعروف عند العرب جميعا أن قريش هي السادة للكعبة ، والقائمة على أمر المقدسات ، وأنها تسهل للعرب جميعا زيارة الأماكن المقدسة ومساعدة الحجاج والمعتزين فأنها هي نفسها الآن أول من يقوم بخرق هذا النظام المتعارف عليه بداهة عند العرب جميعا ، وذلك بعد أن اتضح للجميع من خلال رسالة بديل الإعلامية ، بأن النبي صلى الله عليه وسلم وصحبه الكرام إنما جاءوا عارًا وليسوا محاربين كما ادعت قريش.

وأما هذا الموقف المحرج الذي فضح مكائد قريش ، فقد حاول زعمائهم أن يظهروا أنفسهم أمام حلفائهم بمظهر المتعقل والمتفهم للأمر في محاولة منهم لتلافي الموقف وقرروا إرسال مبعوثا عنهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالهدية قيمة وذلك من أجل أن يقف على الأخبار الحقيقية للمسلمين . وقد وقع اختيارهم على أحد زعمائهم وهــو () مكرز بن حفص أخا بني عامر بن لؤي " ليكون أول مبعوثا لهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كما جاء في رواية ابن اسحاق (١).

قريش تبعث بأحد زعمائها الى الحديبية :

ذهب مكرز (١) بن حفص مبعوث قريش الأول الى رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحديبية للالتقاء بالنبي صلى الله عليه وسلم والاستفسار منه عن سبب مجيئه الى مكة وتبادل وجهات النظر والتعرف على آراء المسلمين الحقيقية ، هذا وعندما وصل هذا المبعوث الى الحديبية ، ورأه النبي صلى الله عليه وسلم مقبلا من بعيد قال ، كما ذكرت لنا كتب السيرة : " إن هذا الرجل هو رجل غادر " (٢) ، إلا أن النبي صلى الله عليه وسلم قد استقبله في مقر قيادته في الحديبية ولم يرفض مقابلته بالرغم من علمه بأنه مسن النوع الغادر الذي لا يوثق به .

وقد أجرى مكرز محادثات مع النبي صلى الله عليه وسلم حول مجيئه هو وأصحابه الكرام الى مكة ، ويبدو أن مكرزا قد نقل الى النبي صلى الله عليه وسلم وجهة نظر قريش التي تقضي بعدم رغبتهم بالسماح لرسول الله صلى الله عليه وسلم بدخول مكة هو وأصحابه هذه السنة ، وإن قريشا قد صممت على هذا الرأي ولو أدى ذلك الى وقوع الحرب بين الفريقين .

غير أن مكرزا لم يسمع جوابا من النبي صلى الله عليه وسلم على كل ما قاله أكثر من الذي أبلغه الى رئيس وفد خزاعة ، عبد يل بن ورقاء الخزاعي ، وهو أنه لم يأت يريد قتالا ، وإنما جاء زائرا للبيت معظمنا له ، ولكنه إذا ما فرضت عليه الحرب فإنه سيقاتل من يقاتله وقد أشار عليه الصلاة والسلام - أثناء حديثه مع مكرز - بأن قريشا لها تجارب سابقة مع

(١) هو مكرز بن حفص بن الأحمق بالحاء المعجمة والياء المشاء ابن علقمة بن عبد الحرث بن مقد بن عمرو بن بغيض بن عامر ابن لؤي القرشي العامري . قال ابن الأثير : ذكره ابن حبان في الصحابه وقال يقال له صحبه ولم أره لغيره وله ذكر في المغازي . عند ابن اسحاق والواقدي . إنه هو الذي أقبل لافتداه سهيل بن عمرو يوم بدر ، وذكره المرتزباني في معجم الشعراء ووصفه بأنه جاهلي ومعناه انه لم يسلم وله ذكر في صلح الحديبية في البخاري . هذه رواية ابن حجر في الاصابة مجلد ٣ ص ٤٥٦ تحت رقم ٨١٩٣ ولم أعثر له على ذكر في معظم كتب تراجم الصحابة .

(٢) الواقدي : المغازي ج ٢ ص ٩٩ عالم الكتب بيروت . وابن هشام السيرة النبوية ج ٣ ص ٣٦٠ . دار الفكر .

النبي صلى الله عليه وسلم ، فأذا ما ركبت رأسها وقررت القتال فأنها سوف تجد أمامها رجالا لا يعرفون إلا الشهادة أو النصر ، وأن النبي صلى الله عليه وسلم مصر على موثقته هذا مهما كانت النتائج .

عاد مركز بن حفص الى قريش ثم توجه الى مقر القيادة العامة في بلدح ليلج زعما قريش وحلفائها نصر الرسالة الاعلامية الشفوية التي تلقاها من النبي صلى الله عليه وسلم ردا على رسالتهم اليه باستفمارهم عن سبب قدومه وصحبه الى مكة . ولقد سمع قيادة قريش وقادة القوات الحليفة من مركز بن حفص ما دار بينه وبين النبي صلى الله عليه وسلم حول موضوع محي النبي صلى الله عليه وسلم بأصحابه الكرام الى مكة المكرمة والذي كما ذكر ابن اسحاق (١) : بأن ما قاله الى مركز بن حفص لم يكن يختلف عما قاله صلى الله عليه وسلم الى بديل بن ورقاء الخزاعي من قبل .

وهذا التأكيد ، فقد بدا واضحا أمام هؤلاء القادة ، وعلى رأسهم الحليم بن زيان قائد قوات الاحابيش وعروة بن مسعود الثقفي قائد قوات قبائل ثقيف ، بأن قريشا هي التي افتعلت هذه المشكلة القائمة برمتها ، وان موقف قريش العدواني هذا قد يجبر المنطقة الى ويلات حرب لا يعلم مداها إلا الله وحده ، وبدون أي مبرر ، الأمر الذي جعل هؤلاء القادة يحاولون الذهاب بأنفسهم الى النبي صلى الله عليه وسلم والوقوف على الحقيقة قبل أن يتخذوا أي اجراء من شأنه أن يقرر مصير وجودهم بقواتهم في تلك المنطقة وذلك لذهاب الاسباب التي أدت الى مجيئهم بقواتهم الى هناك ، وكذلك لعدم وجود الاسباب الكافية والمقنعة التي تبرر بقاء وقوفهم الى جانب قريش المعتدية ناهيك عن أن هذه الحرب هي ضد أهلها وأبنائها من الطرف الآخر ، وانها تدور في البلد الحرام في الشهر الحرام ، نتيجة للمعجبة والعصبية والغطرسة ، لذلك فقد قرر الحليم بن زيان أن يذهب الى النبي صلى الله عليه وسلم من أجل أن يقف بنفسه على الحقيقة المجردة ، وأن يسمع من الرسول صلى الله عليه وسلم القصة كاملة .

الفصل الثاني

مبحث أول :

الوفد الثاني برئاسة الحلبي^(١) بن زيان :

توجه الحلبي بن زيان الى الحد بيمة حيث يربط النبي صلى الله عليه وسلم بأصحابه الكرام على حدود الحرم الشريف خارج مكة المكرمة بانتظار ما يستجد من امور وما يستغفر عنه الرسالتين الشفويتين اللتين ابلفهما لرئيس وفد خزاعة ، بهد يل بن ورقاء وسبعوث قريش مكرز بن حفص .

وعند ما أقبل الحلبي بن زيان على معسكر المسلمين ورأه رسول الله صلى الله عليه وسلم قادما ، قام عليه الصلاة والسلام بعمل دراسة تحليلية سريعة لشخصية الحلبي تمكن خلالها من تحديد السمات الخاصة والمميزة لشخصيته وذلك بأنه من قوم يتألهون . وبناء على ذلك فقد عمل عليه الصلاة والسلام على الاستفادة من هذه الميزة التي لدى الحلبي وذلك بعمل خطة إعلامية محكمة الجوانب تحقق للمسلمين تحويل الموقف لصالحهم . فقد أمر عليه الصلاة والسلام المسلمين برفع الأصوات بالتلبية وإظهار الهدى^(٢) أمام الحلبي حتى يراه ويبان كل ما من شأنه أن يظهر للحلبي بأن المسلمين إنما جاءوا وأعمارا لزيارة البيت الحرام وتعظيم حرمان الله .

فلما رأى الحلبي الهدى يسيل عليه بقلائد من عرض الوادي في ذلك المكان المجدب حيث لا يوجد ماء ولا توجد مراعي ، وقد أكل الهدى أبقاره من طول الجوع عن محله^(٣) ، ورأى المسلمين وقد استقبلوه رافعين أصواتهم بالتلبية وهم في زى الأحرام ، وقد شعثوا من طول المكوث على أحرامهم إستنكر تصرف قريش بشده .

وقد انصرف سيد بني كنانة عائدا من حيث أتى دون أن يفتح النبي صلى الله عليه وسلم

(١) الحلبي (بضم الحاء وفتح اللام) هو سيد الأحابيش وزعيم بني كنانة ، كان سيدها مطاعا في قومه ، راجح العقل ، ذو نزعة دينية . ولم أجد له ذكرا في كتب تراجم الصحابة ، مما يبعث على الاعتقاد بأنه مات على الشرك .

(٢) الهدى (يفتح الهاء) وسكون الدال) وهي الأبل والغنم والماعز التي تساق لنحرها

بشيء أو أن يفاضه كما كان مقررا من قبل ، وذلك متأثرا جدا بما رأى مقتنعا كـل
الاعتناع بأن قريشا غير محقة في تصرفها أزا^(١) المسلمين . وان عليها هذا هو عمل
عدواني ضد زوار بيت الله الحرام ولا يجوز لأحد أن يؤيدها أو أن يناصرها على ذلك .
قال ابن هشام من رواية ابن اسحاق (ثم بعثوا اليه الحليس بن علقمة أو ابن زيان
وكان يومئذ سيد الأحابيش ، وهو أحد بني الحرث بن عبد مناة بن كنانة ، فلم
رآه الرسول صلى الله عليه وسلم قال لأصحابه : " ان هذا من قوم يتألهون (١) فابعثوا
الهدى في وجهه حتى يراه " . فلما رأى الهدى يسيل عليه من عرض الوادى فسي
قلائد (٢) ، وقد أكل أثماره من طول الحبس عن محله رجع الى قريش ولم يصـل
الى النبي صلى الله عليه وسلم أعظاما لما رأى . . . وأضاف ابن هشام :
وقال لهم الحليس^(٣) معاشر قريش ، والله ما على هذا حالناكم ، ولا على هذا عاقدناكم ،
أبعد^(٤) عن بيت الله من جاء معظما له ؟ والذي نفس الحليس بيده لتخلن بين محمد
وبين ما جاء له ، أو لأتفرن بالأحابيش نفرة رجل واحد (٣) .

هذا وقد ذكر الواقدي بأن قريشا قد غضبت لصراحة الحليس هذه ووقوفه الى جانب
الحق وحاولت تلافي هذا الموقف المتدهور الذى يهدد بأنقسام خطير في جبهة
قريش العسكرية ونسف الحلف المعقود بين قريش والأحابيش وقالوا لرعيم الأحابيش (إنما
كل ما رأيت هو مكيدة من محمد وأصحابه ، فاكف عنا حتى نأخذ لأنفسنا ما نرضى به) (٤) .
وهذه النتيجة الطيبة تكون أول ثمار هذه العملية الإعلامية قد تحققت وذلك فسي
تقويت الفرصة على قريش من أن تحقق أى نجاح في كسب الحليس ووقوفه بتقاته الى
جانباها مما يحاط مخططاتها العدوانية .

(١) يتألهون : يتعبدون .

(٢) القلائد : هو ما يعلق في أعناق الهدى ليعلم أنه هدى بالغ الكعبة .

(٣) ابن هشام : السيرة النبوية ج ٣ ص ٣٦٠ - ٣٦١ . دار الفكر .

(٤) الواقدي : المغازي ج ٢ ص ٦٠٠ . عالم الكتب بيروت .

والجدير بالذكر أن هذه العملية الإعلامية التي نفذها رسول الله صلى الله عليه وسلم قد جاءت نتيجة للضرورات الملحة التي يتطلبها الظرف الحاصل في مثل تلك المواقف ، إذ لم يكن إيجاب هذه الوسيلة الإعلامية خاضعا لرد فعل معين بقدر ما هو عامل استحداث لوسيلة إعلامية حاول بواسطتها رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يترجم الكلمات الى معاني بصورة رموز إعلامية هادفة ، وقد نجحت هذه العملية نجاحا كبيرا في إحداث تفاعل داخل الفرد المستقبل نفسه ، مما أدى الى إيجاب رد فعل معين بما يتفق وتحقيق الهدف المطلوب من تلك العملية . وهذه الحالة هي أقرب ما يتعارف عليها الإعلاميون في عصرنا الحاضر بعملية رجوع الصدى .

وتشير الى ذلك الدكتور جيهان رشتي بقولها : (حينما يبدأ المرسل في تلقي المعلومات ، يتفهم المنبهات ثم يبدأ عملياً بوضع فكره في كود (١) ، وتتطوى هذه العملية على اختبار المنبهات التي تتفق مع وجهات نظره ، أى تناسبه واستبعاد تلك المنبهات التي لا تناسبه ، ويعمل الظرف الذى يحدث فيه الاتصال كموثر يحدد المعنى الفعلي للفكره ، ويتضمن الظرف استيعاب المرسل للأفكار التي تقدمها الرسالة على ضوء تجربته السابقة حيال تلك المعلومات ، وشاعره واتجاهاته وعواطفه في وقت الأرسال . ثم يتم نقل فكرة الرسالة في شكل منبهات من خلال قنوات معينة بأسلوب ما ، أى بوسائل معينة تحمل الرسالة الى المتلقي ، يفهم المتلقي منبهات الرسالة ويستوعبها ، وبذلك كود هـا لكي يقوم بتفسيرها . وتتضمن عملية فك الكود اختيار أو انتقاء المنبهات التي تتفق مع ثقافة المتلقي . وتعمل الثقافة في مثل ذلك الظرف أو المناخ العام كموثر يحدد المعنى الفعلي للرسالة ، وتتكون الثقافة من معرفة المتلقي لمعلومات الرسالة ومن ثم تجربتي السابقة حيال تلك المعلومات ومن شاعره واتجاهاته وعواطفه وقت التلقي . ويعد أن يفسر المتلقي الرسالة ، سوف يستجيب عليها وهذه الاستجابة هي رجوع الصدى أو التأثير المرتد الذى يعرف المرسل بفضل وصول الرسالة الى هدفها . فرجع الصدى يتكون من رد فعل المتلقي الداخلية والخارجية والأشارات والأعمال التي يقوم بها فيما بعد هي استجابة على هذه الرسالة . (٢)

(١) كود : بمعنى الرمز المعين وهي كلمة إنجليزية وقد استخدمت بلفظها ومعناها .

التحليل الإعلامي للعملية :

لقد كانت العملية الإعلامية التي وضعها الرسول صلى الله عليه وسلم في مواجهة زعيم الأحابيش ، تقوم على أربعة نقاط متداخلة :

- ١- دراسة تحليلية لشخصية الحليس ونفسيته .
- ٢- عمل خطة إعلامية تتناسب تناسباً كلياً مع المبادئ التي يؤمن بها الحليس .
- ٣- طهيعة الوسيلة الإعلامية التي استخدمها النبي صلى الله عليه وسلم لهذا الغرض .
- ٤- النجاح الذي حققته هذه الخطة الإعلامية .

وفيما يتعلق بالنقطتين الأولى والثانية فإن الرسول صلى الله عليه وسلم عند ما أخبر الصحابة الكرام بقوله : إن هذا الرجل من قوم يتألهون ، وأمرهم بأن يبعثوا الهدى في وجهه ، فالواضح من خلال هذه المعلومات أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان على معرفة تامة بهذا الرجل ، وأنه يحكم هذه المعرفة قد درس شخصيته دراسة موضوعية وذلك بما كان عنده من حب شديد لتعظيم الحرمات والمقدسات والعمل على الاستفادة الكاملة من هذا الجانب في كسب المعركة . وعلى هذا الأساس فقد قام عليه الصلاة والسلام بوضع خطة إعلامية مناسبة تقضي بوضع الحقائق كاملة أمام هذا الرجل ولظهار موقف المسلمين السلمي بصورة واضحة وجلية . ومن ثم استأثرت إلى جانب المسلمين أو على الأقل وقوفه على الحياد في هذا الصراع .

والجدير بالذكر أن الحليس كان يتمتع بسمعة طيبة بين العرب جميعاً وذلك لما يمتاز به من رجاحة في العقل ولما يتمتع به من مركز ممتاز بوصفه زعيماً وقائداً لقسمات الأحابيش ، ولأنه كذلك يتمتع باحترام وتقدير من جانب النبي صلى الله عليه وسلم وقريش على حد سواء . لهذا فإنه إذا ما تبين له أن الحق والعدل في جانب المسلمين فإنه يستطيع أن يلعب دوراً هاماً في إحلال السلام بين الطرفين المتنازعين والعمل على كبح جماح قريش وإقناعها بالعدول عن موقفها العدائي ضد المسلمين وصد هم عن المسجد الحرام .

ومن هنا فقد كانت الدراسة التي قام بها رسول الله صلى الله عليه وسلم لشخصية

الحليم تتناسب كلياً مع المبادئ التي يؤمن بها وعلى ذلك فقد كانت درجة التأثير والاستجابة الناتجة عن هذه العملية إيجابية تماماً ومرضية .

ينقل إلينا الدكتور إبراهيم إمام نتائج بحوث جماعة هوفلاند عن هذا الموضوع بقوله : (ومن بحوث جماعة هوفلاند في جامعة ييل دراسة نفسية هامة عن قابلية الأفراد للاقتناع والتأثر وعلاقة ذلك بتكوين الشخصية . ثم يتسائل الدكتور إمام قائلاً : فهل هناك سمات معينة تجعل الشخصية أكثر تأثراً بالمواد الاعلامية من غيرها ؟ . ويجب على هذا السؤال فيقول : لقد أجريت تجارب عن مدى التأثير بوجه عام ، ثم أجريت تجارب أخرى عن مدى التأثير بموضوعات محددة ، ولكي تتضح آثار عوامل الشخصية نفسها ، أو العوامل الواقعة بين المثير والاستجابة ، وهي الحالة النفسية الوسيطة ، كان لا بد من اختيار مجموعة من ذوي الشخصية السوية ، ومجموعة أخرى من المصابين بالامراض العقلية . وقد أثبتت التجارب أن هناك علاقة وثيقة بين سمات الشخصية ودرجة القابلية للاقتناع والتأثر) . (١)

وتأسيساً على هذا الفهم فإن الدراسة التي قام بها رسول الله صلى الله عليه وسلم للسمات الشخصية والنفسية للحليم بن زبآن ، ومن ثم تهيئة هذه السمات للطرق الاعلامية الفعالة والمؤثرة ، وتوفير المناخ الملائم لبث العملية الاعلامية ، قد أدى الى انجاحها وذلك في جعل الحليم يفسر ظواهر هذه العملية ومدلولاتها الاعلامية التفسير الذي يخدم الأغراض التي وضعت من أجلها هذه العملية الاعلامية . فمن الحق القول ان هذه الخطة الاعلامية قد أدت دورها وحققَت أغراضها بنجاح تام . تقول الدكتورة جيهان رشتي : (ان بعض الدراسات تشير الى أن هناك علاقات ايجابية بين المقدرة الذهنية والتأثر بالرسائل الاتقاعية . وان هذا الاستعداد الذهني يتوقف على مدى الاستمالات المستخدمة) . (٢) ولا شك أن عنصر الذكاء كان عاملاً حاسماً في هذه العملية الموجهة فالرسول صلى الله عليه وسلم استطاع بما حباه الله من ذكاء وفطنة نادرين ، أن يحرك الكوامن الداخلية لدى الحليم

(١) دكتور إبراهيم امام : الأعلام والاتصالات بالحماس ص ٥٤ .

(٢) دكتور جيهان رشتي : الأعلام والاتصالات بالحماس ص ٥٤ .

بسرعة مناسبة وبدقة متناهية ، كذلك فإن الحليس عند ما استطاع تفسير مضمون هذه العملية والاستجابة لها بهذه السرعة ، قد دل ذلك على أن هذا الرجل كان يتمتع بقدر عال من الذكاء أيضا . فهند ما رأى الهدى يسيل من عرض الوادى ، بقلائده قد أكل أثماره من طول الحبس ورأى المسلمين وقد شعثوا من طول المكوث على لإحرامهم فإنه وكما جاء في السيرة الحلبية : (صاح مستنكرا تصرف قريش ، وقال : سبحان الله ، ما ينبغي لهؤلاء القوم أن يُصدوا عن البيت ، أبى الله إلا أن يحج لخم وحذام ونهد وحمير ، ويمنع بن عبد المطلب ؟؟؟!! . ثم قال : هلك قريش ورب الكعبة ، وإنما القوم أتوا عمارا .) (١)

ومن هنا يتضح لنا مقدار تأثير الحليس بهذه العملية الإعلامية ومقدار الذكاء الذى كان يتمتع به هذا الرجل .

وتفسر لنا الدكتور جيهان رشدي ظاهرة الذكاء هذه من وجهة النظر الإعلامية فتقول : (إن الأفراد ذوى الذكاء المرتفع يتأثرون أكثر من الأفراد ذوى القدرات الذهنية المنخفضة ، لأنهم أقدر على الخروج باستنتاجات ، حينما يتعرضون لرسائل إقناعية تعتمد أساسا على حجج منطقية مؤثرة ، وإن الأفراد الأكثر ذكاء ، أقل تأثرا من الأفراد الأقل ذكاء ، حينما يتعرضون لرسائل إقناعية تعتمد أساسا على تعميمات ليس هناك ما يدعمها أو حجج زائفة غير منطقية أو غير متصلة أساسا لأن قدراتهم النقدية أقل .) (٢)

وجدد بالقول أن الرسول صلى الله عليه وسلم في حركته الإعلامية هذه ، كان يركز على الناحية الدينية التي يتميز بها الحليس ، وذلك عند ما بدأ العمل على استمالته وإقناعه بتغيير ما كان يحمله من أفكار وآراء الى أفكار وآراء معاكسة تماما ، وذلك عن طريق الرموز الإعلامية ذات المفاهيم الدينية . والدليل كما هو معلوم ، من أقوى العوامل الإيجابية

(١) السيرة الحلبية : ج ٢ ص ١٣٢ .

(٢) الدكتور جيهان رشدي : المرجع السابق ص ٥٤٥ .

والمؤثرة على الإنسان ، إن أن حياة الإنسان في هذه الدنيا ترتبط به ارتباطا كلياً ومصيرياً وهو الأساس الذي ينطلق منه عمل الإنسان سواء كان إعلامياً أو غير ذلك .

ويوضح لنا ذلك الدكتور محمد الهوارى بقوله : (الدين يعتبر من العوامل الأساسية التي تؤثر على سلوك الأفراد في المجتمعات ، والعواطف والأنفعالات ترتبط بالأفكار والمعتقدات . والحياة الروحية هي جزء أساسي من فلسفة الإنسان بالنسبة لوجوده ومصيره . لهذا فهي تلعب دوراً هاماً في تكييفه مع مصائبه وأتراحه ومصائبه في الحياة . ونحن هنا نذكر أثر الدين في المجتمع نظراً لأهمية ذلك في العمل الإعلامي والنفسي . فالأختصاصي لا يمكن أن يمارس عمله ، إلا أن يكون قد عرف جميع الظواهر النفسية والاجتماعية والروحية التي لها تأثير على مواقف الفرد واتجاهاته . (١) وهذا يمكننا القول بأن الدراسة التحليلية التي أجراها الرسول صلى الله عليه وسلم لشخصية الحليس من جهة ، والعملية الإعلامية التي واجهه بها من جهة أخرى ، قد أسفرتا عن النتائج الإيجابية المطلوبة ، الأمر الذي جعل الحليس يعود بانطباع معاكس تماماً لما كان يحمله عن المسلمين من قبل .

ولا بد من الإشارة هنا - ونحن نستفيد من هذه الدروس العظيمة - بأنه على الدعاة والعاملين في حقل الدعوة الإسلامية الاستفادة من هذه الدروس والعمل على إيجاد الدراسات العملية والنفسية للأشخاص ، قبل مبادأة تهم بالدعوة ، وذلك من أجل أن يكون لدى الداعية المسلم الخلفية المناسبة للأشخاص الذين تعمل الدعوة على كسبهم الى صفوفها .

(١) الدكتور محمد الهوارى : الإعلام الإسلامي والعلاقات الإنسانية ص ٧٧ - ٧٨
طبعة الندوة العالمية للشباب الإسلامي .

بحث ثان :

الوسيلة الإعلامية :

أما بخصوص النقطة الثالثة من هذا التحليل الإعلامي ، فهي تتعلق بالوسائل الإعلامية التي استخدمها الرسول صلى الله عليه وسلم في رسالته الإعلامية الموجهة الى الحليس ، بطريقة الرمز الإعلامي الهادف . وهذه الوسائل الإعلامية هي :

✱ الهدى المقلد .

✱ زى الأحرام .

✱ رفع الأصوات بالتلبية .

ولا شك أن الطريقة المتقنة التي استخدمت هذه الوسائل الإعلامية بها ، كانت طريقة مؤثرة وهادفة ، مما أدى الى وجود نتائج إيجابية جيدة .

تقول الدكتور جيهان رشتي : (تهدف أغلب وسائل الإعلام والرسائل الإعلامية الى التأثير . فالهدف من أى رسالة أن تعاون على بناء أو إفهام ظرف ما لشخص آخر ، والتأثير عليه ليقوم بعمل معين ، أو يشعر بمشاعر معينة .) (١)

وسا يذكر أن الرسول صلى الله عليه وسلم عندما قام باستخدام هذه الوسائل الإعلامية على شكل رموز وإعلامية هادفة ، إنما كان مبدعا في هذا الفن ، غير مقلد فيه ومن ناحية أخرى فإن هذه الرموز الإعلامية ، كانت رموزا إعلامية عرفية تقليدية ، لأن أنه من المتعارف عليه في الجزيرة العربية ، أن هذه الرموز الإعلامية لا تستعمل إلا في حالة الحج أو العمرة فقط . فالأحرام والهدى والتلبية ، كلها رموز وإعلامية تخضع فـي استعمالها للزمان والمكان ، وتعتمد في تأثيرها على السمع والرويا .

ويستعرض أولمان مسألة تقسيم الرموز الإعلامية ومدلولاتها من وجهات النظر المتعددة ، فيقول : (إنه من الطبيعي أن يكون السمع والروية - أعظمها منزلة ، إذ أن أعظماهما أكثر الأعضاء رقيا . وقد وجد من وجهة نظر أخرى أن الرموز ، لمسا

طبيعية أو تقليدية عرفيه . فالرموز الطبيعية لها نوع من الصلة الذاتية بالشيء الذى ترمز اليه . فالهلال يعد رمزا طبيعيا للسلام . والصفارة هي أداة لضبط الوقت والأنداز . ولأن استعمال اللون الاسود علامة للحزن ، وهز الرأس دليلا للرفض ، ثم يخلص الى القول : بأن هذه الرموز كلها ما هي الا وسائل ورموز تقليدية عرفية ، وتصبح غير مفهومة خارج البيئة التي وجدت فيها . (١)

ومن جهة أخرى فان المعنى الدلالي للرموز الإعلامية التي استخدمها الرسول صلى الله عليه وسلم يتضح من المعنى الطبيعي والتقليدى المجرى لها . إذ أن الشخص الذى يتعرض للنظر الى هذه الرموز يستطيع أن يكون رأيه القاطع ضمن إطارها الدلالي . وتوضح لنا هذا المفهوم الدكتور جيهان رشتي ، عندما تقول : (يعتمد أى كائن حي على العلاقات الطبيعية ، التي تحيط به . ولكن البشر يعتمدون بالإضافة الى العلامات الطبيعية على المعاني المجردة ، أو الرموز الهامة التي يعطونها معان يتفقون عليها ويتصلون بها . ويفضل هذه العلامات الطبيعية والرموز الهامة يكون الفرد وإطاره الدلالي . (٢)

هذا ويتحدث الدكتور عبد العزيز شرف من وجهة نظره عن تأثير الدلالة الإعلامية وعن مدى قدرتها في تغيير حالة قائمه فيقول : (إن معيار الدلالة الاعلامية ، يقوم على النظرية المتعلقة بجوهر الاعلام كأساس عام للقيم الاعلامية وكل ما له قيمة اعلامية ، مما يغير حالة قائمه أو يندرج بتغييرها ، إنما يترتب على حوادث وقعت فعلا ، أو هي في سبيل أن تقع ، وهي حوادث تتميز بدلالة تقوم على الصراع ومراكز الاهتمام الانساني . ففي المجتمع ألوان شتى من الصراع ولمعظمها أهمية اخبارية (٣) .

ولما كانت هذه الدلائل الإعلامية تعتبر ذات أثر اعلاميا فعال في التأثير على الحالة النفسية لشخص ما ، أو لأشخاص كثيرين في تغيير سلوكهم ، فلما استخدم هذه

(١) ستيفن أولمان : دور الكلمة في اللغة ص ١٩ الترجمة العربية للدكتور بشر .

(٢) دكتور جيهان رشتي : المرجع السابق ص ٦٠٣ .

(٣) د . عبد العزيز شرف : فن التحرير الاعلامي ص ١٢٥ . الهيئة المصرية العامة للكتاب .

الوسائل والتحكم في استعمالها ، بما يحقق الاستجابة المطلوبة ، ليس ذلك — من الأمور السهلة .

ويوضح لنا ذلك الدكتور ابراهيم امام بقوله : (يهتم الاعلاميون بالدلالة لأنها الحالة النفسية التي تتوسط التأثير بالرمز والاستجابة له . فالإنسان يتأثر بمنبه من المنبهات التي حوله ، ثم يستجيب لهذا المنبه وفقا لدلالته بالنسبة له ، ان أن الدلالات تختلف من حضارة الى حضارة ، ومن بيئة الى بيئة أخرى ، بل من شخص لآخر . ولما كانت الدلالات هي التي تتحكم في تصرفات الناس وأساليب سلوكهم ، فإن من يستطيع تغيير — هذه الدلالات يمكنه أن يغير السلوك أو يعدله . ومن الواضح أن فنون الاتصال بال جماهير من رعاية واعلام وتعليم وعلاقات عامة وغيرها ترمي الى تعديل السلوك بطرق مختلفة . وليس تعدل الدلالات والمفاهيم بالأمر الهين ، كما يبدو لأول وهلة .) (١)

ويحدثنا صاحب البرهان عن الدلالة الاعلامية من الناحية البلاغية ، أو ما يطلق عليه ، بهان الاشياء بذواتها ، فيقول : (فالأشياء تبين للناظر المتوسم ، والعامل المتبين بذواتها ، ويعجيب تركيب الله فيها ، وآثار صنعته في ظاهرها . قال تعالى : ((ان في ذلك لآيات للمتوسمين)) (٢) . وقال : ((ولقد تركنا منها آية مبينة لقوم يعقلون)) . ولذلك قال بعضهم : قل للأرض من شق أنهارك وفس أشجارك ، وجنى ثمارك ، فإن أجابتك حواراء ، ولعل أجابتك اعتبارا ، فهي وأن كانت صامتة في نفسها ، فهي ناطقة بظواهرها وأحوالها . وعلى هذا النحو استنطق العرب الربيع وخاطبت الظلل ، ونطق عنه بالحواب على سبيل الأستعارة في الخطاب وقال الشاعر :

يا ربيع بأسرة بالجناب تكلم وأبى لنا خبرا ولا تستعجم
مالي رأيك بعد أهلك موحشا خلقا لحوض الباقر المتهدم (٤)

-
- (١) الدكتور ابراهيم امام : الاعلام والاتصال بال جماهير ص ٢٢ مكتبة الأنجلو المصرية .
(٢) سورة الحجر الآية (٧٥) .
(٣) سورة الخنكوت الآية (٣٥) .
(٤) والبهتان للحارث بن خالد المخزومي وهو شاعر اسلامي وأحد شعراء قريش المشهورين والبيسر (بضم الباء) والسين الممثلة وهو اسم حارية لعائشة بنت طلحة . انظر الأثاني ج ٣/ ٣٣٥ . والباقر : جماعة البقر مع رعاتها والحناب بفتح الجيم وكسرهما اسم مكان . واستعجم سكت . (البرهان في وجوه البيان ص ٥٧ . تحقيق جفني محمد شرف . مطبعة الرسالة القاهرة) .

وحول النقطة الرابعة والأخيرة والتي تتعلق بنجاح الخطة الإعلامية التي وضعها رسول الله صلى الله عليه وسلم في مواجهة الحليس ، فانه يمكننا القول بأن هذه الخطة الإعلامية التي تقوم في أساسها على الحركة الإعلامية والرمز الهادف ، قد حققت نجاحا رائعا ونصرا هائلا في الوصول الى النتيجة المطلوبة .

وسا يذكر أن نجاح هذه الخطة الإعلامية لم يكن مقتصرا على ترك زعيم الأحابيش ليستخلص النتائج بنفسه فقط ، ولكن في مدى تأثير هذه الخطة الإعلامية وإمكاناتها ومدى قدرتها على تغيير الاتجاه والسلوك الأنساني وارتداد الأفكار ، وبالتالي قلب الوضع ليكون ولا زعيم الأحابيش الى المسلمين ، بدلا من ولائه لقرش . وهذا يمكن الرسول صلى الله عليه وسلم قد تمكن من تحقيق الظهور الإعلامي المطلوب في هذه الحالة ويعرف الشيخ زين العابدين الركابي الظهور الإعلامي بأنه : (تفوق في شعار تجاري أو سياسي على شعار آخر منافس له في عالم الأفكار والعقائد ، حيث يسعى كل صاحب مذهب وفكر على ظهور مذهبه أو فكره) (١) .

ولا شك أن زعيم الأحابيش كان حتى وصوله الى معسكر المسلمين في الحد بيعة يحمل في قرارة نفسه بأن المسلمين هم بغاة معتدين يريدون هتك حرمة البيت العتيق بالحرب والقتال وهو ما زيفته له ولغيره الدعاية القرشية الكاذبة . وها هو الآن يرجع الى قرش متغير الوجه والأفكار حاملا معه الحقيقة المجردة بما رآه بعينه وسعه بأذنيه من أن المسلمين قد جاءوا ليعظموا بيت الله الحرام وليبلغوا الهدى محله وليس كما زعمت قرش . وقد وجد كل الدلائل الحقيقية على ذلك مما جعل لديه القناعة التامة التي لا يساورها أدنى شك من أن الغرض الحقيقي لمجيء المسلمين الى مكة انما هو أداء العمرة فقط .

(١) يمكن الرجوع الى تعريف الشيخ زين العابدين الركابي لموضوع الظهور الإعلامي الإسلامي في بحث كتبه في كتاب الاعلام الاسلامي والعلاقات الانسانية ص ٣٢١ طبعة الندوة العالمية للشباب الاسلامي .

ولا شك أن هذا الموقف قد أوجد عند الحلبي تغييرا كبيرا تجاه المسلمين وتجاه قريش أيضا . حيث رسخ في ذهنه بما لا يدع مجالا للشك ، بأن المسلمين ليسوا كما قالت عنهم قريش ، وانهم لم يرتكبوا أى خطأ ضد أحد من الناس عند ما جاءوا لزيارة الأماكن المقدسة في مكة . وإن قريشا هي التي افتعلت هذه الأزمة بغيا وعدوانا . وبهذه النتيجة الرائعة يكون الرسول صلى الله عليه وسلم قد تمكن تماما من تحقيق التغيير المطلوب في أفكار الحلبي عن المسلمين بشكل عام عن طريق استخدام فنس الأعلام بصورة متقنة وفعالة تقوم على أساس علمي مدروس . ولنستمع الي ما يقوله الدكتور محمد الهوارى في حديثه عن كيفية استخدام فن الاعلام فسي العمليات النفسية ، يقول : (إن فن الأعلام عنصر هام في العمليات النفسية فهو أسسطته يمكن ترسيخ الافكار وتبديل المواقف لدى بعض الأشخاص أو الجماعات ويمكن أن يتم الأعلام بواسطة الفرد والجماعة للتأثير على عواطف وسلوك واتجاهات الآخرين والمادة الاعلامية بعد ذاتها تعتمد على تعابير واقعية وملموسة تفرضها درجة الثقافة وستواها .) (١)

وما من شك بأن التأثير الناتج عن هذه العملية الاعلامية كان ناجحا الى حد ، أن هذا التغيير لدى الحلبي لم يقتصر فقط على التغيير في أفكاره وإنما شمل أيضا اتجاهاته وتصرفاته وسلوكه بحيث أصبحت المؤثرات الفعلية واضحة على سلوك الحلبي . يقول الدكتور ابراهيم إمام : (إن المؤثرات الكمية ليست هي الدليل النهائي على نجاح التأثير ولا شك ، أن الأهم من ذلك هو التأكد عن مدى تأثر الناس فعلا بما يقرأونه ويسمعونه ويشاهدونه ، فعلينا أن نعرف كيف استجاب هؤلاء الناس للعناصر الاعلامية التي يتعرضون لها . ويضيف الدكتور إمام : وحتى مدى التأثير نفسه لا يكفي لأن الأعلام لا يرمي الى مجرد تغيير الاتجاهات وانما يرمي الى تغيير السلوك نفسه ،

(١) الدكتور محمد الهوارى : الأعلام الأسلامي والعلاقات الانسانية ص ٧٨ .

فلا يكفي أن يبدى المستهلك إعجابه بالسلعة ، بل المهم أن يقدم على شرائها وبشرتها فعلا . ولا يقنع الداعية بمجرد إعجاب الحماهير بما يقول بل المهم أن ينظم الناس الى التنظيم الذى يدعوا له . (١)

وفي هذه الأثناء ، حينما كانت الفوضى والأضطراب يديان في معسكر قریش على أثر التصريحات التى أدلى بها سيد الأحابيش ، وأعلن فيها عن وقوفه الى جانب الحق والعدل في هذا الصراع ، وذلك بعد عودته من الحديبية .

وفى ما كان عروة بن مسعود الثقفي قائد قوات ثقيف التى ترابط الى جانب قریش في بلدح ، يرقب الأحداث الدائرة حول هذه الأزمة عن كثب ، تلك الأحداث التى بدا له فيها واضحا ، بحكم مركزه القيادى ، من أن قریشا هي التى قد افتعلتها ، مما جعله يدرك الصورة الحقيقية لموقف النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه الكرام . وهي الصورة التى كانت قریش قد أعطت عكسها ، وعلى أساس من هذا الإدراك الصحيح والتقويم الحقيقي للموقف فقد تبين لدى عروة بن مسعود ، كما تبين لدى سيد الأحابيش ، من أن النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه الكرام لم يكونوا مخطئين ولا معتدين حينما جاءوا محرمين لزيارة البيت الحرام . هذا ولقد أدرك سيد ثقيف كذلك أن العرض السلمى الذى دعى فيه النبي صلى الله عليه وسلم الى السلم والمودة ونهذ الحرب ، هو عرض عادل من وجهة نظر الجميع وإنها خطة رشدا لا يحوز لقریش أن ترفضها ، الأمر الذى جعل قریش في نظر العرب في موقف الحائر المعتدى .

لهذا فقد وجه عروة بن مسعود اللوم صراحة الى حلفاء القرشيين ونصحهم بأن يغيروا من موقفهم هذا ، وأن يقبلوا العرض النبوى الذى جاء به بديل بن ورقاء الخزاعي . فقال لهم عروة بن مسعود كما جاء في رواية الواقدي : (يا معشر قریش تتهموني ؟ قالوا : ما أنت عندنا بمتهم . ثم قال لهم : أستم الوالد وأنا الولد ؟ قالوا : نعم ، قال : وقد استغفرت لكم أهل عكاظ لنصرتكم ، فلما بلحوا (٢)

(١) الدكتور ابراهيم إمام : المرجع السابق ص ٣٤٥ .

(٢) بلحوا : امتنعوا عن الأجابة .

عليّ نفرت لكم بنفسي وولدي ومن أطاعني ؟ فقالوا : قد فعلت ، فقال : لوني ناصح
لكم ، شفيق عليكم ، لا أدخر عنكم نصحا ، وإن بدى لا قد جاءكم بخطة رشد لا يرد هـا
أحد إلاّ أخذ شراً منها فاقبلوها منه ، وابعثوني حتى آتيكم بمصداقها من عنده (١)
بعد أن اقترح عليهم أن يكون وسيطهم الى النبي صلى الله عليه وسلم لحل هذه الأزمة
قال ابن إسحاق من رواية الزهري : (ثم بعثوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
عروة بن مسعود الثقفي . (٢)

(١) الواقدي : المغازي ج ٢ ص ٥٩٤ هالم الكتب بيروت .

(٢) ابن هشام السيرة النبوية ص ٣٦١ ، دار الفكر .

الفصل الثالث

بحث أول :

الحرب النفسية في مفاوضات عروة بن مسعود :

غادر عروة بن مسعود الثقفي (١) ، زعيم قبائل ثقيف ، معسكر المشركين في بلدح متوجها الى الحدبية ، حيث يربط النبي صلى الله عليه وسلم بقواته المسلحة هناك ولما اقترب من معسكر المسلمين استأذن قيادة حرس المعسكر لمقابلة النبي صلى الله عليه وسلم ، فاستقبله النبي صلى الله عليه وسلم في مقر قيادته أحسن استقبال ورحب به أحسن ترحيب أملا منه عليه الصلاة والسلام ، أن هذا الوسيط بما لديه من مكانة مرموقة وسمعة طيبة لدى قريش ، سيفق الى جانب الحق والعدل ، ويعمل بالطرق السلمية على حل هذه الأزمة وإبعاد شبح الحرب عن منطقة الحرم الشريف . وأن يعمل كذلك على إقناع قريش بتغيير موقفها المتعنت والسماح للمسلمين بدخول مكة وأداء مناسك العمرة .

(١) ذكر في الاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبد البر بن عاصم القرطبي ج (٣) ، ص ١١٢-١١٣ . هو عروة بن مسعود بن متعب بن مالك بن كعب بن عمرو بن سعد بن عوف بن ثقيف ، واسمه قيس بن منبه بن بكر بن هوازن الثقفي أبو مسعود وقيل أبو يعفور ، شهد صلح الحدبية . قال ابن اسحاق ، لما انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم من الطائف اتبع عروة بن مسعود أثره حتى أدركه قبل أن يصل الى المدينة فأسلم ، وسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يرجع الى قومه بالاسلام ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن فعلت فلنهم قاتلك . فقال يا رسول الله أنا أحب اليهم من أبصارهم . وكان فيهم محبا مطاعا ، فخرج يدعو قومه الى الاسلام ، فأظهر دينه رجاء أن لا يخالفوا منزلته فيهم ، فلما أشرف على قومه وقد دعاهم الى دينه رموه بالنبل من كل جهة ، فأصابه سهم فقتله . وقيل لعروة ما ترى في ذلك قال : كرامة أكرمني الله بها ، وشهادة ساقها الله لي . قال قتادة في قول الله عز وجل ((لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم)) قالها الوليد بن المغيرة قال : لو كان ما يقول محمد حقا لكان أنزل هذا القرآن على عروة بن مسعود الثقفي . قال والقربتان هما مكة والطائف . وفي رواية عن جابر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : عرض على الأنبياء عليهم السلام ، فإذا موسى رجل ضرب من الرجال كافة من رجال ، ورأيت عيسى بن مريم فإذا أقرب من رأيت به شيها عروة بن مسعود . ورأيت إبراهيم فإذا أقرب من رأيت به شيها صاحبكم ، يعني نفسه عليه الصلاة والسلام ، ورأيت جبرائيل ، فإذا أقرب من رأيت به شيها دحية الكلبي .

كان سيد ثقيف هذا يعلم يقيناً في قرارة نفسه بأن الحق في جانب النبي صلى الله عليه وسلم وأن قريشاً هي المعتدية ، باصرارها على منع المسلمين من دخول مكة وأداء مناسك العمرة ولكنه وصفته وسيط سياسي لقوم هم أصحابه وحلفاءه ، فإنه حاول القضاء اللوم على النبي صلى الله عليه وسلم وتحمله المسؤولية كاملة في تصعيد هذه الأزمة التي بدت من ساعة إلى ساعة وكأنها تتحول إلى حرب مدمرة ، تدور رحاها بين الأهل والعشيرة على ساحة الحرم الشريف بمكة المكرمة .

فقد ذكر ابن إسحاق أن عروة بن مسعود عندما قدم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحديبية جلس بين يديه ، ثم قال : (يا محمد : أجمعت أو شأب (١) الناس ثم جئت إلى بمضت لك لتفرضها (٢) بهم . إنها قريش قد خرجت معها العوذ المطافيل ، قد لبسوا جلود النمر ، يعاهدون الله لا تدخلها عليهم عنوة (٣) وأيم الله لكأنسي بهؤلاء ! قد انكشفوا عنك غدا (٤) . (٥)

ثم أخذ عروة بن مسعود يعمل على إضعاف ثقة المسلمين بأنفسهم محاولاً - بأسلوب الحرب النفسية - تفتيت جبهة المسلمين الداخلية وتوهمين عزائمهم والفت من عضدهم وإقناع النبي صلى الله عليه وسلم بأن المعركة إذا ما نشبت بينه وبين قريش ، فأنهسها سوف لا تكون لصالحه وأنه ليس من مصلحته خوضها .

والجدير بالذكر أن عروة بن مسعود باتباعه هذا الأسلوب الذي حاول به التأثير على قوة المسلمين وعزيمتهم الداخلية وخلخلتها ، إنما كان يقصد بذلك إحراز النصر لحلفاءه القرشيين وإخراجهم من ورطتهم التي أوشكت أن تنتهي بهم إلى هزيمة عسكرية وإعلاميه منكرة . لأن ذلك لن يتم إلا بعودة النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه الكرام من حيث أتوا دون أن يدخلوا مكة ويدون أي قيد أو شرط . هذا ما حاول عروة - بمن مسعود جا هذا لتحقيقه والوصول إليه في مفاوضاته التي أجراها مع النبي صلى الله

(١) الأوشاب : الأخطا .

(٢) بيضة الرجل : أهله وقبيلته . ونقضها : أي كسرها .

(٣) عنوة : بفتح السكون : أي : قهراً وظلمة .

(٤) انكشفوا عنك : انهزموا وتركوك لعدوك .

(٥) انكشفوا عنك : انهزموا وتركوك لعدوك .

عليه وسلم في الحديبية .

وفي حديث الواقدي في روايته عن هذه القصة ، ذكر أن عروة بن مسعود عند ما جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحديبية قال له : (يا محمد : لأنني تركت قومك ، كعب بن لؤي وعامر بن لؤي على أعداء مياه الحديبية معهم العسود المطافيل ، قد استنفروا لك أحابيشهم ومن أطاعهم ، وهم يقسمون بالله لا يخلصون بينك وبين البيت حتى تجتاحهم . وقال : وإنما أنت من قتالهم بين أحد أمرين : أن تجتاح قومك ، ولم نسمع برجل اجتاح أهله قهرك . أو بين أن يخذلك من نرى معك ، فأني لا أرى معك إلا أمشاشا من الناس لا أعرف وجوههم ولا أنسابهم) (١) .

وفي التحليل الإعلامي لهاتين الروايتين ، نرى أن عروة بن مسعود الثقفي قد سلك في هذه المفاوضات سبيل التخويف وتشهيط الهمم واللعب بالأعصاب ، والتركيز على إضعاف الجبهة الداخلية للمسلمين ثم التلويح بقوة قريش العسكرية بأنها لا تقهر وتصوير نتائج المعركة بأنها في غير صالح المسلمين .

وهذه الطريقة هي التي يسميها ويتعارف عليها العسكريون والأعلاميون في عصرنا اليوم بالحرب النفسية .

وبالنظر الى أن طبيعة الأجواء التي كانت تخيم على المفاوضات التي دارت فسي الحديبية بين الرسول صلى الله عليه وسلم والوفود الأخرى ، كانت تتسم بشكل عام بطابع الحرب النفسية وما أن هذا الفصل بالذات يشتمل على توضيح أسلوب الحرب النفسية الذي استعمله عروة بن مسعود في مفاوضاته التي أجراها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحديبية بشكل خاص ، فأني سأقوم بدراسة سريعة ومختصرة لهذه الحرب ، أبين من خلالها حقيقة هذه الحرب وأهدافها وأساليبها وتوقيتها ، وذلك على ضوء التعاريف والمصطلحات التي أوردها المتخصصون من الاعلاميين والعسكريين للحرب النفسية .

(١) مغازي الواقدي : ج ٢ ص ٥٩٥ . عالم الكتب بيروت .

بحث ثالث :

الحرب النفسية :

الحرب النفسية في مفهومها العلمي والعسكري ، هي تطبيق للدعاية في تحقيق الأهداف العسكرية . وهناك العديد من المصطلحات والتعاريف للحرب النفسية ننقل منها ما جاء في أقوال بعض رجال الأعلام عن هذا الموضوع :

يستعرض الدكتور عبد القادر حاتم الحديث عن الحرب النفسية بصورة تفصيلية وموسعة شارحا فنون هذه الحرب وأساليبها وأهدافها ، ثم ينتهي الى وضع بعض التعاريف لهذه الحرب والتي يراها من وجهة نظره بأنها تعاريف شاملة ودقيقة . ننقل منها هذا التعريف الذي جاء في كتاب الدكتور حاتم عن هذه الحرب يقول : (يعرف الأمريكيون الحرب النفسية " بأنها سلسلة الجهود المكللة للعمليات الحربية العادية عن طريق استخدام وسائل الاتصال وتصميم وتنفيذ الخطط الاستراتيجية الحربية السياسية على أسس نفسانية مدروسة . " وإذا كانت الحرب النفسية التي سميت كذلك بحرب الأعصاب ، تشتمل على قدرة أقوى من المدافع كما يقولون ، فإن استعمالها صعب الى حد بعيد ، ولا يمكن استعمال مفاتيح العوامل النفسية ، إلا بكثير من السهارة ، هذا وتحاول الحرب النفسية كسب الحرب بدون استعمال وسائل العنف .) (١)

هذا ويتحدث صلاح نصر عن صعوبة إيجاد تعريف محدد للحرب النفسية ، وذلك بعد أن ناقش العديد من التعريفات التي وضعها العسكريون لهذه الحرب ، فيقول : (ليس من السهل بحال أن نضع تعريفا محدد للحرب النفسية ، أو أن نحدد مجالها ، وحتى وقتنا هذا ، فإن الحرب النفسية غير واضحة في أذهان الكثيرين على الرغم من الكتابات الأجنبية العديدة التي عالجت هذا الموضوع ، فالجواب النفسي تدوا في أذهان الكثيرين من الناس بمفاهيم مختلفة ومتغيرة ، ولم يتمكن حتى هؤلاء الذين تخصصوا في هذا الموضوع أن يضعوا لها اصطلاح في إطار واضح المعالم .) (٢)

(١) د . عبد القادر حاتم : الأعلام والدعاية ص ١٨٧ .

(٢) انظر كتاب صلاح نصر : الحرب النفسية ، الطبعة الثانية ص ٩١ - ٩٢ - ٩٣ .

ثم يورد صلاح نصر بعض التعاريف المختلفة لهذه الحرب ، وذلك للتدليل على وجهة نظره في هذا الموضوع ، ونختار منها ما يلي : يقول صلاح نصر : (الحرب النفسية هي استخدام أى وسيلة بقصد التأثير على الروح المعنوية ، وعلى سلوك أى جماعة لغرض عسكري معين .) (١)

وهناك تعريفا آخر للحرب النفسية ، يقول فيه : (الحرب النفسية هي استخدام مخطط من جانب دولة أو مجموعة من الدول ، للدعاية وغيرها من الإجراءات الإعلامية الموجهة الى جماعة عدائية أو محايدة أو صديقة للتأثير على آرائها وعواطفها ومواقفها وسلوكها بطريقة تعين على تحقيق سياسة و أهداف الدولة المستخدمة أو الدول المستخدمة .) (٢)

ثم ينتهي الى القول بتعريفه لهذه الحرب : (والحرب النفسية هي شكل من أشكال الصراع بين الدول يسعى كل جانب فيه أن يفرض أرائه على خصومه بطرق غير طريفة القوات المسلحة ومن الناحية العملية ، يمكن أن نقول : أن السلاح الرئيسي للحرب السياسية هي عملية مشتركة بين الدبلوماسية والدعاية .) (٣)

أهداف وأساليب الحرب النفسية :

لا شك أننا نستطيع من خلال استعراضنا للروايتين التاريخيتين لابن هشام والواقدي ، أن نستنتج بأن عروة بن مسعود قد عمل على تحقيق الأهداف الرئيسية للحرب النفسية وذلك في حصر مفاوضاته التي أجراها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحديبية لتكون في أربع نقاط رئيسية هي : إثارة روح الانقسام بين المسلمين ، وإظهار عدوهم بمظهر القوى الذي لا يقهر ، وإضعاف ثقة القيادة بقوتها وقواتها ، وأخيرا إظهار المسلمين بمظهر المعتدى على الأهل والحرمة المقدسة وتعنيفهم ولومهم على ذلك وتصوير المعركة بأنها إذا ما نشبت ، فأنها ستنتهي بغير صالحهم لا محالة . وهذه هي الأهداف التي عمل عروة بن مسعود على تحقيقها في تلك المفاوضات .

والجدير بالذكر أن هذه الأهداف الأربعة هي الأهداف الرئيسية للحرب النفسية من وجهة نظر رجال الأعلام . ويوضح لنا ذلك الدكتور إبراهيم إمام بقوله : (وقد ثبت من تجارب الحرب النفسية ، أن هناك أربعة أهداف رئيسية ينبغي على الدولة المحاربة أن تبلغها وهي :

أولا : إثارة روح الانقسام في صفوف العدو ، وتحطيم معنوياته والحض على كراهيته .
ثانيا : تقوية الجبهة الداخلية ورفع الروح المعنوية ، وتعميق الأيمان بقضية الوطن وتأبيدها .

ثالثا : كسب ود الدول المحايدة ، وإقناعها بعدالة القضية التي تحارب من أجلها وتأكيدها بالأيمان بالنصر .

رابعا : توثيق وأصر الصداقة والأخاء مع الدول الحليفة . (١)

والجدير بالذكر أن هناك أساليب وأهداف أخرى تستخدم لتفذية أغراض الحرب النفسية لكسب المعركة . وهذه الأساليب جميعها تهدف في النهاية الى الوصول الى تحقيق الأهداف الرئيسية لهذه الحرب في خدمة الميدان والسيطرة على نفسية العدو وأعصابه .

ومن هذه الأساليب : أسلوب الشتم والتحدى والتهديد والشعر الحماسي أو الشعر الذي يوهن من قوة العدو الى غير ذلك من الأساليب الأخرى التي تستخدم في هذه الأغراض .

ولنستمع الى ما يقوله الدكتور إمام وهو يتحدث عن هذه الأساليب بقوله : (والحقيقة أن أسلوب الشتم والتلويث أسلوب معروف في الحرب النفسية منذ أقدم العصور . وقد استخدمت قصائد المدح وأشعار الهجاء ، كأساليب الحرب النفسية في المجتمع العربي وغيره من المجتمعات الأخرى القديمة منذ الألف السنين . . . ثم يستشهد الدكتور إمام بأبيات من قصيدة الشاعر اليوناني هومر في وصفه للقتال الذي دار بين اليونانيين والطوراديين سنة ٨٠٠ قبل الميلاد . (٢)

(١) الدكتور إبراهيم إمام : المرجع السابق ص ٢٥٤ - ٢٥٥ .

(٢) الدكتور إمام : المرجع السابق ص ٢٥٧ .

وهذه أبيات ذكرها ابن هشام ^(١) للشاعر عبيد قالها بعد معركة أحد وأراد بها قائلها تحطيم معنويات أبو سفيان والمشركون ، عندما أرادوا الرجوع الى المدينة مرة أخرى ليعيدوا الكرة على المسلمين . وهذه القصيدة يصف بها الشاعر قوة المسلمين وتحرقهم وحنقهم عند خروجهم للحاق بقريش والقضاء عليها . وقد قالها عبيد لأبي سفيان بعد أن سأله الأخير عن النبي وجيشه ، أثنا ما كان قادما من المدينة المنورة . قال :

كاد تَهْدُ من الأصوات راحلتي	إذا سالتِ الأرضُ الجُردِ الأباھيلِ
تودي بأُسْرٍ كرامٍ لا تتابلقِ	عند اللقاءِ ولا ميلٍ معازيلِ
فضلتُ عدواً أظنُّ الأرضَ مائلتةً	لما سموا بهرثيسَ غيرِ مخذولِ
فقلتُ : ويلَ إِبْنِ حربٍ من لقاءِكمُ	إذا تغططتِ البطحاءُ بالجميلِ
إني نذيرٌ لأهلِ البسلِ ضاحيةٌ	لكل ذي إربةٍ منهم ومعقولِ
من جيشٍ أحمدٌ لا وخشٍ قنابِلُهُ	وليس يوصفُ ما أُنذرتُ بالقيـلِ ^(١)

ولا شك أن أهداف وأساليب الحرب النفسية قد اتخذت أشكالاً عديدة من أجل الوصول الى الغاية المطلوبة ، ومن هنا فلن عروة بن مسعود كان في مفاوضاته مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يستخدم إحدى هذه الأساليب ، مما يدل على أن العرب في الجاهلية كانوا على علم تام بفنون أساليب وأهداف الحرب النفسية ، وأنهم كانوا يستخدمونها في أغراضهم الحربية ، ولكنهم باستخدامهم لفنون وأساليب هذه الحرب لم يكونوا على علم بالنشاطات ذات الطابع التنظيمي كما هو عليه الحال في عصرنا ، رغم أن هذا الاستخدام أيضا لم يكن بعيدا كل البعد عما هو عليه التنظيم الحالي . يقول الدكتور مختار التهامي : (والقول بأن أساليب الحرب النفسية جد يد تسماء على ميدان الدعاية ، قول سالف فيه ، ومع ذلك فليس هناك شبهة شك في أن هذه الأساليب لم تتخذ في أي عصر من العصور الطابع التنظيمي والتخطيطي الشامل الذي نتخذه بعصرنا الحديث .) ^(٢)

(١) ابن هشام السيرة النبوية ج ٣ ص ٥٤ - ٥٥ . دار الفكر .

عناصر الحرب النفسية :

ثم يتحدث الدكتور مختار التهامي موضحا العناصر الرئيسية التي تقوم عليها الحرب النفسية فيقول : (والحرب النفسية تقوم - بالإضافة الى استخدام الدعاية المساندة - على عناصر ثلاثة رئيسية هي :

١- الأشاعات .

٢- إفتعال الأزمات .

٣- إثارة الرعب .

ثم يتناول الدكتور التهامي هذه العناصر الثلاثة بالشرح والتحليل فيقول :
أولا :- الأشاعات : ومن دراستنا لخصائص الأشاعات يمكن أن نضع لها التعريف التالي :

فالأشاعة هي الترويج لخبر مختلق لا أساس له من الواقع ، ويعتمد المبالغة والتحويل ، أو التشويه في سرد خبر فيه جانب ضئيل من الحقيقة ، وإضافة معلومة كاذبة أو مشوهة لخبر معظمه صحيح ، أو تفسير خبر صحيح والتعليق عليه بأسلوب مغاير للواقع والحقيقة ، وذلك بهدف التأثير النفسي في الرأي العام المحلي والأقليمي ، أو العالمي ، أو النوعي ، تحقيقا لأهداف سياسية أو عسكرية ، أو اقتصادية على نطاق دولة واحدة ، أو عدة دول ، أو النطاق العالمي بأجمعه . (١)

وتأسيسا على هذا الفهم فإن عروة بن مسعود أثناء مفاوضاته مع النبي صلى الله عليه وسلم ، قد اعتمد هذه العناصر الرئيسية التي وردت في قول الدكتور التهامي في نقاطها الثلاثة السالفة الذكر ، وهي : الأشاعات وإفتعال الأزمات وإثارة الرعب . وأما فيما يتعلق بالأشاعات فإنه - أي عروة بن مسعود - قد قام باستخدام هذا السلاح وذلك عندما بدأ يلوح ويعظم بقوة قريش العسكرية بأسلوب مغاير للحقيقة معتمدا على

المبالغة في تصوير الموقف بأنه سيؤول لصالح قريش لا محالة ، وذلك من أجل التأثير على نفسيات المسلمين ولخدمة أهداف قريش العسكرية والأعلامية .

ثانياً : إفتعال الأزمات :

وهذه النقطة الثانية من تحليل الدكتور التهامي والتي يقول فيها : (ولعل أبرز الأمثلة في إفتعال الأزمات هي عملية التأثير في الرأي العام ، ثم يناقش الكاتب هذا الموضوع ويورد له عدد من الأمثلة التي يمكن الرجوع إليها في كتابه .) (١)

ومن هنا فإننا نستطيع القول بأن عروة بن مسعود قد حاول أن يفتعل أزمة عسكرية كبرى بين النبي صلى الله عليه وسلم وجنوده ، وأن يوقع الفتنة والأرباك في صفوف المسلمين وذلك حينما حاول إضعاف الثقة بين القائد وجنوده ، عندما قال للنبي صلى الله عليه وسلم (أوبين أن يخذلك من نرى معك . . . فأنتي لا أرى معك إلا أوباشا من الناس لا أعرف وجوههم ولا أنسابهم .)

إن هذا الأسلوب الذي اتبعه عروة بن مسعود وحاول به إفتعال أزمة عسكرية ونفسية كبرى بين الرسول القائد صلى الله عليه وسلم وبين جنوده المؤمنين ، من أجل التأثير على معنوياتهم وتحطيم عزائهم ، ليعتبر من أقوى أساليب الحرب النفسية التي استخدمت ضد المسلمين أثناء تلك المفاوضات .

ثالثاً : إثارة الرعب :

أما فيما يتعلق بالنقطة الثالثة ، وهي إثارة الرعب والفوضى ، فإن عروة بن مسعود قد بذل كل ما في وسعه لتحقيق ذلك عندما بدأ بتخويف المسلمين من قوة قريش التي لا تقهر وتصور المعركة بأنها في غير صالحهم .

وهذا يكون عروة بن مسعود قد استخدم جميع العناصر الثلاثة للحرب النفسية التي أوردها الدكتور التهامي .

(١) انظر د . مختار التهامي : المرجع السابق ص ١٠٤ .

تسمية الحرب النفسية :

هناك أسما ومصطلحات عديدة وضعها المتخصصون بهذا الفن للحرب النفسية ولنستمع الى اللواء الركن محمود شيت خطاب عن الاسماء المرادفة للحرب النفسية في الاصطلاح العسكري يقول : (إن الحرب النفسية تعبير مرادف لتعابير حرب الدعاية وحرب الاعلام ، والحرب الباردة والحرب العقيدية والحرب السياسية .) (١)

هذا ويناقش صلاح نصر في كتابه السالف الذكر ، بصورة موسعة صعوبة إيجاد تسمية واحدة تكون شاملة ودقيقة للحرب النفسية ولنستمع إليه وهو يتحدث عن هذا الموضوع بقوله : (ويمكن أن ندرك الصعوبة التي تواجهنا عند تسمية الحرب النفسية من جراء المجموعة الكبيرة من المصطلحات التي شاعت في الحد يث عن الصراع الأيد يولوجي الذي يسود العالم اليوم ، وفيما يلي قليل من هذه المصطلحات الشائعة :

الحرب النفسية ، حرب الافكار ، الحرب الأيد يولوجية أو العقائدية ، حرب الأعصاب
الحرب السياسية ، حرب الدعاية ، حرب الكلمات .) (٢)

توقيت الحرب النفسية :

وفيما يتعلق بتوقيت الحرب النفسية ، وفي أي الأوقات يفضل خوض ميادين هذه الحرب وتحت أي الظروف يكون تأثيرها أكثر إيجابية في كسب المعركة الفعلية ، يتحدث الدكتور حاتم في هذا الموضوع فيقول : (تشن الحرب النفسية قبل الحرب الساخنة وأثناءها وبعدها وهي تبدأ قبل إعلان الحرب بوقت طويل ، وتستمر بعد أن يتوقف العسداء العلني .) (٣)

ثم يتحدث اللواء الركن محمود شيت خطاب عن توقيت الحرب النفسية فيقول :
(إن الحرب النفسية تشن قبل الحرب الفعلية للتأثير على معنويات العدو ، وفي أثناء الحرب للتأثير في ثباته ومقاومته ، وبعده الحرب الفعلية لإجبار العدو على الانسحاب

(١) اللواء الركن محمود شيت خطاب : كتاب الإسلام والنصر ص ٦١ . مكتبة النهضة

بغداد .

(٢) صلاح نصر : المرجع السابق ص ٩٨ .

الى المنتصر . (١)

وتأسيسا على هذا الفهم فإن عروة بن مسعود الثقفي قد استخدم الحرب النفسية بأساليبها الصحيحة من حيث توقيتها وتأثيرها وأهدافها .

فقد كان توقيت وصوله إلى معسكر المسلمين في الحديبية ، والتقاءه بالرسول القائد صلى الله عليه وسلم ، أثناء اشتداد الأزمة الساخنة بين المسلمين وقريش ، أى قبل المعركة الفعلية ، وذلك للتأثير على معنويات المسلمين وإجبارهم على الرجوع ومحاولة تحطيم معنوياتهم النفسية .

وأما تأثيرها ، فقد عمل عروة بن مسعود الثقفي ، بأسلوب الحرب النفسية التي تقضي بالتركيز على إضعاف جبهة المسلمين الداخلية وزعزعتها وتوهينها وإشاعة روح الهزيمة والفوضى واللبلة في صفوف المسلمين ، وإضعاف الروح القتالية والمعنوية لهم ، ومن ثم إضعاف ثقة الرسول القائد صلى الله عليه وسلم بجنوده ، وتصوير الموقف بأنه سينتهي حتما لغير صالح المسلمين .

وهذه هي فعلا أهم أهداف وأساليب الحرب النفسية في القديم والحديث
ولكن هل نجحت هذه الحرب النفسية بكل طاقاتها وفنونها ، أمام العقيدة الإسلامية ؟
هذا ما سنحاول الأجابة عليه إن شاء الله .

بحث ثالث :

هل نجحت الحرب النفسية أمام العقيدة الإسلامية ؟

إن الجواب على هذا السؤال يمكن في قول الله سبحانه وتعالى في هذه الآية الكريمة ، قال تعالى : ((الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيماناً وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل ، فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله ، والله ذو فضل عظيم .)) (١)

لقد تعرض الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه الكرام الى ألوان شتى من ضروب الحرب النفسية القاسية التي شنتها قريش وحلفائها ضد هم طوال فترة الرسالة الخالدة ما لم يتعرض له داعية ولا نبي من قبل ، وفي فترة الحديبية بالذات ، فقد حاولت قريش وحلفياتها بكل ما أوتوا من قوة وعزيمة أن يوقعوا الهزيمة في نفوس المسلمين وفي صفوفهم وأن يوهنوا من عزائمهم وأن يفتوا من عقد هم ، وقد استعملت قريش وحلفياتها لهذا الغاية كل أساليب الأرهاب والتخويف وتحطيم الأعصاب ، الى غير ذلك من ضروب الحرب النفسية العنيفة التي استهدفت تحطيم الجبهة الداخلية للمسلمين وتوهينها وبالتالي استسلامها .

ولكن ما حدث فعلاً هو أن هذه الحرب النفسية ، وجميع المخططات الأخرى التي شنت بواسطتها قريش حربها ضد المسلمين قد جاءت نتيجتها على عكس ما كانت تتوقعها قريش وأعدائها من أعداء الله ورسوله .

ولقد صدت العقيدة الإسلامية أمام شتى صنوف الحرب النفسية ، وأمام جميع التحديات الأخرى وأثبتت هذه العقيدة بأن لها قابلية للأستيعاب والصمود أمام هذه الأخطار جميعها ، وأن افراد المجتمع المسلم - بواسطة هذه العقيدة - لديهم المناعة والتحصين الكاملين ضد جميع التحديات وجميع الأخطار مهما كانت كبيرة ومحدقة

والخروج منها أكثر قوة وعزيمة . قال تعالى : ((ولئن يريدوا أن يخذلوك ، فلئن حسبك الله ، هو الذي أيدك بنصره وبالمؤمنين ، وألف بين قلوبهم ، لو أنفقت ما فسي الأرض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ، ولكن الله ألف بينهم إنه عزيز حكيم)) . (١)

وتأليف الله سبحانه بين قلوب المؤمنين ، أساسه هذه العقيدة .

وعلى هذا الأساس فإن الحرب النفسية مهما تعددت أساليبها وألوانها فأنها لا تؤثر في عزيمة المؤمن ، لأن المؤمن يستند بإيمانه الراسخ القوي على قاعدة صلبة ومتينة لا تهزها الرياح العاتية . قال تعالى : ((من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه ، فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا)) . (٢)

ولئن ما لا شك فيه أن القيادة النبوية الحكيمة قد صاغت أبناء هذه العقيدة صياغة فريدة ، وريتهم تربية متكاملة ، فكانوا صورة دعوتهم الحققة النيرة في فكرهم وسلوكهم وعملهم وجهادهم . فكانوا في جهادهم يصدرون عن المدرسة النبوية في سمو الغاية ونبل الوسيلة ، فقد كان عليه الصلاة والسلام يعلم أصحابه إعداد العدة والأخذ بالأسباب وكيفية متطلبات النصر الحقيقية والاتصال بالله القوي العزيز ، وطلب العون منه بالذكر والطاعة ، وكانوا ينهلون من المعين الذي لا ينضب في معرفة الثبات والصبر قال تعالى : ((يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون)) . (٣) ، وقد كان النبي الكريم عليه الصلاة والسلام يعلم أصحابه الكرام اخلاص العبادة للهِ الأتكال على الله القوي العزيز ، ولئن الأمور كلها بيد الله يسيرها كيف يشاء . قال تعالى : ((هو الذي يسيركم في البر والبحر)) . (٤) ، وقد حذر الله سبحانه وتعالى المؤمنين من إتخاذ أسباب الهزيمة وهي البطر والرياء والشقاق ، والنزاع . قال تعالى : ((ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم)) . (٥) ، وكان عليه الصلاة والسلام يعلم أصحابه أن متطلبات النصر الحقيقية هي في طاعة الله ونصرته .

(١) سورة الأنفال : الآيات : (٦٢-٦٣) .

(٢) سورة الأحزاب : الآية (٢٣) .

(٣) سورة الأنفال : الآية (٤٥) .

(٤) سورة يونس : الآية (٢٢) .

(٥) سورة الأنفال : الآية (٤٦) .

قال تعالى : ((يا أيها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم)) (١) .
وهذه هي الحقائق العظيمة التي عمل لها رسول الله صلى الله عليه وسلم فسي
إعداد المؤمنين إعدادا فريدا وتربيتهم التربية الروحية وتقوية معنوياتهم الأمر الذي
جعلهم في جميع مواقفهم ومعاركهم يؤمنون بأن النصر إنما يكون من عند الله ومسبح
إيمانهم بهذه الحقيقة الراسخة فإنهم كانوا يؤمنون كل الإيمان بأن الموت في سبيل
الله هو طريقهم وخاتمتهم التي ينشدونها قال تعالى : ((قل لن يصيبنا إلا ما كتب
الله لنا ، هو مولانا وعلى الله فليتوكل المؤمنون . قل هل تترصون بنا إلا إحداى
الحسنين ، ونحن نترص بكم أن يصيبكم الله بعذاب من عنده ، أو بأيدينا فتربصوا
إننا معكم مترصون .)) (٢)

لهذا فقد كانت معنويات المسلمين أقوى سلاحا تعتمد عليه القيادة النبوية . قال
اللواء الركن محمود شيت خطاب : (لم ينتصر العرب والمسلمون مطلقا طوال حياتهم
بكثرة العدد والعدة ، وقد كان أعدائهم متفوقين عليهم بالعدد والعدة في كل معركة
خاضوها ، وقد انتصرت الفئة من العرب المسلمين على العرب من غير المسلمين) . (٣)
وهنا يقصد الكاتب من كلامه أنه ما دام كلا الفريقين من العرب قرن الفارق فسي
الحالتين هي قوة المعنويات التي تستند على قوة العقيدة الراسخة في النفوس . ثم
يتحدث الكاتب في هذا الموضوع فيقول : (إن الأسلام بالنسبة للعرب هو السلاح
السري الذي جعلهم يقودون العالم قرونا طويلة في ميادين السياسة والحضارة والحرب
... ثم يقول الكاتب في تعريفه للمعنويات : بأنها القوى الكامنة في صلب الإنسان
التي تكسبه القابلية على الاستمرار في العمل ، والتفكير بعزم وشجاعة ، مهما اختلفت
الظروف المحيطة .) (٤)

(١) سورة محمد : الآية : (٧) .

(٢) سورة التوبة : الآيات : (٥١ - ٥٢) .

(٣) اللواء الركن محمود شيت خطاب : المرجع السابق ص ٢٦ .

(٤) المرجع السابق ص ١٦ .

ثم ينتهي الكاتب الى القول ، بأن عوامل المعنويات هي : (الدين ، والقيادة
ثم يقول : إن الجيش الذي يتحلى بالمعنويات العالية ينتصر في النهاية مهما طال
الأمد على أعداءه) . (١)

لذلك فإن المؤمن يضع دائما في اعتباره أن أجله مكتوب في هذه الدنيا ، فهو لا
يزيد ساعة ولا ينقص أبدا ، قال تعالى : ((وما كان لنفس أن توت إلا بأذن الله
كتابا موجلا ، ومن يرد ثواب الدنيا نؤته منها ومن يرد ثواب الآخرة نؤته منها))
وسنجزى الشاكرين ، وكأين من نبي قاتل معه ربيون كثير فما وهنوا لما أصابهم في سبيل
الله وما ضعفوا وما استكانوا والله يحب الصابرين .)) (٢)

ومن هنا ندرك بأن العقيدة الإسلامية هي السلاح الحقيقي والفعال الذي يحصن
المؤمن ضد حرب الشائعات والحرب النفسية ، لأن هذه العقيدة هي العامل الفعال
في توجيه أمور المسلم وتقرير مصيره ، وهي القاعدة الصلبة التي يستند إليها في كافة
تصوراته للحياة ، وينطلق من مفاهيمها في مواجهة الناس .

وفي أثناء هذه المفاوضات أيضا حصلت مفارقة رائعة ، وهي من عجائب الأحداث التي
يستشف منها الدليل القاطع على قوة الإيمان التي كان يتمتع به أصحاب النبي صلى الله
عليه وسلم وعلى قدرة هذا الدين في تحويل الإنسان من شيطان مرید الى إنسان فاضل
نبيل . حيث كان أحد الذين يتولون حراسة النبي صلى الله عليه وسلم أثناء محادثاته
مع عروة بن مسعود الثقفي في الحديبية هو المغيرة بن شعبه (٣) - ابن أخت عروة بن -

(١) اللؤلؤ الركن محمود شيت خطاب : المرجع السابق ص ٥١ .

(٢) سورة آل عمران : الآيات : (١٤٥ - ١٤٦) .

(٣) المغيرة بن شعبه بن أبي عامر بن مسعود بن متعب بن مالك الثقفي . قال الطبري
يكنى بأبا عبد الله . قال وكان ضخم القامة عمك الذرايعين بعبد ما بين المنكبين ،
أسلم قبل عمرة الحديبية وشهد ها وشهدبيعة الرضوان وله فيها ذكر وحدث عن
النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، وشهد البصرة وفتح الشام والعراق وقال الشعبي
كان من دهاة العرب . وله عمر البصرة وفتح بيسان وهمدان وعدة بلاد ، ثم ولاه
الكوفة وأقره عثمان ثم عزله ، فلما قتل عثمان اعتزل القتال الى ان حضر مع الحكمين
ثم بايع معاوية بعد أن اجتمع عليه الناس ، ثم ولاه بعد ذلك الكوفة فاستمر على
امرتها حتى مات سنة خمسين . قال الطبري كان مع أبي سفيان في هدم طائفة
ثقيف بالطائف ، وأصهيت عينه بالبرمك ثم كان رسول سعد الى رستم . (الأصابع

مسعود نفسه ، وكان المغيرة هذا قبل أن يهديه الله للإسلام شابا فاتكا سكيما قاطع طريق ، غير أن إعتناقه للدين الإسلامي حوله الى إنسان آخر ، وقد أصبح بفضل الله تعالى من الصفوة المؤمنة ، وقد وقع عليه الاختيار ليقوم بمهام حراسة النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك الجو الملبد بغيوم الحرب ، وكان من عادة الجاهلية في المفاوضات أن يمسك المفاوض بلحية الذي يراءه ندا له أثناء الحديث ، وعلى هذه القاعدة كان عروة بن مسعود يمسك بلحية رسول الله صلى الله عليه وسلم أثناء المناقشة ، الأمر الذي أغضب المغيرة بن شعبة الذي كان قائما على رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم بالسيف يحرسه وعلى وجهه المغفر فانتهره وقرع يده بقائم السيف قائلا له : (أكف يدك عن مس لحيمة رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن لا تصل إليك . قال الواقدي : فلما أكثر عليه غضب عروة زعيم ثقيف لهذا التهديد من حارس النبي صلى الله عليه وسلم وقال للحارس ويحك ما أفظك وأغلظك .

وكان النبي صلى الله عليه وسلم يتسم للذي يجري بين عروة المشرك وبين ابن أخيه المؤمن ، ولما كان المغيرة يقف في لباسه الحربي متوشحا بسيفه ودراعه وعلى وجهه المغفر ، فإن عروة لم يكن باستطاعته معرفته ، فقال للنبي صلى الله عليه وسلم وهو في أشد الغضب : ليهت شعري من أنت يا محمد من هذا الذي أرى من بين أصحابك ؟ فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : هذا ابن أخيك المغيرة بن شعبة ، فقال له عروة : وأنت بذلك يا عذر ؟ لقد أورتتنا العداوة من ثقيف أهد الدهر ، والله ما غسلت غد رتلك إلا بالأمس . (١)

وكان للمغيرة قصة يمكن الرجوع إليها في كتب السيرة النبوية أوردها باختصار شديد وتتلخص هذه القصة في أن المغيرة بن شعبة قد خرج مع نفر من بني مالك بن حطيظ بن جشم ، وأثناء سيرهم ليلا شربوا خمرًا فكف المغيرة وأمسك نفسه عن الشراب ، وشبهت بنو مالك حتى سكروا ، فوثب عليهم المغيرة فقتلهم جميعا ، وكانوا ثلاثة عشر رجلا ، فقام عروة هذا بتحميل دياتهم جميعا ، وهذا سبب كلامه : أورتتنا العداوة الى آخر

الدهر (١)

ومن هذه المواقف نرى الأمثلة الحية التي أخرجتها المدرسة النبوية ، تلك النماذج الفريدة في التاريخ التي صاغها الاسلام وصقلها وأعاد لها صفاءها وأدسيتها الكريمة وهذا شأن هذا الدين العظيم في كل زمان ومكان في إيجاد وتخرج النماذج الموثقة التي لا تؤثر على إيمانها الشائعات ولا الحروب النفسية ولا يخيفها الموت ، لأن الموت في سبيل الله أعلى وأسمى أمانيتها ، ولأن حياتها هي طاعة لله وحده لا شريك له . فحياة المسلم وساتكلاهما لله رب العالمين والحمد لله رب العالمين .

وهكذا انتهت المفاوضات بين النبي صلى الله عليه وسلم وعروة بن مسعود دون أن يتم التوصل الى أى اتفاق ينهي الأزمة القائمة بين الطرفين ، إلا أنه من خلال هذه المحادثات تأكد لعروة بن مسعود صدق نوايا المسلمين السلمية ولأنهم جاءوا في رحلة تعبدية معتبرين لا محاربين ، ولأن قريشا هي التي تغترى الكذب على المسلمين حينما تروج بين عامة العشائر والأعراب ، أن النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه قد جاءوا ليهتكوا حرمة مكة والكعبة المشرفة عنوة بقصد الحرب وهذا تكون قريش قد كذبت أهلها ويجب أن تتحمل هي وحدها نتيجة كذبها ، وذلك يفقد لها لجميع حلفائها وأتباعها . هذا حينما كنت انتصحت بعض الكتب الإعلامية فإذا بي أمر بموضوع للدكتور عبد العزيز شرف يتحدث فيه عن دور " حذام " وهذا الصدق الإعلامي وعن دور " خرافة المشابهة كثيرا " للدور الذي لعبته قريش عند ما كذبت أهلها .

ولما كان هناك الكثير من الشبه بين هذين الموضوعين فإني أورد ما كتبه الدكتور عبد العزيز شرف كاملا : يقول الدكتور شرف :

(ونجد في أقوالنا العربية : لا يكذب الرائد أهله ، أى الذى يرسله القوم في التماس النجعة ، وهي الذهاب لطلب الكلاء في مواضعه ثم يقول : ان وسائل الإعلام كالرئيس لا تكذب (١) انظر مغازي الواقدي ج ٢ ص ٥٩٥ - ٥٩٦ . نقلناها ببعض تصرف .

أهلها . ولكنها كذلك تقوم بدور " حذام " زرقاء الهيامة المشهور ، حينما تتوخى الصدق الإعلامي ، وتقوم بدور خرافة حين تتوخى الكذب الدعائي . و " حذام " هي التي زعم أنها كانت تبصر على مسافة ثلاثة أيام ، وذكروا عنها أن حسان بن تبع الحميري أغار على قوسها بني جد يس وأراد أن يفاجئهم من حيث لا يعلمون ، فحمل أشجارا في وجه جيشه لثلاث تبصرهم الزرقاء فتتذر قوسها ، فكان " الخبر " قد نى إلى جد يس فصعدت الزرقاء إلى رأس حصن لهم ورأت الأشجار تسمى فقالت : أقسم بالله لقد دب الشجر ، أو حمير قد أخذت شيئا يجر . فلم يصد قوها حتى طردهم حسان وفتك بهم . فقيل البيت المشهور :

إذا قالت حذام فصد قوها فإن القول ما قالت حذام . (١)

ودور خرافة الإعلامي هو الدور الذي لعبته قريش في إثارتها العرب ضد النبي صلى الله عليه وسلم . ثم يقول : (ونعني بدور خرافة وهو الذي تشير إليه أساطيرنا ، من أن رجلا من بني عذرة ، أو من بني جهينة ، يقال له خرافة اختطفته الجن ثم رجع إلى قومه ، فكان يحدث بأحداث ما رأى ، يعجب الناس منها ، فكذبوه ثم صاروا يسمون كل حديث كاذب ، حديث خرافة) . وهكذا فإن قريشا بوسائلها الإعلامية الكاذبة لم تقم بدور " حذام " التي تقول ، فتصدق أهلها ، وإنما قامت بدور مناهض لهذا الدور ونعني به دور " خرافة " ، فكانت النتيجة أن فشلت في معركتها العسكرية والإعلامية أمام رسول الله صلى الله عليه وسلم وخسرت أيضا جميع حلفائها ومؤيديها .

ثم يضيف الدكتور شرف فيقول : (وفي المستوى الأخير ، حين تغيب الأخبار الأكثر دلالة ، وحين يغيب دور " حذام " ويبرز " حديث خرافة " تنعدم الثقة بين الناس وسيلتهم الإعلامية) (٢) . وهذا ما حصل لقريش فعلا بعدما أكتشف أمرها واتضح كذبها للناس بواسطة الوفود التي ذهبت لتقابل النبي في الحديبية وتتفاوض معه ، فقد انعدمت

الثقة بين قريش وبين حلفائها من جهة وبينها وبين الناس الآخرين من جهة أخرى ، فالوسيلة الإعلامية ، إذا ، يجب أن تكون صادقة الخبر صدقة المقال ، تصدق الناس الحديث وتخبرهم الخبر على حقه وحقيقته ، بحيث تكون من الوسائل التي يوثق بخبرها ولا يقدح في صدقها ولا تهتم إلا فيما تقول وتتجافي عن الكذب وقول الزور ، كما نتعلم من لغتنا العربية التي لا تغدوا فيها هذه التأكيدات من باب المترادف ، لأحاساس أهلها بقيمة الصدق الإعلامي . وهذا هو المقصود بأن وسائل الأعلام تقوم بدور " جذام " العربية حين لا تكذب أهلها . وتقوم بدور خرافة حينما تعمل ما عملته قريش عند ما كذبت أهلها .

عاد الوسيط الرابع إلى مقر القيادة العامة لقريش وحلفائها في بلدح ، حاملا معه نهاية مفاوضاته الفاشلة وحاملا لهم أيضا التحذير وسد يا لهم النصح بأن يخففوا من غلوائهم وأن لا يتورطوا في صدام مسلح مع النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه الكرام لان الهزيمة حسب تقديرته ستكون من نصيبهم حتما ، إن هم تسرعوا بالعدوان ، ولم يتعقلوا الأمور . وقد بانئت لسيد ثقيف هذه الحقيقة التي لم يخفها عن حلفاءه على ضوء ما رآه ولمسه من تماسك وحدة قوى المسلمين داخل المعسكر الاسلامي في الهدية بشكل لم يسبق له أن سمع أو رأى مثله ، وعلى ضوء ما رأى من حب عجيب بين المسلمين لنبيهم وتغان في حمايته والدفاع عنه .

قال الواقدي : (فلما فرغ عروة بن مسعود من كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم ورد عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قال لهديل بن ورقاء وأصحابه ، وكما عرض عليهم من المدة ، وركب عروة بن مسعود حتى أتى قريشا فقال : يا قوم ، إني قد وفدت على الملوك ، على كسرى وهرقل والنجاشي . ولإني والله ما رأيت ملكا قط أطوع فمين هو بسين ظهرانيه من محمد وأصحابه ، والله ما يشدون اليه النظر ، وما يرفعون عنه الصوت ، وما يكفيه إلا أن يشير إلى أمر فيفعل ، وما يتنخم وما يبيص إلا وقعت في يدي رجل منهم يمسح بها جلده ، وما يتوضأ إلا ازدحموا عليه أبهم يظفر منه بشي . وقد حزرت القوم ، وأعلموا

بانكم إن أردتم السيف ، بذلوه لكم ، وقد رأيتم قوما ما يباليون ما يصنع بهم ، إذا منعوا صاحبهم ، والله لقد رأيتم نسيات معه ، إن كن ليسلمنه أبدا على حال ، فزوا رأيكم ، وإياكم واضجاع (١) الرأي ، وقد عرض عليكم خطه فمادوه ! يا قوم . إقبلوا ما عرض فإنني لكم ناصح . مع إنني أخاف ألا تنصروا عليه ! رجل أتى هذا البيت معظما له ، معه الهدى ينحره وينصرف ! فقالت قريش : لا تكلم بهذا يا أبا يعفور (٢) ! لو غيرك تكلم بهذا للمناء . ولكن نرد عن البيت في عامنا هذا ويرجع قاتل . (٣)

وهذا التقرير الأخباري الهام الذي أدلى به عروة بن مسعود أمام زعماء قريش في بلدح ، فقد استطاع بواسطته رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون أن ينقلوا تأثير الحرب النفسية لتعمل داخل جبهة قريش وفي نفوسهم .

هذا التقرير الأخباري الهام الذي نقله عروة بن مسعود عن وضع المسلمين في الحديبية من طاعتهم لنبيهم الكريم وحبهم له وتغانيهم بالدفاع عنه وما يتمتعون به من معنويات عالية جدا واستعداد عسكري ونفسي يفوق الوصف . كان بمثابة التحذير الفعلي لقريش بعدم التعجل والدخول في معركة عسكرية مع النبي وأصحابه ، مما قد تكون نتائج هذه المعركة لصالح المسلمين ، الأمر الذي أسقط في أيدي زعمائها ، ولم تكن قريش تتوقعه أبدا في تقويمها للأمر ، فقد كان وقع كل كلمة قالها سيد ثقيف كالصاعقة على مسامع نفوس زعماء قريش . فقريش تعرف المسلمين حق المعرفة ، وخاصة في الميادين العسكرية فلها معهم التجارب العديدة في بدر وأحد والأحزاب وتعرف حقا من هم المسلمون ، لذلك فقد كان هذا التقرير الأخباري الذي نقله عروة بن مسعود الثقفي إلى قريش عن حالة المسلمين العسكرية والنفسية بمثابة الصفعة التي أعادت لقريش عقلها ورشدها ولم يكن هذا التقرير الأخباري ، هذه المرة موجه أو مقصود به إثارة الرعب في نفوس القرشيين أو إشعال حرب نفسية ضد هم ، ولكن عروة بن مسعود الذي كان بوصفه حليفا لقريش كان ينصح زعمائها صراحة ومن كل قلبه ، فقد استنتج هذا الموقف مما سمعه بأننه ورأى بعينه في الحديبية . وقد كان مبدأ نصحه منبعا من مبدأ الأخلاص لقريش

(١) اضجاع الرأي : أي الوهن في الرأي : (القاموس المحيط ، ج ٣ ص ٥٥) .

(٢) أبا يعفور : كنية عروة بن مسعود الثقفي حسبما جاء في طبقات بن سعد ج ٢

توجيهها أشد ولا أنفع في بلوغ الغاية من توجيهه عليه السلام . ثم يضيف الكاتب قائلا :
والدعوة في الحرب كما لا يخفى ، لها غرضان أصيلا^١ من بين أغراضها المد يد^٢ :
احد هما إقناع خصمك والناس بحقك . وثانيهما ، إضعافه عن قتالك بأضعاف عزمه^٣
وإيقاع الشتات بين صفوفه ، ثم يقول : وربما بلغ النبي صلى الله عليه وسلم برجل واحد
في هذا الغرض ما لم تبلغه الدول بالفرق المنظمة . (١)

الفصل الرابع

مبحث أول :

الوفود النبوية إلى قريش ، وأهميةبيعة الرضوان :

لقد رأى النبي صلى الله عليه وسلم - تعزيزا لفكرة السلام التي كرر إعلانها لرعاياه - الوفود الذين قدموا الى الحد بيعة لإنهاء الأئمة - رأى أن الضرورة تقتضي بأرسال مبعوث خاص من جانبه شخصيا إلى قريش يبلغهم فيها نواياه السلمية بعدم الرغبة في القتال ، واحترام المقدسات ومن ثم ، أداء مناسك العمرة ، والعودة الى المدينة . وقد وقع الاختيار على أن يكون مبعوث الرسول صلى الله عليه وسلم ، الأول ، السى قريش هو الصحابي " خراش بن أمية " (١) . وقد حمل هذا المبعوث رسالة النبي صلى الله عليه وسلم الشفوية إلى قريش . ثم ذهب الى مقر قيادة قريش في بلدج على جمل لرسول الله صلى الله عليه وسلم يقال له الثعلب ، ليبلغ أشرافهم وزعماءهم رسالة النبي صلى الله عليه وسلم السلمية ، وعندما اقترب مبعوث النبي صلى الله عليه وسلم من معسكر قريش قام له بعض المتهورين فعقروا جمل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وحاولوا قتل مبعوث السلام النبوي ، لولا أن منعتة الأحابيش . قال ابن اسحاق : (إن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا " خراش بن أمية الخزاعي " فبعثه الى قريش وحمله على بعير له يقال له الثعلب ، ليبلغ أشرافهم عنه ما جاء له فعقروا به جمل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأرادوا قتله ، فمنعتة الأحابيش ، فخلوا سبيله ، حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه وسلم) . (٢)

(١) ذكره في الأصابه الجزء الأول ص ٤٢١ - ٤٢٢ ط . دار الفكر بيروت . هو خراش بن أمية بن ربيعة بن الفضل بن منقذ بن سلول الخزاعي ثم الكلابي . يكنى أبا نظلة ، وهو حليف بني مخزوم . شهد المربع والحد بيعة وحلق رأس النبي صلى الله عليه وسلم يومئذ ، وفي العمرة التي تليها . وقيل أنه روى عنه حديث واحد . وقد شهد الحد بيعة وخيبر وما بعدها بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم الى قريش على جمل له يقال له الثعلب فعقروا جملهم وأرادوا قتله لولا أن منعتة الأحابيش .

(٢) نسخة ابن هشام ج ٣ ص ٣٦٣ دار الفكر . ومغازي الواقدي ج ٢ ص ٦٠٠

وكان الذي تولى عقربعير رسول الله صلى الله عليه وسلم هو عكرمة بن أبي جهل .
وقد عاد مبعوث رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الحد بيمة دون أن يقابل أحداً من
زعمائها ودون أن يبلغهم رسالة الرسول صلى الله عليه وسلم الإعلامية .

وهكذا كانت قريش في تصلفها وغطرستها تعامل الرسل والمبعوثين ، بعكس ما كان
يعاملهم به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الحفاوة والتكريم والأحترام ،

وتأمين الحماية لهم حتى عودتهم الى قريش ، هذا ومع كل هذه المعاملة الحسنة
وعلى الرغم من الأنشاق الخطير الذي حدث في صفوف المشركين نتيجة لانسحاب سيد
ثقيف بقواته عائدا الى بلده في الطائف وكذلك للموقف المشرف الذي وقفه سيد الأحابيش
إحتجاجا على تصرف قريش العدواني ضد المسلمين فأُن قريشا بدلا من أن تسلك سهيل
الخير والأعتدال ومنع هدر دماء الأبرياء في منطقة الحرم الشريف فأنها عملت بواسطة
متطرفيها على تصعيد الأزمة وزيادة حدة التوتر الى درجة خطيرة جدا ، كادت تصل
بالفريقين الى التصادم العسكري المسلح .

فبينما كان النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه الكرام في الحد بيمة محافظين على
ضبط النفس وعاملين بكل الوسائل الممكنة ، على قتل كل باب يمكن أن يؤدى الى إشعال
نار الحرب بينهم وبين قريش ، وفيما كان العقلاء كذلك في المعسكر القرشي نفسه أمثال
الحلييس بن زبان قائد قوات الأحابيش الحليفة لقريش يحاولون إقناع سادات
مكة بالتخلي عن فكرة الحرب وكبح جماح المتطرفين من قريش ويعملون على تجنب ما
من شأنه الإقتراب بالفريقين إلى حافة الحرب ، إذا بقريش تطلق العنان لعنفائها
ومتطرفيها ليذهبوا في تصعيد الأزمة وتعقيدها الى درجة العدوان على المسلمين
والهجوم عليهم ، عن طريق التسلل الى معسكرهم بالحد بيمة .

فقد ذكر عدد من المؤرخين (١) أن أكثر من خمسين من فرسان المشركين قد

(١) ذكر ابن إسحاق في سيرة ابن هشام ج ٣ ص ٣٦٣ ، أن قريشا بعثت ما بين أربعين
أو خمسين رجلا . وذكر الواقدي في مغازية ص ٦٠٢ أن قريشا أرسلت خمسين رجلا
عليهم مركز بن حفص للأغارة على معسكر المسلمين ليلا . وقد ذكر الطبري ج ٢ ص
٦٣ . أن الذين ألقى القبض عليهم عدد هم سبعون رجلا تحت إمرة مركز بن حفص .
تاريخ الرسل والملوك ، دار المعارف .

تمثلوا في جماعات أثناء الليل إلى معسكر المسلمين للاعتداء عليهم والغدر بهم في غلس الظلام ، إلا أن رجال دوريات الحراسة التي شكلها النبي صلى الله عليه وسلم عند نزوله المدينة ، كانوا لهم بالمرصاد ، فقد أحبطوا جميع مخططات هؤلاء المتسللين مما أدى بهم جميعا إلى الوقوع في الأسر ، مجموعة تلو الأخرى ، حتى بلغ عدد الذين أُلقي القبض عليهم سبعين فارسا وقد جيء بهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم مشدودى الوثاق وفي قبضة الحرس النبوى ، وقد وقفوا في ذل وصغار أمام النبي صلى الله عليه وسلم وقادته العسكريين . إلا أن النبي صلى الله عليه وسلم ، على الرغم من هذا التصرف الذى يحمل كل معاني البغي والاستفزاز ، والخسة ، قد أطلق سراحهم جميعا ، وقال لأصحابه الكرام : (دعوهم يكن لهم بدء الفجور) . (١)

غير أن النبي صلى الله عليه وسلم ، وهو سيد الحكماء وإمام العقلاء ، لم يقل بسبب الأمل في التوصل إلى حل سلمي لهذه الأزمة الخطيرة التي بدت مؤثراتها تندر في وقوع حرب لا تبقى ولا تذر ، الأمر الذى عمل النبي صلى الله عليه وسلم ، بكل ما أوتى من قوة وحكمة على إبعاد ، وتجنبه ما وجد إلى ذلك سبيلا .

فعندما لم يستطع مبعوثه الخاص ، " خراش بن أمية " الوصول إلى قادة قريش وعرض رسالته الشفوية التي تحمل كل معاني الحكمة والتعقل والسلام ، إلى زعمائها ، فإن فكرة السلام ظلت تحتل المقام الأول في ذهن النبي صلى الله عليه وسلم ، لذا فقد قرر النبي صلى الله عليه وسلم تأكيدها على هذا المبدأ ، بمحاولة سلام ثانية ، وكانت هذه المحاولة في هذه المرة عن طريق مبعوث خاص آخر بعث به صلى الله عليه وسلم إلى قريش في معسكرها في بلدح وفي مكة ذاتها .

فقد ذكر الواقدي **وفيه** : (أن النبي صلى الله عليه وسلم بعد رجوع " خراش بن أمية " دعا عربين الخطاب ليعثه إلى قريش ، فقال : يا رسول الله ، إني أخاف قريشا على نفسي ، وقد عرفت قريش عداوتي لها ، وليس بها من بني عدى من يمنعني ،

وإن أحببت يا رسول الله دخلت عليهم . فلم يقل رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئاً . قال عمر : ولكن أدلك يا رسول الله على رجل أعز بمكة مني ، وأكثر عشيرة وأمنع ، عثمان بن عفان . فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عثمان رضي الله عنه ، فقال : إذهب إلى قريش فخبرهم إنا لم نأت لقتال أحد ، وإنما جئنا زواراً لهذا البيت ، معظمين لحرمة ، معنا الهدى ننحره وننصرف . (١)

المبعوث النبوي الثاني إلى قريش :

خرج عثمان بن عفان (٢) ، متوجهاً إلى مكة وهو يحمل رسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم السلمية إلى قريش ، وحين مروره ببلد ح التقي عثمان بدورية مسلحة من فرسان قريش فسألوه عن وجهته ، فأخبرهم أنه يحمل رسالة من رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى زعماء قريش ، وكان ضمن رجال هذه الدورية إسمان (٣) بن سعيده بن

- (١) مغازي الواقدي ج ٢ ص ١٠٠ وسيرة ابن هشام ج ٣ ص ٣٦٣ . دار الفكر .
(٢) عثمان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس القرشي الأموي أمير المؤمنين أبو عبد الله وأبو عمر ، وأمه أروى بنت كرز بن ربيعة بن حبيش بن عبد شمس ، أسلمت ، وأمها البهاء بنت عبد المطلب عمه رسول الله صلى الله عليه وسلم . وهو أول من هاجر إلى الحبشة ومعه زوجته رقية . تخلف عن بدر لتريضها ، وتخلف عنبيعة الرضوان لأن النبي كان قد بعثه إلى مكة . ولد بعد عام الفيل بست سنين على الصحيح وكان ربه ، حسن الوجه ، رقيق البشرة ، عظيم اللحية ، بعيد ما بين المنكبين . أسلم قدما . قال ابن اسحاق بأنه أسلم على يد أبي بكر . تزوج بنت النبي صلى الله عليه وسلم رقية ، وماتت عنده أيام بدر ، فزوجه بعدها أختها أم كلثوم ، فكان من ذلك يلقب بهذا النورين . من العشرة المبشرين بالجنة تولى خلافة المسلمين بعد عمر بن الخطاب وقتل يوم الجمعة لثمان عشرة خلت من ذي الحجة وعمره اثنتين وثلاثين سنة وأشهر على الصحيح ودفن في البقيع . (الاصابة ج ٢ ص ٤٦٢ = ٤٦٣) .
(٣) إسمان بن سعيده بن العاص بن عبد شمس بن عبد مناف القرشي الأموي . قال البخاري وأبو حاتم الرازي وابن حبان له صحبة وكان أبوه من أكبر قريش وله أولاد نجباء ، أسلم منهم قدما خالد وعمرو فقال فيهما :

ألا ليت ميتاً بالضربة شاهد لما يغترى في الدين عمرو وخالد .
ثم كان عمرو وخالد ممن هاجرا إلى الحبشة ، وشهد إسمان بدرا مشركاً فقتل بهما أخواه على الشرك ونجا هو فبقي في مكة حتى أجاز عثمان زمن الحديبية فبلغ رسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال له إسمان :
أسهل وأقبل ولا تخف أحداً . بنو سعيده أعزة الحسرم .
ثم قدم عمرو وخالد من الحبشة فراسلا أباهما فتابعهما حتى قدما جميعاً على النبي =

العاص ، الذى قام الى عثمان ورحب به وأجاره وقال : لا نقصر عن حاجتك ! ثم نزل عن فرس كان عليه فحمل عثمان على السرج وردفه وراءه ، فدخل عثمان مكة وأبلغ رسالة النبي صلى الله عليه وسلم الى كل من لقيه من زعماء قريش وقادتها . وقال لهم (بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم إليكم ، يدعوكم الى الله وإلى الأسلام . تدخلون في دين الله كافة ، فإن الله مظهر دينه معز نبيه ! وأخرى تكفون . وبلي هذا منه غيركم ، فإن ظفروا بمحمد فذلك الذى أردتم ، وإن ظفر محمد كنتم بالخيار . أن تدخلوا فيما دخل فيه الناس ، أو تقاتلوا ، وأنتم وافرون حامون . إن الحرب قد نهكتكم وأذهبت بالأمثال منكم وأخرى ، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يخبركم أنه لم يأت لقتال أحد ، إنما جاء معتمرا ، معه الهدى عليه القلائد ينحره وينصرف . فجعل عثمان رضي الله عنه يكلمهم فيأتيهم بما لا يريدون ، ويقولون قد سمعنا ما تقول ، ولا كان هذا أبدا . ولا دخلها علينا عنوة ، فارجع الى صاحبك فأخبره أنه لا يصل إلينا .) (١)

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قد أبلغ عثمان بن عفان قبل خروجه ——— الحد بيعة الى مكة ، بأن يقوم بالاتصال برجال مؤمنين ونساء مؤمنات من المؤمنين المستضعفين في مكة ذاتها وأن يشرهم بالفتح القريب ، والنصر المبين ، وأن الله سيظهر دينه بمكة قريبا إن شاء الله ، وفعلوا فقد قام عثمان بإبلاغ رسالة النبي صلى الله عليه وسلم الشفوية التي بعثه بها إلى زعماء مكة في بلدح ، قام كذلك بنقل الرسالة

== فأسلم إبان أيام خير شهد هامة النبي صلى الله عليه وسلم ، فأرسله النبي صلى الله عليه وسلم على سرية . ولاء النبي صلى الله عليه وسلم البحرين ، وتوفي النبي صلى الله عليه وسلم وإبان أمير عليها . قال الواقدي شهد إبان بن سعيد معارك الجهاد في الشام واختلف المؤرخون في تاريخ وفاته . والراجح أنه استشهد يوم إجماع بين سنة ثلاث عشرة هجرية (الأصابة لابن حجر ج ٣ ص ١٣ - ١٤) .

(١) مغازى الواقدي ج ٢ ص ٦٠١ ، وبين اسحاق ج ٣ ص ٣٦٣ دار الفكر . وقانون الجوار في الجاهلية عند العرب له مكانة القداسة . والعرب جميعون على احترامه ومعناه أن من حق أى فرد من القبيلة أن يعطي جواره ويعطي حمايته لأى إنسان أراد وإن قبيلة المجير تصبح تلقائيا ملزمة بتحمل مسئولية هذا الجوار وحماية الفرد المنتسب لجواره إليها ، وقد أصبح الآن عثمان في جوار قبيلة لها وزنها العظيم ، الأمر الذى لا يجروا أى أحد أن يمسسه بسوء أبدا .

الأخرى التي بعثها النبي الى المستضعفين المؤمنين في مكة المكرمة . هذا فقد ذكر الواقدي : (أن عثمان بن عفان دخل إلى مكة وهو ردف خلف إبان بن سعيد فأتى أشرافهم رجلا رجلا ، أبا سفيان بن حرب ، وصفوان بن أمية وغيرهم . منهم من لقي بيلدح ، ومنهم من لقي بمكة . فجعلوا يردون عليه : أن محمداً لا يدخلها علينا أبداً ! قال عثمان رضي الله عنه : ثم كنت أدخل على قوم مؤمنين من رجال ونساء مستضعفين ، فأقول : إن رسول الله يمشركم بالفتح ويقول : " أظلمكم حتى لا يستغفي بمكة الأيمان " . فقد كنت أرى الرجل منهم والمرأة تنتحب حتى أظن أنه يموت فرحاً بما أخبرته . فيسأل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيخفي المسألة ويشد ذلك " على " أنفسهم ، ويقولون : اقرأ على رسول الله منا السلام ، إن الذي أنزله بالحد يمة لقادر أن يدخله بطن مكة . (١)

ولا شك أن عمليات الاتصال تلك ، التي بدأت بالوفود الذين ذهبوا للتفاوض مع النبي صلى الله عليه وسلم في الحديبية ، وكذلك الوفود التي أرسل بها النبي صلى الله عليه وسلم الى قريش ، للتفاوض لحل هذه الأزمة ، هذه الدورة الإعلامية تمثل من وجهة نظر رجال الإعلام بدورة اتصال كاملة بجميع عناصرها الرئيسية ، كما يتحدث عن ذلك الدكتور إبراهيم إمام بقوله : (وإذا حللنا عملية الاتصال بالجاهل وجدنا أنها تشتمل على عناصر رئيسية هي : المرسل الذي يصوغ فكرته في رموز معينة ، ويبعث بها الى المستقبل ، الذي يفك هذه الرموز ويفسرها ، ثم يستجيب لها معبراً عن رده ، أو إنطباعه برسالة جديدة يصوغها في رموز ، ويبعث بها الى المرسل الأول ، الذي يستقبلها ويحل رموزها ويستجيب لها ، وهكذا تدور دورة الاتصال . (٢)

أما عناصر دورة الاتصال هذه فهي تشتمل على المرسل والمستقبل ، وفكرة الرسالة وحامل هذه الرسالة ، ومدى الاستجابة لها . وبهذا التقسيم تكون عناصر دورة الاتصال خمسة . ومع أن الدكتور إمام يقسم دورة الاتصال هذه الى خمسة عناصر فإنه يغفل عن عناصرها من عناصر هذه العملية ، ألا وهو حامل الرسالة الإعلامية .

ولنستمع لقول الدكتور إبراهيم إمام وهو يحلل هذه العناصر الخمسة بقوله : (فالعنصر الأول في العملية الاتصالية هي فكرة أو باعث في عقل المرسل ، وقد تكون الفكرة واضحة بصورة كافية بحيث تعتبر صالحة للتوصيل للمستقبل ، وقد لا تكون كذلك .

والعنصر الثاني هو التغيير الشكلي ، أو الصياغة ، ووضع الرسالة في شكل معين متعارف عليه ، أى في الفاظ أو رموز مفهومة .

والعنصر الثالث : هو تفسير المستقبل لهذه الرسالة ، وفك رموزها ، وهنا تصبح الرسالة شائعة بين الجماهير المستمعدة .

والعنصر الرابع : هو إستجابة المستقبل للرسالة ومدى تأثره بها وتقبله لها .
وأخيرا ، يأتي العنصر الخامس الذى يتمثل في رجوع الصدى الى المرسل ، والأصداء التى تظهر نتيجة للتأثر بالرسالة . وتعتبر هذه الأصداء الراجعة نفسها رسالة جديدة يستقبلها المرسل الأول ، فيفك رموزها ، ويدرك رسالته التالية على أساسها . وهكذا تستكمل الدورة الاتصالية . (١)

وحسبما تقدم ، وإذا أخذنا بعين الاعتبار ، التحليل الاعلامي للرسالة الاعلامية على طريقة الدكتور إمام ، فإننا سنفقد عنصرا هاما جدا من عناصر الرسالة الاعلامية ، ألا وهو حامل الرسالة الاعلامية ، الذى يعتبر أحد الأركان الرئيسية للدورة الاتصالية . ولنرى تقسيم الأستاذ الركابي لعناصر الرسالة الاعلامية ، حيث يقسمها الى أربعة عناصر ، هي في قوله : (إن الرسالة الاعلامية تشتمل على أربعة عناصر هي :

- ١- جهة البث والإرسال .
- ٢- جهة التلقي والإستقبال .
- ٣- موضوع البث ، أو محتوى الرسالة .
- ٤- حامل الرسالة الإعلامية (٢) .

(١) المرجع السابق ص ٣١ .

(٢) الأستاذ زين العابدين الركابي ، المرجع السابق ص ٢٩٩ .

وتأسيسا على هذا المفهوم ، ولأهمية عنصر حامل الرسالة الإعلامية في دورة الاتصال فاننا سنجرى عملية مقارنة بين اثنين من حملوا رسائل النبي صلى الله عليه وسلم ، وذلك ضمن دورة الاتصال الحالية ، التي تدور رحاها بين الحديبية وبلدح وعلى نطاق واسع لإنهاء الازمة التي افتعلتها قريش . وهذان الرجلان هما : بديل بن حسن ورفاعة الخزاعي ، وعثمان بن عفان .

أما بديل فكما مر معنا ، أنه حمل رسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم الشفوية الى قريش وأبلغهم إياها دون زيادة أو نقصان ، ودون إهتمام فيما إذا كان لهذه الرسالة نتائج إيجابية أو سلبية ، وذلك بقدر ما يتعلق به الأمر كرجل محايد دفعه شرف حياده للتوسط في حل النزاع القائم . ولذلك نراه يعرض أمر وساطته على قريش ، بترقب وحذر عندما قال : (إني جئتكم من عند محمد فهل تحبون أن أخبركم عنه ؟) (١)

فبديل يعتبر في هذا المقام مجرد ناقل للرسالة الإعلامية ، ومهمته ستنتهي في حال وصول الرسالة التي يحملها الى قريش .

أما عثمان بن عفان ، فكان على العكس من ذلك تماما ، فهو صاحبي ومن خيرة أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو حامل لرسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو يعتبر بمثابة الداعية الذي يحرص كل الحرص على إبلاغ الرسالة التي يحملها على أحسن وجه ، وما يحقق مصلحة الإسلام والمسلمين ، ولذلك كان أول ما وصل إلى قريش دعاهم الى الله ورسوله . وهو لا يعتبر في هذا النزاع رجلا محايدا ، وإنما يعتبر طرفا أساسيا فيه . ولذلك فإن أمر نجاح مهمته يعنيه بشكل مباشر ، وهو كذلك يعتبر ممثلا لرسول الله صلى الله عليه وسلم في هذه المفاوضات ، الناطق بلسانه ، ويستطيع الأجابة على الأسئلة المطروحة على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بالإضافة الى أنه يستطيع الهت بالأمور التي تتعلق بأمر هذه المفاوضات .

وهذا هو الفرق بين الداعية ورجل الأعلام ضمن مهمة حامل الرسالة الإعلامية ولنستمع الى أقوال نفس الدكتور إمام وهو يتحدث في موضع آخر من هذا الكتاب عن الفرق بين مهمة الداعية ورجل الأعلام ضمن مهمة حامل الرسالة الإعلامية ، بقوله : (إن الإعلامي ليس له غرض معين فيما ينشر على الناس ، اللهم إلا الأعلام ذاته ، بينما يهدف الداعية الى غاية معينة .) (١)

والجدير بالذكر أن النتائج التي أسفرت عنها المفاوضات التي جرت بين الحديبية وبلدح ، كانت تتلخص في ثلاثة نتائج رئيسية هي :

- ١- إضعاف جبهة قريش الداخلية .
 - ٢- إنفصال حلفائها عنها ، بعد أن تبين لهم كذبها واعتداؤها بدون مبرر .
 - ٣- حالة اليأس النفسي والضعف العسكري التي أرغمت قريش على طلب الصلح من الرسول صلى الله عليه وسلم .
- والجدير بالذكر أن هذه النتائج الإيجابية التي أسفرت عنها مفاوضات الحديبية لم تكن لتتحقق لولا سياسة الحكمة التي اتبعها رسول الله صلى الله عليه وسلم أثناء تلك المفاوضات ، تلك السياسة التي تميزت بالحلم والتروى والأصرار على بلوغ الهدف ، مما أدى الى نجاح هذه السياسة الحكيمة .

وعلى الرغم من سياسة اللين والتسامح التي اتبعها رسول الله صلى الله عليه عليه وسلم ، في معالجة الأمور بغاية من الحكمة والتعقل والصبر على استغارات قريش المتكررة ، وضبط أعلى درجات النفس ، فقد ظل الوضع متوترا في المنطقة نتيجة للحصار الطويل المدى ضربه قريش المشرك على المسلمين بمنعهم من دخول مكة وتهديدهم بقوة السلاح ، وقد

(١) الدكتور إبراهيم إمام : المرجع السابق ص ١١ .

بقي المسلمون صابرون على هذا الحال مدة حوالي عشرين يوما ، دون أن يقللوا ظفرا أو يقطعوا شعرا ، أو يمسوا طيبا ، أو يقربوا النساء ، وقد شعثوا واتسخت أجسامهم وبات المرض يهدد الكثيرين من الصحابة الكرام ، وهم في هذه المنطقة النائية ، بعيدين عن أهلهم وميتهم ، وما لا يخفى ما لطول البقاء في ملابس الإحرام من مشقة جسدية ونفسية .

ولقد بذل النبي صلى الله عليه وسلم كل ما في وسعه ونية صادقة لإحلال السلام بينه وبين قومه وعشيرته عندما قام بإطلاق سراح حوالي سبعين من الأسرى الذين ألقى القبض عليهم لمحاولتهم الإعتداء على المسلمين في معسكرهم في الحديبية ، وذلك في إظهار حسن النية وأملا منه في أن تتعامل قريش بمبدأ التسامح الذي كان يعمل به رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمثل .

وقد قرر عليه الصلاة والسلام ، عدم الرد على اعتداءات قريش واستفزازاتها المتكررة ، بالمثل ، أو الدخول معها في صدام مسلح حتى تكون هي الهادئة . ولقد كان هذا المبدأ السلمي الذي اتبعه رسول الله صلى الله عليه وسلم يقوم على أربعة أسباب هي :
السبب الأول يقوم على إحترام رسول الله صلى الله عليه وسلم للمكان ، حيث مكثه المكرمة قبله المسلمين التي تضم أظهر بقعة على وجه الأرض ، من أن تصبح مسرحا للحرب وسفك الدماء . أما السبب الثاني ، فهيأتى من إحترامه صلى الله عليه وسلم للزمان ، وهو الشهر الحرام . ويأتي السبب الثالث في إحترام رسول الله صلى الله عليه وسلم ومحافظة على صلة الرحم . إذ لم يكن من تعامله عليه الصلاة والسلام ، أن يقتل الرجل أباه وأخاه المشترك ، إلا في حالة الدفاع عن النفس فقط .

والسبب الرابع ، يأتي من أنه عليه الصلاة والسلام كان يأمل في أنه سيأتي يوم ترجع فيه قريش إن شاء الله الى رشدها وتدخل في دين الله كافة ، وأنهم سيكونون حملة هذا الدين الى العالم أجمع ، وقد حصل هذا فعلا ، كما كان يتوقعه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلم يمض غير وقت قصير على صلح الحديبية حتى أسلم اثنتان من كبار

قادة قريش هما ، خالد بن الوليد وعمر بن العاص ، وقد تبعهم فيما بعد الكثير من أكابر قريش ، وصناديدها ممن كانوا في فترة الحديبية قادة لجيوش الشرك ضد المسلمين . وقد أصبح هؤلاء فيما بعد مشاغل هداية للبشرية كافة ، وصورا حمية لهذا الدين الحنيف ، وتمثلوا به ودافعوا عنه بدائهم الزكية وأرواحهم الطاهرة ، وقد استشهد الكثيرين منهم في معارك الجهاد والفتوحات الإسلامية في بلاد الشام وفارس ، وما وراء النهر ، وغيرها من بلدان العالم ، وهم يذكرون عن حمى هذا الدين الذي اقتنعوا به كل القناعة ، ودخلوا فيه عن نفس راضية ، كما كان يتوقع رسول الله صلى الله عليه وسلم . مما سيأتي ذكره في الفصول القادمة ان شاء الله .

ورغم استمرار الرسول صلى الله عليه وسلم في سياسته السلمية هذه ، فقد استمرت قريش من جانبها ، بسياستها وخطها العدواني ، وقد أخذت حدة التوتر تتزايد نتيجة لتضايف المسلمين من طول الإحتباس في تلك المنطقة ، ودون الوصول الى حل ، يضمن لهم ، دخول مكة وأداء مناسك العمرة ، فقد أخذ الصحابة بالتفكير بانها هذا الوضع اللاعسكري واللاسلمي ، وذلك باقتحام مكة ، وشق طريقهم إليها بقوة السلاح وكان فعلا بإمكان المسلمين تحقيق ذلك بالرغم من الفارق الكبير بالعدد والعدة بينهم وبين قريش .

غير أن المسلمين مع رغبتهم العارمة بدخول مكة وقد رتبهم على إحتلالها وكسر طوق الحصار الذي فرضته قريش عليهم بالقوة ، فإن شيئا واحدا قد قيد رغبتهم هذه تقييدا كاملا ، عن تحقيق هذه الغاية ، وهو أمر نهيمهم الكريم صلوات الله وسلامه عليه الذي يدرك ما لا يدركون وينظر الى الأمور بغير النظرة التي ينظرون إليها .

وهكذا كان النبي صلى الله عليه وسلم يتمسك برباطة الجأش وضبط النفس ، أزا كل ما أقدمت عليه قريش من عمل عدواني . وكيف لا وهو المبعوث رحمة للعالمين ، ومنقذ الإنسانية جميعا ، والأخذ بيدها الى طريق الخير والفلاح والرشاد . قال تعالى : ((وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين .)) (١)

شائعة مقتل عثمان :

وبينما كان عثمان بن عفان موجودا في مكة ، لأبلاغ زعمائها رسالة النبي صلى الله عليه وسلم السلمية ، وفيما كان الرسول صلى الله عليه وسلم والمسلمون ينتظرون مسافر ستسفر محادثاته مع قريش ، فقد ظهر على مسرح الأحداث تحول فجائي في موقف الرسول صلى الله عليه وسلم والمسلمين ، جعلهم يتحولون من موقف السلم والصبر ، إلى اتخاذ موقف عسكري فوري ، والدخول مع قريش في صدام مسلح ، وهذا التحول ، كان نتيجة لأشاعة راجت في المنطقة بقوة ووصلت إلى أسماع الرسول صلى الله عليه وسلم والمسلمين في المدينة ، مفادها أن قريشا قامت بالأعتداء على حياة عثمان بن عفان وقتلته ، الأمر الذي أثار حفيظة المسلمين ، وجعلهم يتحولون من موقف السلم إلى موقف الحرب ضد الجوسوتور اللغاية وقد أخذت نذر الحرب تلوح في المنطقة ، حيث أصبح الموقف العام ملتهبا للغاية ، وقد اتخذ الرسول صلى الله عليه وسلم قرارا بدخول المعركة فوراً .

وفيما أخذ الجو الحربي يخيم على المنطقة تدريجيا ، فقد أصدر النبي صلى الله عليه وسلم أمرا عسكريا إلى جميع الوحدات الإسلامية الرابطة في المدينة ، لتكون على أهبة الاستعداد للزحف نحو مكة ، واحتلالها بالقوة .

أخبار الاستعدادات العسكرية للمسلمين تصل إلى قريش :

أخذت أخبار الاستعدادات العسكرية الإسلامية لإقحام مكة تصل إلى زعماء قريش في مكة وبلدح . فعم الذعر صفوف المشركين وانتشرت الشائعات ، ودخل الخوف والهلع نفوس قاداتهم ، نتيجة لقرار النبي صلى الله عليه وسلم الحاسم بدخول المعركة مع قريش .

فقريش تعرف من هم المسلمون إذا ما وقعت المعركة الحقيقية بينهما وبينهم ، فهي لها تجارب وتجارب معهم ، فقد ذاقست الولايات على أيديهم في بدر وأحد والخندق وغيرها ، وقد ساعد هذا الجو المتوتر على إنتشار الشائعات بين الفريقين في تلك المنطقة . وعلى نطاق واسع ، وهذه هي طبيعة الشائعات ، حيث لا تكثر وتنتشر إلا في مثل هذه الأجواء الملتبهة والملائمة لظهورها ، هذا وبالنظر لأهمية الشائعات النفسية فأنتني سأقوم بدراسة سريعة ومختصرة للشائعات وأهميتها الإعلامية وذلك على ضوء الدراسات

بحث ثاني :

الشائعات وأهميتها الإعلامية :

لم يكن الجو المتوتر الذي خيم على منطقة الحديبية ولاح ، مدة أكثر من عشرين يوما ، خالها من أساليب الحرب الباردة ، لأن تلك الأساليب تعيش أكثر ما تعيش ، في مثل تلك الظروف المضطربة والأجواء المكهربة .

والجدير بالذكر ، أن تلك الأشاعات ، من أهم الأسلحة الفتاكة التي استعملت قد بما وحديثا في أغراض الحرب النفسية ، وإنها تعتبر من أهم أساليب تلك الحرب من حيث قوة تأثيرها بالرأى العام .

ولما كانت الشائعات تستخدم أكثر ما تستخدم ، في الأوضاع المتوترة ، من حيث يرى تجار الحروب والمنفعون ، أو المتهورون ، بأن هذه فرصتهم للإيقاع بين الخصوم ، فإن استعمال سلاح الشائعات ، يستعجل بطريقة أو بأخرى من إيقاع الفتنة وتقريب الحرب والهدام بين الفريقين المتصارعين .

لذا فإنه ليس غريبا أن تنطلق في مثل تلك الظروف تلك الأشاعة ، التي راجت في معسكر المسلمين في الحديبية ، عن مقتل عثمان بن عفان في مكة ، ذلك لأنها ولدت في الجو الملائم لظهورها وانتشارها .

وبعرف صلاح نصر الشائعة بقوله : (بأنها سلاح رهيب من أسلحة الحرب النفسية التي تفتك بمعنويات الشعوب ، وتهدف غالبا الى شل فكر الإنسان ، وجعله يتقاد نحو المستقبل المجهول ، أو ينطق بما لا يعقل ، أو يحكي بما لا يفهم .) (١)

ثم يعرف كل من ، جولد ن هورن ووستمان في كتابيهما سيكولوجية الشائعة بأنها : (اصطلاح يطلق على رأى موضوعي ، معين ومطروح ، كي يؤمن به من يسمعه ، وهي تنقل عادة من شخص الى آخر عن طريق الكلمة الشفهية ، دون أن يتطلب ذلك مستوى من البرهان أو الدليل .) (٢)

(١) صلاح نصر الحرب النفسية الجزء الأول (ط ٢) ص ٣٠٣ .

والحقيقة أن للشائعة موضوعا معينا تروج فيه ، وظرفا خاصا تعيش فيه . وتأسيسا على هذا الفهم ، فإن صلاح نصر يوضح لنا ذلك بقوله : (ولما كانت الشائعة تتضمن عادة موضوعا معينا ، فإن الأهتمام بها يكون مؤقتا ، فهي تروج في الظروف الملائمة للموضوع ، ثم تنتهي بموتها ودفنها ، على أنه من ناحية أخرى قد تعاود الظهور مرة أخرى إذا ما وجدت الأرض الخصبة المناسبة .) (١)

ولما كانت هذه الأشاعة التي نحن بصدد الحديث عنها ، وهي إشاعة مقتل عثمان بن عفان ، قد انطلقت من كونها تتحدث عن موضوع هو بالأصل ، له وجود ، ذلك هو ذهاب عثمان بن عفان الى مكة ولإنقطاع أخباره لمدة ثلاثة أيام ، لذلك ، فإن هذه الشائعة قد استغلت ظرفا مهيئا لظهورها . وهي الغموض والأهمية اللذان صاحبهما الحادث الأصلي ، إذ لم تكن شائعة مقتل عثمان بن عفان في مكة ، هي بعد ذاتها ، وفي أصل تكوينها من نسج الخيال . وكذلك فإنها لم تكتسب صفة الخبر ، ذلك لأن الخبر يقوم في مفهومه على الصحة والصدق ، ويعتمد على البرهان والدليل ، بعكس الشائعة التي تعتمد على الهواجس والتكهنات ، وحول هذا الموضوع يتحدث صلاح نصر موضحا الفرق بين الخبر والشائعة فيقول : (ليست كل الشائعات من نسيج الخيال ، فقد يكون بعضها لا أساس له مطلقا ، وقد تعتمد على جزء من الحقيقة فيها لخلق كيانها وترويجها . ويجب أن نفرق هنا بين الخبر والشائعة . فالخبر يعتمد على البرهان والدليل القاطع ، أما الشائعة فإن برهانها يكون باهتا غير واضح .) (٢)

أما الدكتور إبراهيم إمام فإنه يرى أن الشائعة هي مجرد تخيلات وتكهنات ، وإنها ليست من الواقع . ولنستمع إليه وهو يتحدث عن هذا الموضوع : (والحق أن الشائعة هي مزيج عجيب من الوقائع والتخيلات ، ولا يمكن بسهولة تحديد العناصر الواقعية وفصلها عن الجوانب الخيالية ، حتى أننا كثيرا ما نعجز عن إكتشاف نواة الواقع الحقيقية ، بل أننا قد نكتشف أنه لا توجد أية نواة من الواقع إطلاقا . والمهم أن الشطحيات

(١) صلاح نصر : المرجع السابق ص ٣٠٤ .

(٢) صلاح نصر : المرجع السابق ص ٣٠٥ .

الخيالية تتزايد عادة عند إنتقال الشائعة من شخص الى آخر . (١)

وليس من شك أن إشاعة مقتل عثمان بن عفان في مكة ، كانت في واقعها بالغسة الأهمية ، وقد لكتسبت هذه الأشاعة أهميتها ، من كون أن عثمان بن عفان هو من كبار الصحابة الكرام ، ومن السابقين للإسلام ، ولأنه يعتبر من القادة الكبار الذين تولوا إليهم الأمور في تقرير مصيرها ، ومن المقربين إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بالإضافة الى أنه قد تزوج من بنته رقية وبعد وفاتها تزوج من أم كلثوم ، وتزداد أهمية هذا الموضوع ، من كون عثمان بن عفان ، هو مبعوث رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى قريش وحامل رسالته إليهم . وأنه قد ذهب في حاجة الله ورسوله ، لذلك فإن هذه الأشاعة كانت شديدة الوقع على نفوس المسلمين ، الأمر الذى نتج عنه تغيير كامل في موقفهم ، ولإنقلاب الوضع من الصبر الطويل الى القرار الفورى بدخول المعركة . وينقل لنا الدكتور إبراهيم إمام في كتابه (٢) ما قاله البرت ويوستان ، عن أهم الشروط التي تكتسب الشائعة فيها أهميتها وسريانها فيجعلها في شرطين اثنين هما الأهمية والغموض ، ولنستمع إليه وهو يقول : (إن سريان الشائعة يخضع لشرطين أساسيين ، فالشرط الأول ينطوى على أهمية الحادث بالنسبة للمتحدث والمستمع ، وأما الشرط الثاني فهو الغموض الذى يطوى الحادث ويغلفه . وقد ينشأ الغموض من إعدام الأخبار أو نضوبها ، أو عن تضارب الأخبار ، أو عدم الثقة بها ، أو عن بعض التوترات الأنفعالية التي تجعل الفرد غير قادر أو غير متهيء لتقبل الوقائع التي تقدمها الأخبار اليه .

ثم يؤكد الباحثان أن الشرطين الأساسيين للشائعة ، وهما الأهمية والغموض - يرتبطان ارتباطا كليا - على وجه التقريب فيما يبدو - بسريان الشائعة .

هذا وأما بالنسبة للأجواء الخاصة التي تظهر فيها الشائعة وتنتشر وتزداد رواجها وتأثيرا ، فإن الدكتور إبراهيم إمام يعزو ذلك للأجواء الحربية ، ولنستمع إليه وهو يقول : (فليس غريبا أن يكون جو الحرب ملائما لظهور الشائعات ولانتشارها ، فسرية الأخبار ، وهو أمر جوهري تتطلبه دواعي الأمن ، تخلق جو من الغموض . كما أن أرواح الناس

وستلكاتهم وسادتهم وقميصهم ، من أهم ما يعينهم وأعلى ما يحرسون عليه . (١)
وهذا المفهوم تتضح لنا حقيقة الشائعات ، وتتضح
كذلك طبيعة الأجواء التي تنشأ عنها
وتنتشر فيها .

ومن الجدير بالذكر أن الشائعة هي من الأسلحة القديمة التي استعملها الإنسان
لتحقيق أغراضه العسكرية وغيرها من الأغراض التي تشيع البلبلة وتقود عائم المجتمعات
وتثير الفتن والأحقاد في النفوس وتطعن الأبرياء .

ويستعرض القرآن الكريم في كثير من آياته الكريمات ، حديثه عن الشائعات ، ففي الآية
الكريمة التالية يصف الله سبحانه وتعالى المؤمنين الذين تعرضوا للشائعات ولم تزيد هم
هذه الشائعات إلاّ التمسك بآيمانهم ، فيقول الله عز وجل فيهم : ((الذين قال لهم
الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم ، فزادهم إيماناً وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل
فانقلبوا بنعمة من الله وفضل ، لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو الفضل
العظيم .)) (٢)

ثم يصف القرآن الكريم نوعاً آخر من المسلمين الذين قد تأثروا بهذه الشائعات
فيقول الله عز وجل : ((وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به ، ولو ردوه إلى
الرسول وإلى أولي الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم ، ولولا فضل الله عليكم
ورحمته لاتبعتم الشيطان إلاّ قليلاً .)) (٣) ثم يتحدث القرآن الكريم مبيناً سوء عاقبة
الذين يؤمنون المؤمنين والمؤمنات بالشائعات ، فيقول الله عز وجل فيهم : ((والذين
يؤمنون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتاناً وإثماً مبيناً .)) (٤)
ثم يتحدث جل وعلا في كتابه العزيز عن الشائعة معبراً عنها بالارجاف فيقول سبحانه :
((لئن لم ينته المنافقون والذين في قلوبهم مرض والمرجفون في المدينة لنغوينك بهم ثم

(١) الدكتور إبراهيم إمام : المرجع السابق ص ٢٤٨ .

(٢) سورة آل عمران الآيات : ١٧٣ - ١٧٥ .

(٣) سورة النساء الآية : ٨٣ .

(٤) سورة الأحزاب الآية : ٥٨ .

لا يجاورونك فيها إلا قليلا .)) (١) ثم إنه عز وجل يوحي الى المؤمنين بأن لا يتبعوا سبيل المنافقين الذين آذوا الأنبياء ، فيقول جل شأنه : ((يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا ، وكان عند الله وجهها . يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا .)) (٢)

وفي سورة النور يتحدث جل شأنه عن حادثة الأفك مبينا حكم الله جل وعلا بالذين يطلقون الشائعات ضد الأبرياء من المؤمنين والمؤمنات وذلك في الآيات الكريمة من الآية (١١ - ٢٥) (٣) . ثم يوصي جل شأنه بالتثبت والتأكد من الأنباء التي يأتي بها الفاسقون ، فيقول : ((يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين .)) (٤)

ثم يتحدث صلاح نصر عن قدم الشائعة في التاريخ البشري ، فيقول : بأنها ظاهرة اجتماعية عاشت مع الإنسان منذ وجوده على هذه الأرض ، ولنستمع الى حديثه عن هذا الموضوع الذي جعله تحت عنوان " الشائعة والتاريخ " : (لا يستطيع الإنسان أن يتخيل مجتمعا منذ بدأ الخليقة يخلوا من الشائعات ، فهذه كثيرها من أحداث الإنسان ظاهرة اجتماعية لازمة . والواقع أن في تاريخ البشرية أمثلة واضحة تبين أن الشائعة وجدت على الأرض مع الإنسان ، بل إنها عاشت وتبلورت وترعرعت في أحضان كل حضارة وثقافة . وكثيرا ما يحدث أن يظل موضوع شائعة معينة كما هو غير قابل للاستنفاد ، وإن كان يأخذ أشكالا متنوعة في أوقات مختلفة ، بل قد يحدث أن يتبلور أحد هذه الأشكال ليصبح أسطورة لا تموت .) (٥) هذا ثم يتحدث نفس الكاتب عن خطورة سلاح الشائعات ، فيقول : (إن الشائعات المختلفة سواء كانت قصيرة العمر أو طويلة ، معادية أو مدمرة ، تعتبر من أخطر الأسلحة الفتاكة للمجتمعات البشرية . أما فيما يتعلق

(١) سورة الأحزاب الآية : ٦٠ .

(٢) سورة الأحزاب الآيات : ٦٩ - ٧٠ .

(٣) أنظر القرآن الكريم سورة النور الآيات : ١١ - ٢٥ .

(٤) سورة الحجرات الآية : ٦ .

(٥) صلاح نصر : المرجع السابق ص ٣٠٧ .

يكون أن الشائعة تتخذ على أساس أخباري أو إعلامي ، فأن هذا التقويم بلا شك سيكون خاطئا لأن الشائعة كما قلنا سابقا لا تقوم على أساس من الحقائق الثابتة (١) ! ثم يتحدث الكاتب عن الأسباب التي يكثر فيها تردد الشائعات ، فيرى من وجهة نظره بأنها ترجع الى إعدام المعلومات الصحيحة ، أو إعدام الأخبار بصورة كلية ولنستمع إليه وهو يقول : (ويرجع السبب في تردد الشائعات الى إعدام المعلومات وندرة الأخبار ، ومن هنا ينادون بضرورة تزويد الشعب بجميع الأخبار التفصيلية والدقيقة الممكنة ، حتى يكون على بيئة ما يدور حوله من أحداث ، وأعمال تؤثر على حياته ومستقبله) . (٢)

(١) صلاح نصر المرجع السابق ص ٣٠٨ .
(٢) صلاح نصر : المرجع السابق ص ٣١٧ .

مبحث ثالث :

أساليب مقاومة الشائعات :

لقد وضع الإسلام معايير ثابتة للوقاية من سموم الشائعات حتى لا تتمكن هذه الشائعات من الفتك في المجتمع الإسلامي . وأن من أهم هذه المعايير معيار الأيمان . فالأيمان هو الحصن الحصين الواقى من جميع أمراض الحياة وآفاتنا . والأيمان كما عرفه سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم في الحديث الذى رواه سيدنا عمر بن الخطاب ، عندما سأله جبريل قائلا : يا محمد أخبرني ما الأيمان ؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الأيمان (هو أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله وبالسموم الآخرة ، وبالقدر خيره وشره .) (١) ، وهذا فإن المسلم لا يكون كامل الأيمان إلا بهذه الأركان الستة التي جاءت في هذا الحديث جميعها .

وعلى هذا الأساس فإنه يجب على كل مصلح أو داعية إلى الله ، أن يزرع بذور الأيمان في نفوس المسلمين حتى يكون هذا الأيمان لهم درعا واقيا من لهيب الشائعات الفتاكة . وقد أخبرنا الله سبحانه وتعالى في الآية الكريمة عن المؤمنين الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فماذا حصل من أمر هؤلاء المؤمنين ؟ وهل استجابوا لهذا التهديد ؟ الجواب . كلا . . . وذلك لأن المؤمنين لم يهتوا ولم يكرثوا لمثل هذه الأراجيف ، وتلك الشائعات المفرضة ، وإن جميع أساليب الحسب النفسية مهما بلغت ، فأنها لا يمكن أن تؤثر بمعنوياتهم العالية وإيمانهم القوى . وقالوا - كما أخبرنا الله سبحانه - حسبنا الله ونعم الوكيل . وهذا قول المؤمنين دائما في كل زمان ومكان . فالمؤمن عندما يتعرض للمحن والشدائد ، فأنها لا تزيد به إلا إيمانا وتشبثا ، لأن الأيمان هو الدرع الواقى من شرور هذه الأمراض والآفات جميعها . ومع هذا الأيمان الراسخ بالله تعالى فإن على المؤمن أيضا أن يأخذ بالأسباب ويعمد العدة لأيجاد أفضل السبل وأنجح الوسائل لأفشال المخططات المعادية والتفليس

(١) الأئام مسلم ج ١ كتاب الأيمان ص ٣٧ وهو جزء من حديث طويل . دار البحوث

عليها ، وذلك من أجل الوصول إلى المستوى الذى يمكنه من هداية البشرية والأخذ بيد ها الى طريق الأسلام الذى يجعل من الناس فعلا عبادا لله وليس عبادا للعباد . إذن فالإيمان هو الذى يحصن الإنسان ضد جميع الأخطار ويخلق جو الطمأنينة الكاملة ، في النفس البشرية الضعيفة التي تحتاج إلى قوة كبرى تستند إليها فسي تصريف شوقونها الحياتية .

أما طرق الوقاية من هذه الشائعات المسمومة فهناك عدد من وجهات النظر حول هذا الموضوع . فالدكتور إبراهيم إمام يرى من وجهة نظـــــــره أن من أفضل الطرق لمقاومة الشائعات هو دعم إيمان الفرد بوطنه وإيقاظ ضميره . ولنستمع إليه وهو يتحدث عن هذا الموضوع بقوله : (يبدو أن خير وسيلة لمقاومة الشائعات ومواجهة الحرب النفسية هي تحصين الشعب عن طريق دعم إيمانه بوطنه وأهدافه ، وتوعيته الجماهير وإيقاظ الضمائر ، وهي مهمة لا بد وأن تتضافر على أدائها هيئات التربية والتعليم ، والثقافة والأعلام ، والتنظيمات السياسية . إن التعبئة النفسية للجماهير وتسكها بأيد يولوجيتها عن إيمان وإقتناع ، من أهم الدعام الضرورية لمواجهة الشائعات والحرب النفسية) . (١)

ومع أننا ننقل كلام الدكتور إمام ، فأنتا لنا بعض التحفظات على بعض ما جاء في كلام دكتورنا الفاضل .

فالإيمان كما يراه المؤمن ، هو الإيمان بالله القوى العزيز . هذا الإله ، الذى يستلهم منه المؤمن طاقته وعزيمته وثباته ونصره على أعدائه الله . بل وإن الإيمان فسي مفهوم المؤمن هو الإيمان الشامل لكل ما يجعل المؤمن في هذه الحياة عبداً خالصاً لله تعالى ، وليس فقط كما يقول الدكتور إمام - الإيمان بالوطن - فالوطن في مفهوم المؤمن هو جزء يسير من الحياة الشاملة ، التي يجب أن تكون كلها لله . فالؤمن يعيش في هذا الوطن ، أو بعبارة أصح في هذه الأرض مستخلفاً فيها من قبل الله

ليقيم فيها العدل ويحكم فيها بكتاب الله وسنة نبيه ، وبغير هذا المفهوم لا يستطيع العبد المؤمن أن يفهم الإيمان . لأن هذا هو المفهوم الحقيقي للإيمان الذي يقره الإسلام .

ثم يضيف الدكتور إمام في حديثه عن الأساليب التي يجب أن تستخدم لمقاومة الشائعات فيقول : (وهنا تستطيع أجهزة الإعلام والثقافة أن تلعب دورا حيويا للغاية . فالصحافة والأذاعة والتلفزيون والسينما وسائل ضرورية للتنشئة الاجتماعية ، وتبصير الناس بأهدافهم ، وتوعيتهم وإرشادهم) . ثم يتطرق الدكتور إمام في حديثه هذا عن دور الأغاني والموسيقى فيقول : وقد رأينا أن الأغاني والموسيقى والأناشيد الوطنية تمس شغاف القلوب ، وترفع من الروح المعنوية للشعب ، ويمكن للتشيلية كشكل فني محبوب أن تتناول الشائعات بطريقة غير مباشرة ، فتغندها وتدحضها دون أن تكرر مضمونها بطبيعة الحال . كما يلعب الإعلام دورا رئيسيا في مواجهة الأخطاء والأكاذيب ، بالحقائق التي تؤيدها الوثائق والمستندات عن طريق الأفلام التسجيلية والدرامية (١) ومع أننا نتفق مع الدكتور في بعض ما أورد ، من وسائل وأساليب إعلامية لمكافحة الشائعات ، إلا أننا نختلف معه في البعض الآخر منها ، وهو موضوع الأغاني والموسيقى ، كوسيلة إعلامية نافعة لمكافحة الشائعات ، ونقول بأن الأغاني والموسيقى مع كونها من المحرمات في الإسلام ، فإن فائدتهما إن لم تكن قليلة نطق ، فإنها معدومة أيضا ، وذلك لأن الشخص الذي يستمع ويردد الأغاني والموسيقى والألحان ، فإنه لا يردد ما ليفهم معانيها وينقاد للكلمات ، ولكنه يردد ما من أجل أن يستمتع بلحنها ورنتها الموسيقية ، ولهذا فإننا نختلف مع أستاذنا الفاضل في هذه النقطة أيضا ، ونقول بأن الأغاني مع الموسيقى من شأنها أن يخلقا جوا من الميوعة والاستهتار واللاسوقولية عند الناس .

ثم يضيف الدكتور إمام في حديثه مستعرضا أهم الأسباب التي يجب أن تتخذ لمقاومة الشائعات فيقول : (ولما كانت الشائعات جزءا لا يتجزأ من الحرب النفسية فإن

السبيل لمواجهتها لا يكون بالتشريع فقط ، وإنما بالتوعية والتحصين والتعبئة النفسية للجماهير ، على أن يتم ذلك كله في إطار من التخطيط الإعلامي ، القائم على البحث العلمي ، مع قياس النتائج ، وتقويم الآثار ، في كل خطوة من الخطوات ، حتى يتم العمل في نظام دقيق مدروس بعيد كل البعد عن الأرتجال (١)

ثم يتحدث الدكتور إمام عن أهمية بناء الإنسان وإعداده لتحمل المسؤولية فسي مقاومة الشائعات والدفاع عن الوطن ، فيقول : (إن بناء الإنسان على أساس من المسؤولية والوعي هو الهدف الأول لأي مجتمع يريد أن ينمو ويتطور في مواجهة الأعداء . ولا بد أن تنتبه لأهمية التوعية السياسية ، وأن نجعل محورها الإنسان الذي يستطيع عن طريق الأحساس بالمسؤولية والأيمان بالقيم والمبادئ ، والشعور بالولاء العميق للتنظيم السياسي ، أن يصمد ويصنع المعجزات . وتقع على عاتق التنظيم السياسي مهمة التعبئة النفسية ، وتجسيم الأهداف ، وإعداد المواطن للعمل في ساعة الخطر ، بحيث يؤدي عمله بحماس مضاعف ، دون تذمر أو قلق .) (٢)

وحول ما جاء في حديث الدكتور إمام عن بناء الإنسان ، فإن ما أورده من نقاط قيمة حول هذا الموضوع ، لا تتنافى مع روح الإسلام ومبادئه ، ولا توجد أي ملاحظة للنقد ، اللهم إلا عبارة واحدة فقط ، وهي العبارة التي يقول فيها : والشعور بالولاء العميق للتنظيم السياسي .

ومع أننا نحسن الظن في نية أستاذنا الفاضل ، إلا أنه يجب أن يوضح مفهوم الولاء بل وينبغي أن يكون التخصيص هنا واضحا ، إذ أن النظم السياسية الحاضرة تكاد تكون في مجموعها غير موالية لله ولرسوله . وعلى هذا ، يجب أن يكون ولا المؤمن لله ولرسوله وللتنظيم السياسي الذي يتبنى ويمثل هذه القاعدة وهي قاعدة الأيمان . والله سبحانه قد حدد قاعدة الولاء والعداء . قال تعالى : ((الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور والذين كفروا أوليائهم الطاغوت يخرجونهم من النور إلى

الظلمات أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون)) . (١)

وقال جل شأنه : ((إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا)) (٢)

وقال سبحانه : ((وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ)) (٣)

وهذه الآيات الكريمات يستطيع المسلم أن يحدد مفهومه للولاء وللعداوة في هذه

الدنيا .

وهذه الدراسة والتحليل ، فأنتنا نرجو أن نكون قد ألقينا الضوء على معظم الطرق ،

والأساليب التي يتبعها الإسلام في مواجهة الشائعات ومن ثم الآراء التي وضعها رجال

الأعلام في موضوع مقاومة الشائعات وطرق الوقاية منها .

(١) سورة البقرة الآية (٢٥٢) .

(٢) سورة المائدة الآية (٥٥) .

(٣) سورة المائدة الآية (٥٦) .

بحث رابع :

بيعة الرضوان :

لم يسمع النبي صلى الله عليه وسلم بعد ما سمع بإشاعة مقتل عثمان بن عفان في مكة على أيدي مشركي قريش ، إلا أن يستنفر أصحابه الكرام ، وأن يدعوهم إلى قتال المشركين وذلك بأن دعاهم إلى مبايعته على الموت بعد أن نزل الأمر بذلك من السماء .

وقد لبى الصحابة الكرام جميعا ، وعددهم ألف وأربعمائة صحابي نداهم نبيهم الكريم فبايعوه تحت الشجرة في الحديبية . فامتد بهم الله تعالى وأثنى عليهم وأعلن رضاهم عنهم بقوله عز وجل : ((لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة ، فعلم ما في قلوبهم ، فأنزل السكينة عليهم وأثابهم فتحا قريبا .)) (١)

وقد أثنى عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله : " أنتم خير أهل الأرض " (٢) وهذه البيعة هي التي تعرف تاريخيا ببيعة الرضوان .

فقد ذكر الطبري في حديثه عن هذا الموضوع ، قال : (إن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حينما بلغه أن عثمان بن عفان قد قتل قال : " لا نرح حتى تناجز القوم " ودعا الناس إلى البيعة ، فكانت بيعة الرضوان تحت الشجرة) . (٣)

وفي رواية أخرى للطبري عن جابر بن عبد الله ، أنه قال : (أنهم كانوا أربعة عشرة مائة . قال : فبايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعمر أخذ بيده تحت الشجرة ، وهي سره ، فبايعناه غير الجذ بن قيس الأنصاري اختبأ تحت بطن بعيره .) (٤)

وقد ذكر الواقدي تفصيلا أوسع لبيعة الرضوان هذه ، فقال : (كان محمد بن مسلمة على فرس للنبي صلى الله عليه وسلم - يحرس - معسكر المسلمين في تلك الليالي ، وعثمان بمكة . وكان عثمان قد أقام بمكة ثلاثا يدعو قريشا . وكان رجال من المسلمين قصد

(١) سورة الفتح الآية (١٨) .

(٢) صحيح الإمام البخاري . كتاب المغازي ص ٦٤ . دار الفكر .

(٣) تاريخ الطبري ج ٢ ص ٦٣٢ . دار المعارف .

(٤) المرجع السابق ج ٢ ص ٦٣٢ .

دخلوا مكة بأذن من رسول الله صلى الله عليه وسلم على أهلهم ، فبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم أن عثمان وأصحابه قد قُتلوا فذلك حين دعا للبيعة . (١)

وعندما بدأ الصحابة الكرام يبايعون رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقد بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم عن عثمان ، فغضب بأحدى يديه على الأخرى ، وذلك حسبما جاء في رواية بن إسحاق والسيرة الحلبية : (أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال : اللهم أن عثمان ذهب في حاجة الله وحاجة رسوله فأنا أبايع عنه ، فغضب بيمينه على شماله) . (٢)

وما من شك ، أن الدخول في الإسلام ، أصلاً والانتماء إليه ، هوبيعة مع الله تعالى ، يعطيها المؤمن عهداً صادقا ، وجهادا خالصا ، وهذا وفاء . أولئك الصفوة المؤمنة من عباد الله المخلصين الأبرار الذين بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم على الموت تحت الشجرة . ليس لهم فرض من هذه البيعة إلا نصرة الإسلام والدفاع عن الحق فباعوا أنفسهم لله تعالى . وقد ارتضوا هذه البيعة الكريمة وتلك الصفقة الربحية ، فلم يحتجزوا لأنفسهم ذرة من الحرص على الحياة ، أو الرغبة في متاعها الزائل . لأن أرواحهم وأموالهم وأنفسهم قد بيعت في سبيل الله ، إبتغاء مرضاته ، فليس عليهم إلا أن يفيوا بالعهد ، ويمضوا العقد ، فيجاهدوا في سبيل الله ويمضوا حيث يأمرهم رسولهم الكريم بكل نفس طيبة وأرواح راضية مؤمنة في سلوك السبيل القويم الى نهايته . فإذا تم لهم النصر فذلك خير كبير ، لاكرهم الله به ، وإذا أدركتهم الشهادة ، فذلك هي النعمة الكبرى ، والغاية التي يسعى اليها المجاهدون الصادقون ، ولهم في الحالين الجنة التي أعد لها الله لعبادة المخلصين الأبرار . قال تعالى : ((إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة ، يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون ، وعدا عليه حقا في التوراة والإنجيل والقرآن ، ومن أوفى بعهد . من الله ؟ فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم .)) (٣)

(١) مغازي الواقدي ج ٢ ص ٦٠٢ . عالم الكتب بيروت .

(٢) سيرة ابن هشام ج ٣ ص ٣٦٥ دار الفكر والسيرة الحلبية ج ٢ ص ١٤١ .

(٣) سورة التوبة الآية (١١١) .

وإن هذه البهجة العظيمة لازمة في أعناق المؤمنين لأنها جاءت تنفيذا لأمر الله تبارك وتعالى ، وإنه جل وعلا ، جعل لهذا البيع ثمنا ، وهو الجنة ، وهو سبحانه وتعالى واهب الأنفس والأموال ، وهو مالكها ، فكان من فضله عز وجل أنه قبل العوض بما يملكه ، وما تفضل به على عباده المخلصين المطيعين له . فكان وعد الله تبارك وتعالى هذا وعد قاطع كريم كتبه على نفسه وأنزله على رسوله الكريم صلى الله عليه وسلم وعلى رسله جميعا صلوات الله عليهم أجمعين . والله تبارك وتعالى لا يخلف الميعاد ، لذا فليستبشر كل من أخلص نفسه لله تعالى وعمل بمقتضى هذه البهجة الكريمة ، ووفى بعهد الله ، بالفوز العظيم والنعيم المقيم .

ومعلوم أن تصور المشرك للحياة الدنيا ، ليس كما هو تصور المؤمن لها . لأن تصور المؤمن للحياة يثبت أصلا من تصوره الاعتقادي لمعنى الحياة والموت . بينما ينظر المفتونون بالحياة الدنيا المحجوبون عن هدى الله ، الى الحياة ، على أنها الغاية التي ليس بعدها غاية ، فيتشبثون بها ، ويتعلقون بمتعتها الزائلة ، ويرعهم تصور انقضائها ، ولا يقيسون الأمور ويزينونها إلا بمقتضاها .

بينما ينظر هؤلاء الى الحياة والموت تلك النظرة القاصرة الحائرة التي تشد السى الذل ، وتحمل على المهانة ، وتتأى بصاحبها عن دروب الكرامة . تأتي نظرة الإسلام بما يتمشى في أعناق المؤمنين ، في ذلك التصور الأيماني الصحيح للحياة والموت ، وهو تصور يركز على تجاوز الأسباب الظاهرة ويرد الأمور كلها إلى قضاء الله وقدره ، فمسن كتب الله عليه أن يقتل فلن يؤجل موته شي ، ولم يمنعه حرص أو تدبير ، من أن يلاقى قدره المحتوم .

هذا هو التصور الحق الذي يستقر في يقين المؤمنين عن الحياة والموت ، وهو التصور الذي جاء به الله تبارك وتعالى ليغرسه في قلوب المؤمنين ويربيهم عليه ، لذلك فقد كان المؤمن عندما يبايع رسول الله صلى الله عليه وسلم على الموت ، فأنه كان يفعل ذلك من تصوره الاعتقادي للحياة والموت ، بأن الحياة والموت هما طاعة لله حيث يعيش المؤمن في هذه الدنيا لله ويموت من أجله ، وابتغاء مرضاته .

لذلك فقد كانت البهجة التي نادى بها رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحديبية
بهجة جهاد في سبيل الله ، بكل ما تحويه هذه الكلمة من معنى ، وعلى هذا الأساس
فقد لبى نداها جميع المؤمنين في الحديبية ، ما عدا رجلاً واحداً هو الجد بن قيس
الذى كان معروفاً بنفاقه . فقد ذكر ابن اسحاق قال : (فبايع رسول الله صلى الله
عليه وسلم الناس ، ولم يتخلف عنه أحد من المسلمين حضرها إلا الجد بن قيس أخو بني
سلمة . فكان جابر بن عبد الله يقول : والله لكأنى أنظر إليه لاصفاً بأبط ناقتة ، قد
ضبا إليها ، يستتر بها عن الناس .) (١)

ومعلوم أن القتال في الإسلام لا يأتي إلا عند ما لا يكون هناك بد يلا عنه فهو مركب
يعبر عليه المسلمون ليهلوا الى حقوقهم المشروعة . ولا خير عليهم في ذلك ، ومن أن
يحملوا السلاح لتحقيق هذه الغاية النبيلة ، وعلى هذا فإن الرسول صلى الله عليه
وسلم ، لم يشأ أن يستمر في قبول تحدى المشركين وطفانيهم وفطرتهم ، مما يحمل على
استعلاء الباطل وأهله . بل أراد عليه الصلاة والسلام نتيجة لما سمع عن مقتل عثمان
بن عفان ، أن يوقف هذا الطغيان ، وأن يضع حداً لهذا الصلف وتلك العنجهية
والمهاترات الفارغة ، وذلك بأن يرى أعداء الله من نفسه وأصحابه الكرام قوة الأيمان
الحقيقية وعزته ، فندب المؤمنين لهذه البهجة العظيمة والاستعداد للقاء عدوهم اللئيم ،
فاستجاب له المؤمنون ملهين النداء ، طائعين لله ولرسوله ، منيحين لله ، بائعين أنفسهم
في سبيله ، وابتغاء مرضاته . فكانت فرحة المؤمنين بهذه البهجة لا تعد لها فرحة ، لأن
المؤمن يعلم بأنه في طاعته لربه ولنبيه ، إنما يظفر بأحدى الحسنين . قال تعالى :
(قل هل تترصون بنا إلا لأحدى الحسنين ، ونحن نترص بكم أن يصيبكم الله بمعذاب
من عنده . وأبأيدنا فترصوا لنا معكم مترصون .)) (٢)

والجد يربالذكر أن الإسلام قد رسم للمسلمين الطريق الذى يسرون عليه أئمتنا

(١) سيرة ابن هشام ج ٣ ص ٣٦٤ . دار الفكر .

(٢) سورة التوبة : الآية (٥٣) .

تعرضهم للعدوان . وقد بين لهم كذلك موقفهم من قاتلهم في الشهر الحرام أو في المسجد الحرام ، فيما إذا كانوا يقاتلونه ويردون اعتداه ، أم يتركونه إحتراما للزمان والمكان ، فقال تعالى : ((ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلكم فيه ، فأن قاتلوكم فاقتلوهم ، كذلك جزاء الكافرين ، فأن إنتهوا فأن الله غفور رحيم .)) (١)

وقال جل شأنه مبينا حكم الله سبحانه في القتال عند المسجد الحرام ، دافعا عن النفس ودرأ للفتنة : ((يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه ، قل قتال فيه كبير ، وصدد عن سبيل الله وكفر به ، والمسجد الحرام ، وإخراج أهله منه أكبر عند الله ، والفتنة أكبر من القتل ، ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا . . . الآية)) (٢) وهذه الآيات الكريمة ، قد بين الله سبحانه وتعالى حكمه في الحالات التي يُسمح للمسلمين فيها بالقتال عند المسجد الحرام .

(١) سورة البقرة الآيات (١٩١ - ١٩٢) .

(٢) سورة البقرة الآية (٢١٧) .

الفصل الخامس

مبحث أول :

وفد الصلح القرشي برئاسة سهيل بن عمرو :

بعد أن تأكد لدى سادات مكة ، بالوجه القطعي ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قرر دخول مكة بالقوة العسكرية ، وأن هذه البهجة ، إنما تعني تصميم المسلمين ، واجتماعهم على دخول الحرب ضد قريش . فقد أصاب القرشيين الخوف والذعر ، وبدأوا جادين بالبحث عن مخرج من هذه الأزمة الخطيرة ، وذلك بعد أن ازدادت فرص الحرب ، واقترب الوضع من الانفجار .

لهذا فقد سارع زعماء قريش في طلب الصلح من المسلمين ، بناءً على تقرير إخباري تلقته قريش من بعض زعمائها الذين ذهبوا إلى المدينة لاستطلاع الموقف . وكان من بينهم سهيل بن عمرو ، وهو يصب بن عبد العزى ، حيث كانت قريش - أثناء وجود عثمان في مكة - قد أرسلت ببعض زعمائها من ذوي الرأي والمشورة ليجسوا نهض المسلمين ، ويستطلعوا رأيهم ، ثم يقدموا إلى قريش تقريراً إخبارياً شاملاً عن مهمتهم هذه ، وذلك بعد أن أصبح تطور الأحداث في المنطقة يهدد بانهاض زعامة قريش لها .

وقد صادف حضور هذا الوفد ، أثناء انتشار الأشاعة عن مقتل عثمان بمكة ، مما جعل هؤلاء الزعماء القرشيين يشاهدون المسلمين وهم يتسابقون في مبايعة نهمهم على الموت ، بحماس شديد يفوق الوصف .

فقد رأى سهيل بن عمرو وأصحابه مظهراً من أعظم مظاهر التفاني والتضحية والفداء في سبيل الله . فامتلأت قلوبهم رعباً وذهبت الغشاوة عن أعينهم ، واقتنعوا بما لا يدع مجالاً للشك ، بأن هؤلاء القوم لا يمكن أن يتحقق أي نصر عسكري عليهم . لذا فإنسه يجب على قريش أن تعيد النظر في موقفها وأن تغير جميع خططها العسكرية ، وإنهاء هذه الأزمة بشي . يحفظ لقريش بعضاً من ماء الوجه .

قال الواقدي : (ثم إن قريشاً بعثت بسهيل بن عمرو وهو يصب بن عبد العزى ومكسر

بن حفص الى الحديبية . فلما نظر هو لاء الزعماء ومن معهم من العميون الى سرعة الناس للبيعة وتشجيعهم للحرب ، اشتد رعبهم وخوفهم واسرعوا الى قريش فأخبروهم بما رأوا . فقال أهل الرأي منهم : ليس خيرا من أن نصلح محمدا على أن ينصرف عنا عامه هذا ويرجع قابل فيقيم ثلاثا وينحر هديه وينصرف . فاجمعوا على ذلك . ثم بعثوا سهيل بن عمرو ومعه حويطب بن عبد العزى ومكرز بن حفص ، وقالوا أئت محمدا فصالحه ، وليكن في صلحك ألا يدخلها في عامه هذا . فأتى سهيل الى النبي صلى الله عليه وسلم ، فلما رآه النبي صلى الله عليه وسلم طالع ، قال : أراد القوم الصلح حينما بعثوا هذا الرجل . (١)

كان وفد الصلح القرشي الذي قدم الى الحديبية ، كما ذكره الواقدي (يتألف من :

١- سهيل بن عمرو بن عامر - رئيسا .

٢- مكرز بن حفص - عضوا .

٣- حويطب بن عبد العزى (٢) - عضوا . (٢)

والجدير بالذكر ان سهيل بن عمرو ، هو أحد زعماء قريش البارزين الذين كانوا يعرفون بالحكمة السياسية والدهاء ، فهو خطيب ماهر ، ذو عقل راجح ، وورائىة وأصالة في الرأي .

فلما قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحديبية ، وجلس على مائدة التفاوض لآنها ، تلك الأزمة ، بدأ كلامه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قائلا : (من قاتلك لم يكن على رأى ذوى رأينا ولا من ذوى الأحلام منا ، بل كنا له كارهين ، ولم نعلم به ، وكان من سفهائنا ، فابعت لنا بأصهارنا الذين أسرتهم - وكان حراس المعسكر الأسلامي قد أسروا دفعة ثانية ممن حاولوا الأغارة على معسكر المسلمين - . فقال النبي صلى الله عليه وسلم : إني غير مرسلهم حتى ترسل أصحابي . قال سهيل : أنصفتنا ! ثم بعث الى قريش الشثيم بن عبد مناف التيمي ، طالبا منهم بإرسال أصحاب رسول الله

(١) مغازى الواقدي ج ٢ ص ٦٠٢ ، ٦٠٤ ، ٦٠٥ . نقلناها ببعض تصرف .

(٢) المرجع السابق ج ٢ ص ٦٠٥ . لقد جرى ترجمة سهيل بن عمرو في الباب الأول ومكرز بن حفص في الباب الثاني .

صلى الله عليه وسلم ، فبعثت قريش بمن كان عندها من المسلمين ، وكان عدد هم أحد عشر رجلا ، ثم أطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم ، سراح أصحابهم ، وكان من بينهم عمرو بن أبي سفيان بن حرب . (١)

مرحلة المفاوضات :

لقد بدأ الفريقان المتفاوضان في بحث بنود الصلح ، وذلك بعد رجوع عثمان بن عفان وأصحابه سالمين ، وقد استعرض الفريقان النقاط التي يجب أن تتضمنها معاهدة الصلح واستعرضا في مباحثاتهما مختلف القضايا التي كانت تشكل مثار الخلاف بينهما . هذا وقد اتفق الفريقان من حيث المبدأ على بعض النقاط ، واختلفا على البعض الآخر ، وقد طال البحث والجدل والأخذ والرد حول هذه البنود . وقد ذكر الواقدي عن أم عمارة من رواية الحارث بن عبد الله بن كعب أنها قالت : (انني لأنظر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم جالسا يومئذ متريعا ، وإن عباد بن بشر وسلمه بن أسلم بسن جريش مقنعا بالحد يد ، قائمان على رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وإن رفع سهيل بن عمرو صوته ، قالا : إخفض صوتك عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وسهيل يسارك على ركبتيه ، رافع صوته كاني أنظر الى علم (٢) في شفتيه ، وإلى أنيابه ، ولئن المسلمين لحول رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهم جلوس . (٣)

هذا وبعد هذه المراجعات وارتفاع الاصوات وانخفاضها ، تقاربت وجهات النظر بين الفريقين المتفاوضين ، ثم التأم الأمر ، وتم الاتفاق على النقاط الرئيسية لهذه المعاهدة . وتتضمن هذه النقاط : أن يرجع رسول الله صلى الله عليه وسلم بأصحابه عن مكة هذه السنة ، على أن يعود اليها في العام القادم .

== الذين أمرهم عمر بتجديد انصاب الحرم ، ومن دفن عثمان بن عفان رضي الله عنه ، قال والله لقد همت بالإسلام غير مرة ، وما كان يقبضي إلا أن يقال : تدع دين أبائك لدين محدث . شهد هذا الصحابي حنيننا والطائف ومات بالمدينة . (أسد الغابة ج ٢ ص ٦٧٠)

(١) مغازي الواقدي ج ٢ ص ٦٠٤ . (٢) علم : علامه .

(٣) مغازي الواقدي ج ٢ ص ٦٠٥ - ٦٠٦ .

وأن تضع الحرب أوزارها بين الفريقين لمدة عشر سنوات يأمن فيها كل طرف الطرف الآخر . والنقطة الثالثة هي : إنه من يأتي النبي صلى الله عليه وسلم مسلماً بدون علم أهله فإن عليه أن يردّه ، وأنه من يأتي قريشاً مرتداً عن الإسلام ، فإن ليس للمسلمين الحق بالمطالبة به أو رده المهم . ولم يبق إلا الكتاب .

لقد اعتبر المسلمون وعلى رأسهم عمر بن الخطاب ، أن في هذه الشروط ظلماً واجحافاً يحقهم ، واشتد الكرب على المسلمين الذين كانوا لا يشكون في دخول الحرم الشريف بمكة ، وأداء العمرة للروما التي رآها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو بالمدينة . ولم يكن عمر بن الخطاب غاضباً وحده لشروط القرشيين الجائرة في هذا الصلح ، بل كان أكثر الصحابة متألمين . ولقد ذكر أكثر من واحد من أصحاب السير (١) : (أنه بينما كانت الأجراس تتخذ لتسجيل هذه المعاهدة التي تم الاتفاق عليها ، وإذا بعمر بن الخطاب يأتي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، معلناً معارضته ، وهو في حالة من الكرب والأنفعال ، يشاركه في هذه المعارضة بعض المسلمين . فقد قال عمر بن الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم ، يا رسول الله ، أليس رسول الله ؟ قال : بلى ! قال : فعلام نعطي الدين في ديننا ؟ فرد النبي صلى الله عليه وسلم على استجابات عمر بن الخطاب الشديدة هذه قائلاً : - في غاية من اليقين والحكمة والحلم - أنا عهد الله ورسوله ، لن أخالف أمره ولن يضيعني .)

والجدير بالذكر هنا ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان في كل أموره العسكرية والسلمية ، يشار أصحابه ، إلا في هذه المعاهدة ، لأنه مأمور بها من عند ربه . وكان بداية هذا الأمر هو الإشارة الألهية التي تلقاها رسول الله صلى الله عليه وسلم في حادثة برك الناقة .

فعندما انتهى النبي صلى الله عليه وسلم ، ومندوب قريش سهيل بن عمرو ، من المفاوضات التي انتهت بالاتفاق على بنود الصلح ، ولم يبق سوى تسجيل الوثائق الخاصة بهذه البنود والمصادقة والتوقيع عليها ، وإذا بأحد الشباب المسلم من المضطهدين في

(١) مغازي الواقدي ج ٢ ص ٦٠٦ وابن هشام ج ٣ ص ٣٦٦ وتاريخ الطبري ج ٢ ص ٦٣٤ .

مكة ، يطلع على المسلمين ، وهو يرسف في قيود ، طالبا من المسلمين حمايته مسس
المشركين ، وقوله بالانضمام اليهم ، وقد فريد منه من التعذيب والاضطهاد الذى لحق
به على أيدي المشركين بمكة . وقد تمكن هذا الشاب المؤمن الصابر من الوصول الى
معسكر المسلمين ، والاحتما بهم ، حيث وصل الى حيث يجلس رسول الله صلى الله
عليه وسلم ، مع الوفد القرشي المفاوض .

وكان ما زاد الأمر تعقيدا ، وكاد يؤدى الى نفس اتفاقية الصلح ، والعودة بالأزمة
الخطيرة الى أشد ما كانت عليه ، قبل الاتفاق ، أن هذا الشاب المؤمن المكنسي
بأبي جندل كان إبن رئيس وفد قريش المفاوض ، سهيل بن عمرو ، الذى لم يك
ابنه المسلم - أبا جندل - حتى استشاط غضبا ، ونهض من مجلس النبي صلى الله عليه
وسلم . ثم لطمه على وجهه ، وأخذ يجره بتلابيبه ، ويدفع به أمامه ليعيده الى معسكر
المشركين تمهيدا لأعادته الى سجنه بمكة ، ثم قال للنبي صلى الله عليه وسلم : يا محمد
قد لجت ^(١) القضية بيني وبينك ، قبل أن يأتيك هذا ، قال له رسول الله صلى الله عليه
وسلم ، صدقت ، وأخذ يشد بأبنيه بقوة ليرده الى قريش ، وأخذ أبو جندل يصرخ بأعلى
صوته : يا معشر المسلمين أردد الى المشركين يفتنونني في ديني ؟!! فزاد ذلك
الناس الى ما بهم ، من غم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (يا أبا جندل اصبر
واحتمس ، فإن الله جاعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجا ومخرجا . إنا قد
عقدنا بيننا وبين القوم صلحا ، وأعطيناهم على ذلك وأعطينا عهد الله وأنانا نغدر بهم) ^(٢)

وقد اقتنع المسلم الصابر " أبو جندل " كل الاقتناع بما قاله له النبي صلى الله عليه
وسلم ، فأطاع أمر رسوله الكريم واستسلم لأبيه ، وكله ثقة واطمئنان بأن الله سيجعل له
ولأخوانه المستضعفين من المسلمين في مكة مخرجا . وعاد الشاب المؤمن الصابر الى
سجنه الرهيب بمكة ، وهو قهر العين بالهشوى التي بشره بها نبيه ، بأن الله سبحانه
وتعالى سيجعل له ، ولمن معه من المستضعفين فرجا ومخرجا ، وفعل لم تضي سنة

(١) لجت القضية : انعقدت وانتهى أمرها وتمت .

(٢) سيرة إبن هشام ج ٣ ص ٣٦٧ والسيرة الحلبية ج ٢ ص ١٤٦ . ومغازى الواقدي

على مأساة أبي جندل المؤلمة في الحديبية حتى كتب الله له الخلاص ، ولسبعين من اخوانه المستضعفين في مكة ، إن تمكنوا جميعا من الهرب من سجون الشرك ، وكونوا لهم تجمعا وأنشأوا لهم مقرا ومركزا ، تجمعوا فيه في منطقة تسمى - العيص - على الساحل وعلى طريق قوافل المشركين ، بين مكة والشام ، يوعدون قريش في تجارتها ويأخذون منها ما يشاؤون دون أن يرتبطوا بشيء من بنود معاهدة الحديبية ، مما سيأتي ذكره في الفصول القادمة إن شاء الله .

الخلاف حول صيغة المعاهدة :

عاد الوفدان الإسلامي برئاسة الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم ، والقرشي برئاسة سهيل بن عمرو الى الاجتماع من جديد - بعد الأزمة التي رافقت حضور أبي جندل والتي كانت ستؤدي الى مأزق خطير يهدد الطريق أمام كتابة معاهدة الصلح ، لولا حكمة النبي صلى الله عليه وسلم ، وقد عاد الوفدان من جديد لوضع الصيغة النهائية المفصلة للصلح الذي اتفق الوفدان ، من حيث المبدأ على وضع خطوطه العريضة ، وقواعده الرئيسية لكتابته والتصديق عليه ووضعه موضع التنفيذ .

ولدى الشروع في وضع الصيغة النهائية للمعاهدة وكتابتها لتكون نافذة المفعول رسميا ، حدث خلاف بين الوفدين على بعض النقاط ، كاد ان يعثر سير هذه الأتفاقة ، فعندما شرع النبي صلى الله عليه وسلم في إملاء صيغة المعاهدة المتفق عليها ، أمر الكاتب ، وهو الأمام على بن أبي طالب ، بأن يبدأ المعاهدة بكلمة " بسم الله الرحمن الرحيم " ، وهنا اعترض رئيس الوفد القرشي سهيل بن عمرو قائلا : لا أعرف الرحمن ، اكتب " باسمك اللهم " ، فضج الصحابة على هذا الاعتراض ، قائلين : هو الرحمن ، ولا نكتب إلا الرحمن . ولكن النبي صلى الله عليه وسلم تشبها مع سياسة الحكمة والعرونة والحلم ، قال للكاتب : اكتب " باسمك اللهم " (١) ، واستمر في إملاء صيغة المعاهدة

(١) انظر سيرة ابن هشام ج ٣ ص ٣٦٦ ومغازي الواقدي ج ٢ ص ٦١٠ وتاريخ الطبري ج ٢ ص ٦٣٤ والسيرة الحلبية ج ٢ ص ١٤٣ .

هذه ، فأمر الكاتب أن يكتب (هذا ما اصطلح عليه رسول الله) ، وقيل أن يكمل الجملة اعترض رئيس الوفد القرشي على كلمة رسول الله قائلا : لو أعلم أنك رسول الله ما خالفتك ، واتبعتك ، أفترغب عن اسمك واسم أبيك محمد بن عبد الله ؟ فقد ظلمناك إن كتبت رسول ، وما منعناك أن تطوف ببهت الله ، ولو شهدت أنك رسول لم أقاتلك ، ولكن أكتب اسمك واسم أبيك . (١) وعند ها هاج المسلمون هياجا شديدا ، وارتفعت أصواتهم بالاحتجاج الشديد ، وأصروا على إبقاء كلمة رسول الله في نص وثيقة المعاهدة ، ولكن الرسول الأعظم بحكمته وتسامحه وعد نظره ، حسم الخلاف وأمر الكاتب بأن يشطب كلمة رسول الله من الوثيقة ، فالتزم الصحابة الصمت والهدوء . وهذا فقد انتهت آخر مرحلة من مراحل هذا النزاع الخطير وكتبت المعاهدة من نسختين ، وتم التوقيع والأشهاد عليها من الجانبين .

(١) جوامع السير : ص ٢٠٩ . وابن هشام السيرة النبوية ج ٣ ص ٣٦٦ . والواقدي ج ٢ ص ١٦١٠ .

مبحث ثان :

كتاب الصلح :

تعريف الصلح (١) : السلم تصالح القوم بينهم ، وأصلح الشيء بعد فساد .
والصلح شرعا : هو عقد ينهي الخصومة بين المتخاصمين .

النص الكامل لكتاب الصلح ، حسبما جاء في رواية بن هشام والواقدي :

(باسمك اللهم ، هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله سهيل بن عمرو ، اصطلحا على وضع الحرب عن الناس عشر سنين ، يأمن فيهم الناس ، ويكف بعضهم عن بعض ، على أنه من أتى محمدا من قريش بغير إذن وليه رده عليهم ، ومن جاء قريشا ممن مع محمد لم يردوه عليه ، وإن بيننا عيبه مكفونه (٢) ، وإنه لا لسلال ولا لإغلال (٣) ، وإنه من أحب أن يدخل في عقد محمد وعهده دخل فيه ، ومن أحب أن يدخل في عقد قريش وعهدهم دخل فيه . فتواثب خزاعة فقالوا : نحن في عقد محمد وعهده وتواثب بنو بكر فقالوا : نحن في عقد قريش وعهدهم ، وإنك ترجع عنا ، عامك هذا فلا تدخل علينا مكة ، وإنه إذا كان عام قابل خرجنا عنك فدخلتها بأصحابك ، فأقمت بها ثلاثا ، معك سلاح الرابك ، السيف في القرب ، لا تدخلها بغيرها .) (٤)
هذا وبعد الانتهاء من كتابة وثيقة الصلح التاريخية هذه ، تم توقيعها من قبل النبي صلى الله عليه وسلم ، وسهيل بن عمرو ، وبهذا تكون قد اكتسبت الصفة الرسمية وتحت المصادقة النهائية عليها بذلك .

وقد ذكر الواقدي أن عددا من الشهود ، شهدوا على هذا الكتاب فقال :

-
- (١) لسان العرب - ج ٢ ص ٥١٧ . دار صادر بيروت .
(٢) إن بيننا عيبه مكفونه : المراد إن تكف عنا ونكف عنك في المدالة لمد كورقي صيغة المعاهدة
(٣) الأسلال : السرقة الخفية . والأغلال : الخيانة .
(٤) ابن هشام : السيرة النبوية . ج ٣ ص ٣٦٦ - ٣٦٧ . والواقدي : المغازي ص ٦١١ - ٦١٢ .

(استدعى تسعة من الشهود ليشهدوا على هذا الكتاب . وكان سبعة من هؤلاء الشهود من المسلمين ، واثنان من المشركين :
أ - شهود المسلمين ، وهم على التوالي كما ذكرهم الواقدي :

١- أبو بكر الصديق بن أبي قحافة .

٢- عمر بن الخطاب .

٣- عثمان بن عفان .

٤- عبد الرحمن بن عوف .

٥- سعد بن أبي وقاص .

٦- أبو عبيدة بن الجراح .

٧- محمد بن مسلمة .

ب - أما شهود المشركين فهم :

١- حويطب بن عبد العزى .

٢- مكرز بن حفص الأخيف . (١)

وبالتوقيع على معاهدة الحديبية هذه ، فقد تقشعت غيوم الحرب ، وبدأ عهدا جديدا من الهدنة الموقته بين الفريقين .

خزاعة في عهد المسلمين ؛ ونوبكر في عهد قريش :

ومن الجدير بالذكر أن نتائج هذا الصلح لم تنحصر على المسلمين ، وقريش فقط ، بل إنها انعكست نتائجه أيضا على قبيلتين من أعظم القبائل العربية المجاورة للحرم ، وهما (خزاعة ونوبكر) ، فقد أنهى هذا الصلح حالة الحرب القائمة بين هاتين القبيلتين لمدة عشر سنوات ، وذلك بالتزامهما بمقررات هذا الصلح ، بعد أن رضي كل

(١) الواقدي : المغازي ج ٢ ص ٦١٢ وابن سعد ج ٢ ص ١٠١ والمسيرة الحلبيّة

منها الدخول في أحد المعسكرين . . . وذلك نتيجة للتخيير الذى تضمنته بنود المعاهدة .

فقد دخلت قبيلة خزاعة في عهد المسلمين ، ودخلت قبيلة بنو بكر في عهد المشركين القرشيين .

وقد غضبت قريش على خزاعة ، وأضمرت لها الشر لدخولها في عهد المسلمين الذين يفصلهم عن منازلها عدة مئات من الأميال ، بينما تختلط منازل قريش بمنازل خزاعة لقرب تجاورهما معا .

وهذا فكان أول شار هذا الصلح ، أن ربح المسلمون حليفا قويا له أهمية خاصة لقرب دياره من قريش .

ولقد كانت خزاعة تميل قلبها مع المسلمين قبل هذا الصلح ، وكان الأسلام قد انتشر بين أفرادها ، ولكنها لم تستطع ان تحالف المسلمين قبل هذه الهدنة ، لأن ذلك يهدد مصالحها الدينية لوجود البيت الحرام بمكة التي تسيطر عليها قريش ، بالإضافة الى تهديد مصالحها الأخرى .

النبي صلى الله عليه وسلم يتحلل من إحرامه ويأمر المسلمين بالتحلل :

قال الواقدي : (فلما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من الكتاب ، وانطلق سهيل بن عمرو وأصحابه ، قام الى هديه فنحره ، ثم جلس فحلق . فلما رأى أصحابه رضوان الله عليهم ، ما فعل نبيهم صوات الله وسلامه عليه ، تواشوا ينحرون ويحلقون ، وكان صلى الله عليه وسلم مضطربا ^(١) في الحل ، وكان يصلى في الحرم ، وحلق يوشد أناس ، وقصر آخرون ، فدعى رسول الله صلى الله عليه وسلم للمحلقين ثلاثا ، بقولسه : يرحم الله المحلقين ، وللمقصرين واحدة ، ثم عاد رسول الله صلى الله عليه وسلم بأصحابه الى المدينة المنورة حتى إذا كان بين مكة والمدينة نزلت عليه سورة الفتح .) (٢)

(١) مضطربا : أى كانت أبنيته مضروبة في الحل وكان عليه الصلاة والسلام يصلى في الحرم .

(٢) مغازى الواقدي ج ٢ ص ٦١٤ .

بحث ثالث :

سورة الفتح تدبىح الحقيقة في وقتها

فتح إعلامي (١)

لقد كانت نفوس المؤمنين مهيأة ، وكان الظرف الزمني مناسب ، والمكان ملائم لنجاح إعلامي ، تتضح فيه حقائق الأمور ، وتتكشف عنه الملابس الغامضة ، بخصوص ما جرى من أمر هذه الرؤيا التي رآها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو في المدينة المنورة قبل قدومه بأصحابه الى مكة المكرمة لأداء العمرة ، وما رافق ذلك من أحداث وتطورات هامة وما انتهى اليه الأمر بتوقيع معاهدة الصلح مع قريش ، وعودة الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه دون أن يتحقق لهم شيئا مما أرادوا . وبينما كان المسلمون عائدین في طريقهم الى المدينة المنورة ، نزل وحي الله تبارك وتعالى حاملا معه سورة الفتح الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لتدبىح الحقيقة في إبانها ، ولتعلن أن ما تم من أمر هذا الحدث العظيم من تاريخ الدعوة الإسلامية إنما هو فتح عظيم ورضى من الله سبحانه وتعالى على المؤمنين الذين بايعوا نبيه الكريم تحت الشجرة .

لقد كان مطلع هذه السورة العظيمة بهذه الآيات الكريمة من قول الله عز وجل

((إنا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ويتم نعمته

عليك ويهديك صراطا مستقيما ، وينصرك الله نصرا عزيزا .)) (٢)

- (١) ذكر ابن جرير الطبري من رواية مجمع بين جارية الأنصاري قال : شهدنا الحدبية مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما انصرفنا عنها ، [ذا الناس يهزون الأباصر ، فقال بعض الناس لبعض ما للناس ؟ قالوا أوحى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنا فتحنا لك فتحا مبينا . . . فقال رجل ، أوفتح هو يا رسول الله ؟ قال : نعم والذي نفسي بيده إنه لفتح . ج ٩ ص ٤٤٤ - ٤٤٥ . دار الفكر بيروت . وجاء في كتاب تفسير " كلام الثمان " ج ٧ ص ٩١ قوله إن هذا الفتح المذكور ، هو صلح الحدبية وكذا في تفسير الرازي (المجلد ١٤ ص ٧٧) قوله المراد بالفتح : صلح الحدبية في أحد وجوه تفسير الآية . وقال الزمخشري في الكشاف ج ٣ ص ٥٤٠ . دار المعرفة نزلت السورة هذه حين رجوع الرسول صلى الله عليه وسلم من الحدبية . وجاء كذا في تفسير ابن كثير للصابوني (المختصر) ج ٣ ص ٣٤٠ . وقد ذكر الشهيد سيد قطب في ظلال القرآن ج ٦ ص ٣٣١٢ ط . دار الشروق قريبا من كلام الطبري أعلاه .
- (٢) سورة الفتح الآيات : (١ - ٣) .

بهذه الآيات الكريمة وهذا التأيد العظيم ، وبهذه البشرى الرائعة بنصر الله العزيز جاء مطلع هذه السورة الكريمة ، ليعلمن تسمية الله سبحانه لهذا الحشد العظيم بالفتح المبين .

قال ابن اسحاق من رواية الزهري : (فما فتح في الأسلام فتح قبله كان أعظم منه .) (١)

وروى الإمام البخاري في صحيحه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (لقد أنزلت علي الليلة سورة لهي أحب الي مما طلعت عليه الشمس ، ثم قرأ) وإنا فتحنا لك فتحا مبينا .)) (٢)

والقرآن الكريم نزل منجما على الأحداث كما هو معروف لدى المسلمين جميعا . يقول الشيخ الركابي : (ومن علوم القرآن الكريم ، ما يعرف بأسباب النزول . وإناعة الحقيقة في إبانها في الأعلام الإسلامي ، تستمد من أسباب النزول معناها وعقبا . ففي الوقت المناسب كان القرآن يتنزل ، فيتصل الآن بالحادث التي تشكل اللحظة الراهنة وعاءه الزمني ، فيقرر الحقائق ، ويعالج المشكلات ويجيب على الأسئلة .) (٣)

وقد أثنى الله سبحانه وتعالى في هذه السورة المباركة ، على أصحاب الشجرة الذين بايعوا النبي على الموت ، وأعلن رضاه عنهم قال تعالى : ((لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما في قلوبهم ، فأنزل السكينة عليهم وأثابهم فتحا قريبا)) (٤)

ثم أشاد سبحانه وتعالى في هذه السورة الكريمة بعظمة عمل هؤلاء المؤمنين المبايعين لرسوله تحت الشجرة معتبرا مبايعتهم لرسوله صلى الله عليه وسلم بمثابة المبايعه لله تعالى ، وهذا يعتبر بالحقيقة أعلى مراتب التكريم قال تعالى : ((وإن

(١) سيرة ابن هشام ج ٣ ص ٣٧٢ .

(٢) صحيح الإمام البخاري ج ٥ ص ٦٧ . كتاب المغازي . دار الفكر .

(٣) الشيخ زين العابدين الركابي : المرجع السابق ص ٣٢٣ .

(٤) سورة الفتح الآية ٨٠ .

الذين يبايعونك إنما يبايعون الله . يدُ الله فوق أيديهم ، فمن نكث ، فأنما ينكث على نفسه ، ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه أجرا عظيما .)) (١)

ثم ذكر جل وعلا في هذه السورة ، أن من تخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من الأعراب الذين كانوا يظنون بأن الرسول وأصحابه سوف لن يعودوا من هذه الرحلة سالمين وقد تعذروا عن مرافقته بانشغالهم بأموالهم وأهليهم ، فقد فضح الله نواياهم وكشفها لرسوله ، فقال تعالى : ((سيقول لك المخلفون من الأعراب شغلنا أموالنا وأهلونا فاستغفر لنا ، يقولون بالسنتهم ما ليس في قلوبهم ، قل فمن يملك لكم من الله شيئا إن أراد بكم ضرا ، أو أراد بكم نفعا ، بل كان الله بما تعملون خبيرا ، بل ظننتم أن لن ينقلب الرسول والمؤمنون إلى أهليهم أبدا وزين ذلك في قلوبكم ، وظننتم ظننا السوء وكتمت قوما بورا)) (٢)

ثم أشار الله سبحانه وتعالى في هذه السورة إلى الحكمة الخفية التي غابت عن الكثيرين ممن كانوا معارضين لهذا الصلح ، وهي أن هناك مسلمين من المستضعفين الذين كانوا يخفون إسلامهم عن المشركين في مكة ، وإنه لو سلك النبي صلى الله عليه وسلم طريق الحرب والتحم الجيشان لكان قد أُبِيدَ الكثيرين من هؤلاء المسلمين المستضعفين على أيدي الجيش النبوي دونما علم منهم . قال تعالى : (هم الذين يسكنوا مكة وحدهم عن المسجد الحرام والهدى معكوف أن يبلغ محله ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات لم تعلموهم أن تطأوهم فتصيكم منهم معرفة بغير علم ، ليدخل الله في رحمته من يشاء ، لو تزيلوا لعذبنا الذين كفروا منهم عذابا أليما .)) (٣)

كما أن الله سبحانه وتعالى قد أكد في هذه السورة للمسلمين بأنهم لو قاتلوا المشركين من أهل مكة ، لهزموهم ولتغلبوا عليهم ، ولكن حكمة الله سبحانه وتعالى كانت تقتضي بأن لا يكون قتال ، وقد بانته هذه الحكمة للمسلمين فيما بعد . فقال

(١) سورة الفتح الآية (١٠) .

(٢) سورة الفتح الآية : (١١) .

(٣) سورة الفتح الآية (٢٥) .

تعالى : ((ولو قاتلكم الذين كفروا لولوا الأديار ، ثم لا يجدون وليا ولا نصيرا ، سنة الله التي قد خلت من قبل ، ولن تجد لسنة الله تبديلا .)) (١)

كما ندد القرآن في هذه السورة الكريمة بتعننت قريش وتصلف مندوبيها في المفاوضة بروح جاهلية ، عندما رفض كتابة اسم " الرحمن الرحيم " في افتتاحية وثيقة الصلح ، وفي رفضه كتابة " رسول الله " ، بعد اسم النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم أشاد القرآن في الوقت نفسه بحكمة النبي صلى الله عليه وسلم ، وصبره . وأثنى على المسلمين ، لكبتهم لعواطفهم ولطاعتهم نبيهم الكريم ، رغم كرههم لهذا الصلح ، فقال تعالى : ((إن جعل الذين كفروا في قلوبهم الحمية ، حمية الجاهلية ، فأنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين والزهم كلمة التقوى ، وكانوا أحق بها وأهلها ، وكان الله بكل شيء عليما)) (٢) وكلمة التقوى : أى التوحيد هي شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله . (٣)

ثم تأتي الإشارة إلى الرويما التي رآها رسول الله صلى الله عليه وسلم في المدينة المنورة والتي جاء هو وأصحابه الكرام على أثرها من المدينة محرمين لا يشكون في دخول مكة . لتصد يقهم لنبيهم الكريم في هذه الرويما المباركة ، ولكنهم بعد توقيع الصلح وتحللهم من الأحرام وعودتهم إلى المدينة دون تحقيق ما جاءوا من أجله ، فقد سألوا النبي صلى الله عليه وسلم ، عما أخبرهم به من أمر هذه الرويما ، وكيف أنهم عبادا دون تحقيقها بدخول مكة والطواف بالحرم ، والتعريف ، كما أخبرهم عليه الصلاة والسلام قبل مجيئهم من المدينة ، قال تعالى : ((لقد صدق الله رسوله الرويما بالحق لقد دخلن المسجد الحرام إنا شاء الله آمنين محلقين رؤوسكم ومقصرين ، لا تخافون ، فعلم ما لم تعلموا ، فجعل من دون ذلك فتحا قريبا .)) (٤) وهذه البشارة العظيمة فقد تأكد للمسلمين بأن ما تم عقده من أمر هذا الصلح إنما هو فتح قد فتحه الله سبحانه على رسوله الكريم وعلى الدعوة الإسلامية بالخير والفلاح .

(١) سورة الفتح الآيات : (٢٢ - ٢٣) .

(٢) سورة الفتح الآية : (٢٦) .

(٣) سيرة ابن هشام ج ٣ ص ٣٧١ .

(٤) سورة الفتح الآية (٣٧) .

بسم الله الرحمن الرحيم

الباب الثالث

النتائج والآثار الإعلامية لصلح الحديبية

ويشتمل على ثلاثة فصول :

الفصل الأول : وجاء تحت عنوان :

الأعلام الشفهي

الفصل الثاني : وجاء تحت عنوان :

الأعلام التحريري

الفصل الثالث : وجاء تحت عنوان :

الأثر الإعلامي للغزوات والسرايا الحربية

الفصل الأول

الأعلام الشفهي

الاتصال الشفهي :

عاد المسلمون الى المدينة المنورة ، بعد توقيع صلح الحديبية مع قريش ليستأنفوسوا مرحلة من أعظم مراحل نشاطهم الإعلامي منذ عهد الرسالة ، مستفيدين بذلك من فترة الاستقرار التي آتاحتها لهم هدنة الحديبية ، حيث انتشر أفراد المجتمع المسلم يجهون البلاد طولا وعرضا ، وهم يحملون أمانة البلاغ البين ، مبتغيين بذلك رضا ربهم ومولاهم ، وفي إيصال دعوة الحق والنور الى الناس جميعا ، ما أمكنهم ذلك بأسلوب الحكمة والموعظة الحسنة . فازداد بذلك النشاط الإعلامي الإسلامي ، وتعددت مجالات الدعوة الإسلامية ، واتسعت أفاقها ، حيث أخذت هذه الدعوة النيرة تشق طريقها الى الناس في البوادي والحضر ، في المدن والقرى البعيدة والقرية من مركز الدعوة الإسلامية في المدينة المنورة ، وفي كل بقعة من الأرض وطئتها أقدامهم ، حتى أصبحت هذه الدعوة الإسلامية حديث الناس جميعا ، في كل مكان من أنحاء الجزيرة العربية حتى انهم يمكنهم القول بأن الفترة التي أعقبت صلح الحديبية تعتبر من أعظم الفترات التي حققت فيها الدعوة الإسلامية أضخم منجزاتها الإعلامية في مدة قصيرة من عمر هذه الدعوة في العهد النبوي الكريم .

فكان من نتيجة ذلك النشاط الإعلامي الواسع ، أن تضاعف عدد المسلمين أضعافا مضاعفة ، الأمر الذي سهل لهم فتح مكة فيما بعد .

وسا يذكر أن عدد المسلمين الذين خرجوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الحديبية كان ألف وأربعمائة رجل ، في حين كان عدد المسلمين الذين رافقوا رسول الله صلى الله عليه وسلم لفتح مكة المكرمة عام الفتح - بعد ما يقرب من سنتين من توقيع صلح الحديبية - يقدر بعشرة آلاف رجل .

ولا شك أن هذا الفرق الكبير في زيادة عدد المسلمين قد جاء نتيجة للنشاط الإعلامي الواسع ، الذي شمل كافة مجالات الحياة في تلك الفترة . ولعل هذه المكاسب الإعلامية الضخمة التي حققتها الدعوة الإسلامية من هذه الهدنة ، قد جاءت من إتاحة الفرصة للمسلمين والمشاركين في أن يتصلوا ببعضهم البعض ، وأن يتحدثوا ويتناقشوا دون خوف ولا وجل ، فكان من نتيجة هذا الاختلاط والاتصال ، أن تمكن المسلمون من عرض تعاليم

د ينهم على الناس وإفهامهم مبادئ الدين الإسلامي الحنيف بصورة واضحة وجلية .
ولنستمع إلى ما يقوله ابن هشام حول هذا الموضوع : يقول ابن هشام من روايته
الزهرى : (فما فتح في الإسلام فتح قبله - يعني صلح الحديبية - كان أعظم منه ،
إنما كان القتال حيث التقى الناس ، فلما كانت الهدنة ووضعت الحرب أوزارها ، وأمن
الناس بعضهم بعضاً ، والتقوا فتفاوضوا في الحديث والمنازعة ، ولم يُكَمَّ أحد فسي
الإسلام بمقل شيئاً إلاّ دخل فيه ، ولقد دخل في تينك السنتين مثل من كان فسي
الإسلام قبل ذلك وأكثر . وأضاف ابن هشام قائلاً : والدليل على قول الزهرى أن
رسول الله صلى الله عليه وسلم ، خرج إلى الحديبية في ألف وأربعمائة ، في قول جابر
بن عبد الله ، ثم خرج ، بعد ذلك بسنتين في عشرة آلاف . (١)

والحقيقة ، إنه لم يكن ابن هشام وحده هو الذى تحدث عن هذه الإنجازات الإعلانية
الضخمة التى حققها الدعوة الإسلامية في تلك المرحلة ، ولكن هناك الكثير من المؤرخين
وكتاب السير الذين تحدثوا عن هذا الموضوع ، ولنستمع على سبيل المثال إلى ما يقوله
بن القيم الجوزية في هذا المجال ، يقول بن القيم : (إن هذه الهدنة كانت بمن
يدى الفتح الأعظم ، الذى أعز الله به رسوله وجنده ، ودخل الناس في دين الله أفواجا
فكانت هذه الهدنة باباً له ، ومفتاحاً وموئناً بين يديه ، وهذه هي سنة الله في الأمور
العظام التى يقضيها قدرًا وشرعاً ، بأن يوطي لها بين يديها مقدمات وتوطئات تؤمن
بها وتدل عليها ، ومنها أن هذه الهدنة كانت من أعظم الفتوح ، فإن الناس آمن بعضهم
بعضاً ، واختلط المسلمون بالكفار ، وبادهم الدعوة وأسمعهم القرآن وناظرهم على
الأسلام جبهة آتئين ، وظهر من كان متخفياً بالأسلام ، ودخل في مدة الهدنة من شاء
الله أن يدخل ، لهذا أسماه الله فتحاً مبيناً ، قال ابن قتيبة : قضينا قضا عظيماً .
وقال مجاهد هو ما قضى الله له بالحديبية . (٢)

(١) ابن هشام السيرة النبوية ص ٣٧٢ .

(٢) ابن القيم الجوزية : زاد المعاد ج ٢ ص ١٣٠ توزيع رئاسة إدارات البحوث العلمية
والأفتاء والدعوة والأرشاد .

ثم تكلم ابن القيم عن حقيقة هذا الفتح المبين من الناحية اللغوية قال : (حقيقة هذا الأمر : أن الفتح في اللغة : هو فتح المفلق ، والصلح الذي حصل —————
المشركين بالحديبية كان بابيه مسدوداً مغلقة ، حتى فتحه الله .

وكان من أسباب فتحه ، صد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه عن الهبت ، وكان في الصورة الظاهرة ضيماً للمسلمين وفي الباطن عزاً ونصراً وفتحاً ، إذ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كان ينظر إلى ما وراء ذلك من الفتح العظيم . . . (١)
ومن خلال هاتين الروايتين ، نستطيع أن نستنتج أن من أبرز الطرق التي سلكها رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون لنشر دعوتهم في تلك الفترة ، هي طريقة الاتصال بكافة صوره وخاصة الاتصال الشفهي .

ونظراً للمكانة الهامة التي يتبوأها موضوع الاتصال في علم الأعلام ، فأنني سأستعرض بالبحث والتحليل أهم المواضيع والأسماء التي تعارف عليها رجال الأعلام لموضوع الاتصال وللعمليات الاتصالية المتنوعة أبين من خلالها جميع النشاطات والعمليات الإعلامية التي مارسها رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون في تلك الفترة التي تندرج في تصنيفها الاعلامي تحت مفهوم الاتصال الشفهي ، وهذا وما أن موضوع هذا الفصل هو الاتصال الشفهي فأنني لا أرى مانعاً من أن أبدأ دراستي هذه على ضوء النتائج التي توصل اليها رجال الأعلام ، من خلال دراساتهم الميدانية وغير الميدانية لهذا الفن فسي معظم فروع وجزيئاته ، وذلك لما لهذه الدراسات من علاقة مباشرة ، أو غير مباشرة فسي موضوع دراستنا هذه ، حيث استطاع علماء الأعلام بإيجاد المقاميس الدقيقة التي تتحدد وظيفة كل جزء من أجزاء هذا الفن مع إبراز الخصائص الوظيفية لهذه الأجزاء كل على حده .

وفيما يلي بعض المصطلحات التي تعارف عليها الأعلاميون لموضوع الاتصال :
عملية الاتصال ، أساليب الاتصال ، مكونات عملية الاتصال ، الاتصال الذاتي ، الاتصال الشخصي ، الاتصال الجمعي ، الاتصال المواجهي ، الاتصال السياسي . . . إلى غير ذلك من الأسماء المتعددة التي تندرج تحت نظام الاتصال بشكل عام .

تعريف الاتصال :

١- المعنى اللغوي للاتصال : (الاتصال مشتقة من " وصل " : وصل يصل وصلا ، أى وصل الشيء بالشيء وصلا وصله . ويقال وصل فلانا وصلا ، وصله : ضد هجرة . بمعنى ضمه به ، وأنهاء إليه ، وأبلغه إياه . وفي التنزيل العزيز ((إلاّ الذي يصلون الى قوم بينكم وبينهم ميثاق .)) (١) (٢) .

وفي قاموس محيط المحيط : (إتصل به إتصالا : أي التأم ولم ينقطع ، واتصل إليه : بلغ منتهاه .) (٣)

٢- المعنى الاصطلاحي للاتصال : بالنظر لما للمعنى الاصطلاحي من تعاريف متعددة عند الأعلاميين ، فأنا نورد أشهر هذه التعاريف على سبيل البحث والفائدة بصورة مختصرة ما أمكن .

تعرف الدكتور جيهان رشتي الاتصال فتقول : (إن كلمة الاتصال في أقدم معانيها تعنى نقل الأفكار والمعلومات والاتجاهات من فرد لآخر ، ولكن بعد ذلك أصبحت كلمة إتصال تعنى أيضا خطوط المواصلات أو قنوات تقوم بربط مكان بآخر .) (٤)

وفي تعريف آخر للدكتور رشتي تتحدث فيه عن المعنى المشترك للاتصال في نقل المعلومات وتبادل الآراء بين الأفراد ، فتقول : (إن الاتصال هو العملية التي يتفاعل بمقتضاها متلقي الرسالة " كائنات حية ، أو بشر ، أو آلات " ، وفي مضامين إحتتماعية معينة وفي هذا التفاعل يتم نقل الأفكار والمعلومات " منبهات " بين الأفراد عن قضية معينة أو معنى مجرد ، أو واقع معين . فنحن حينما نتصل نحاول أن نشرك الآخرين ونشارك معهم في المعلومات والأفكار . فالإتصال إذن يقوم على مشاركة المعلومات والمصوّر الذهنية والآراء .) (٥)

هذا ويتحدث الدكتور أحمد بدر ، في تعريفه للاتصال من حيث المعنى الاصطلاحي

(١) سورة النساء : الآية ٩٠ . (٢) المعجم الوسيط ج ٢ ص ١٠٤٦ وما بعدها .

(٣) محيط المحيط ج ٢ ص ٩٧٢ طبعة مكتبة لبنان بيروت . بطرس البستاني .

فهو يرى ، من وجهة نظره ، أن الاتصال يكون مشتركاً بين المرسل والمستقبل وهذا فإنه يتفق مع الدكتور رشدي في هذا المفهوم ، فيقول : (إن كلمة إتصال معناها مشترك ، فعندما نقوم بعملية إتصال ، نحن نحاول أن نقيم رسالة مشتركة مع شخص أو جماعة أخرى . . . أى إننا نحاول أن نشترك سوياً في معلومات وأفكار ، أو مواقف واحدة . وفي هذه اللحظة ، أنا أحاول أن أنقل اليك فكرة معينة معناها أن الاتصال هو أن تجعل كلا من المستقبل والمرسل يشتركان معا في رسالة واحدة .) (١)

أما الدكتور إبراهيم إمام ، فإنه يختلف مع الدكتور رشدي والدكتور أحمد بدر في تعريفه للمعنى الاصطلاحي للاتصال ، فهو يرى أن الاتصال يكون من جانب واحد ، ولنستمع اليه وهو يتحدث عن ذلك بقوله : (إن الاتصال بالجمهير يمكن تعريفه بأنه بث رسائل واقعية أو خيالية موحدة على أعداد كبيرة من الناس يختلفون فيما بينهم من النواحي الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والسياسية وينتشرون في مناطق متنوعة ويقصد بالرسائل الواقعية بأنها مجموعة الأخبار والمعلومات والتعليمات التي تدور حول الأحداث ، أما الرسائل الخيالية فهي القصص والتشيليات والروايات وغيرها .) (٢)

ومن خلال تعريف الدكتور إمام هذا ، للاتصال ، نجد أنه يختلف مع الدكتور رشدي ، والدكتور بدر اللذين يذهبان الى أن الاتصال هو الاشتراك والتفاعل بين المرسل والمستقبل في عملية واحدة مشتركة بينهما ، أما الدكتور إمام فإنه كما رأينا من كلامه ، يرى أن الاتصال يكون من جانب واحد ، وفي بث رسائل على الناس ، وهذا فإن الدكتور إمام يكون قد حصر مفهوم الاتصال في معنى ضيق . فالإتصال حقيقة يشتمل على جميع العمليات التي يتم بمقتضاها نقل الأفكار وتبادل الآراء بين الأفراد فيما بينهم في عمليات إتصالية مشتركة ، وكذلك عن طريق الوسائل الإعلامية الأخرى ، كالصحف والمجلات والراديو والتلفزيون الى غير ذلك من الوسائل الأخرى التي يكون فيها الاتصال من جانب واحد فقط .

هذا ويتحدث الدكتور أحمد الشايب ، عن معنى الاتصال ، من وجهة نظر النقد الأدبي والمعنى الاجتماعي موضحاً أن عملية الاتصال تكون مشتركة بحيث يتفاعل فني

اتماسها وانجاحها كل من المرسل والمستقبل ، ضمن اطار العملية الاعلامية المشتركة فلنستمع اليه وهو يقول : (إن الاتصال ، هو حقيقة أساسية للوجود الأنساني والعملية الاجتماعية ، بل إن الاتصال هو حامل العملية الاجتماعية ، وهو الذي يجعل التفاعل بين الجنس البشرى ممكنا . ويمكن الناس من أن يصبحوا كائنات اجتماعية . وفي عملية الاتصال نهدف الى أحداث تجاوب مع الشخص المتصل به ، وبعبارة أخرى نحاول أن نشا ركة في استيعاب المعلومات ، أو في نقل فكرة أو اتجاه .) (١)

وهكذا نرى أن تعريف الدكتور أحمد الشايب جاء أيضا مؤيدا ومعززا لرأى الدكتور أحمد بدر والدكتور جيهان رشتي ، في تعريفيهما للاتصال بأنه يقوم على عملية مشتركة بين المرسل والمستقبل .

وسا تجدد الإشارة اليه أن الاعلام الأسلامي قد أخذ باعتباره ، جميع هذه الأفكار التي تحدث عنها علماء الاعلام وذلك ضمن النشاطات التي قام بها أثناء عملياته الاتصالية الميدانية ، بطريقة موضوعية وفعالة الأمر الذي أدى الى نتائج إيجابية متازة في كفاءة الميادين . وسنبين ذلك ان شاء الله حينما نتحدث عن وسائل الاتصال الميدانية التي استخدمها الإسلام لنشر دعوته في فترة ما بعد الحديبية .

(١) الدكتور أحمد الشايب : كتاب اصول النقد الأدبي (ط ٢) ص ٣٨ .

أساليب الاتصال :

بما أن اتصال الناس بعضهم ببعض يعتبر من العوامل الأساسية والضرورية لاستقامة الحياة واستمرارها على وجه الأرض ، والنظر إلى أن الإنسان هو أجتاعي بطبعه ، فإن عملية الاتصال تبدأ مع هذا الإنسان منذ ولادته ، بالأسلوب المناسب الذي يتمكن من أدائه ، إذ لا يستطيع هذا الإنسان الحياة دون أن يتصل بمن حوله من الناس .

والجدير بالذكر أن هناك أساليب عديدة ومتنوعة للاتصال ، قد يصعب التفريق بينها أحيانا لتشابهها ولتقارب وظائفها .

وقد تطرق الدكتور محي الدين عبد الحليم ، بالحدث عن هذا الموضوع ، موضحاً هذه الأساليب بقوله : (لقد أصبح من الصعوبة وضع حدود واضحة تميز مختلف أساليب الاتصال نظراً للتداخل بين منهج عمل كل منها . أى أن الفروق بين هذه الأساليب ليست فروقا عملية واضحة ، ولكنها فروق فلسفية في أغلب الأحيان ، فإذا قيل أن الأعلام عقلي في منهجه ، والدعاية إنفعالية في أسلوبها ، نجد أن الدعاية يستخدم أحيانا أسلوب الفكر المنطقي ، كما أن كثر من الأخبار والمعلومات التي تعتبر عناصر إعلامية يعزوها التفكير العقلي والتسلسل المنطقي ، ويغطي عليها أحيانا أسلوب التهويل والضخامة المفتعلة) . (١)

والجدير بالذكر أن الأعلام الإسلامي عند منذ فجر الدعوة الإسلامية إلى استخدام كافة أساليب الاتصال التي تتفق مع مبادئه للتعبير عن أمرائه وأهدافه ، وبلوغ الغاية التي جاء من أجلها ، وهي نشر الدعوة الإسلامية وتبليغها إلى الناس كافة . ومن أهم هذه الأساليب أسلوب الاتصال الشفهي ، بكافة أنواعه ، وأشكاله . وقد استحدثت الإسلام صوراً جديدة أخرى للاتصال وهذا يدكتور عبد اللطيف حمزة يوضح لنا هذه الصور التي أوجدها الإسلام في مجال الاتصال الشفهي . يقول الدكتور عبد اللطيف

(١) الدكتور محي الدين عبد الحليم : كتاب الأعلام الإسلامي وتطبيقاته العملية ص ٨٩ . مكتبة الخافجي بصر .

حمزه : (جاء الإسلام فاستحدث صوراً جديدة في مجال الإعلام والاتصال بالناس ، ومن أوضح هذه الصور القرآن الكريم الذي هو أكبر وسائل الإعلام في الإسلام ثم الحديث الشريف . وقد اعتمدت عليه جميع العصور الإسلامية من الناحية الدعائية ، وكانست القدوة الحسنة من جانب الرسول صلى الله عليه وسلم وكبار الصحابة من أكبر العوامل في نشر الدين الجديد ، وقد اعتمد الرسول صلى الله عليه وسلم الى جانب ذلك على وسيلة معروفة في علم الاتصال ، وهي وسيلة الاتصال بنوعيه الشخصي والجمعي . (١) وهذا النوع من الاتصال يعرف في جملته بالاتصال الشفهي كذلك .

والجدير بالذكر أن الاتصال الشخصي والجمعي يقومان في مفهومهما الأساسي على عملية الاتصال الشفهي الذي يشكل العمود الفقري للوسيلة الإعلامية التي مارسها الإعلام الإسلامي لتبليغ الدعوة الإسلامية وتعليم الناس أمور دينهم . تقول الدكتور جيهان رشتي : (ونحن حينما نتحدث عن الاتصال في الأطوار الشخصي ، نتحدث الى حد ما عن الطريقة التي يتم بها تعليم الناس . فإذا أخذنا في الاعتبار أن التعليم (عملية) يصبح في إمكاننا أن نحلل أجزائها ونتحدث عن عناصرها أو مكوناتها ، وعن العلاقات بين تلك المكونات أو العناصر . (٢)

وبالنظر الى أن الدكتور رشتي تتكلم عن عملية التعليم هذه من وجهة نظرها هي ، وما أن هناك أكثر من أسلوب وأكثر من طريقة في وجهات النظر المختلفة التي ناقشها علماء اللغة وعلم النفس عن عملية التعليم وفروعها ، وملحقاتها ، فلنا والحالة هذه ، نتجنب الخوض في مثل هذه المواضيع ، وخاصة فإن هذا البحث لا يتطلب بالضرورة استعراض ومناقشة هذه العمليات على نطاق واسع ، وإنما نكتفي بالإشارة ضمنية الى أن الإسلام له نظريته الخاصة في التعليم ، وإن مفهوم هذه النظرية يتضح من خلال الدراسة التي طبقها الإسلام في مجال الاتصال الشفهي بنوعيه الشخصي والجمعي ، ومن خلال مهمة

(١) الدكتور عبد اللطيف حمزه : الإعلام في صدر الإسلام ص ٣٤ .

(٢) الدكتور جيهان رشتي : المرجع السابق ص ١٥٤ .

المسجد في هذا الخصوص ، مما سيأتي الحديث عنها ضمن إطار الاتصال الشفهي .

الاتصال الشفهي :

الاتصال الشفهي يعني الكلام المباشر بين شخص وشخص آخر أو بين شخص وعدة أشخاص ، ويتضمن هذا الاتصال الحديث وجها لوجه عن طريق الكلمة المنطوقة بين المرسل والمستقبل ، ويعتبر هذا النوع من أنواع الاتصال من أقدم أوجه النشاط الإعلامي الإنساني وانجحه أيضا ، في بلوغ الهدف عن طريق المواجهة بالكلمة المنطوقة والتأثير الشخصي المواجهي .

وتوضح هذا الموضوع ، الدكتور جيهان رشتي بقولها : (كان الاتصال الشفهي هو الرابطة مع الماضي ، وكانت المعاني ذات المستويات المتعددة هي الطابع العام ، وهي معاني كانت قريبة جدا من الواقع ، والكلمات لا تشير الى أشياء ، بل هي أشياء ، وكلمة الإنسان ملزمة ، وذاكرة الإنسان قوية جدا والصورة الذهنية التي تصاحب أفكاره سمعية فهو يستخدم كل حواسه ، ولكن في حدوث الصوت ونظرا لأن الناس في ظل هذا النظام كانوا يحصلون على معلوماتهم أساسا عن طريق الاستماع اليها من أناس آخرين ، فقد اقترب الناس من بعضهم البعض ، في شكل قبلي وقد فرض عليهم أسلوب حصولهم على المعلومات أن يؤمنوا بما يقوله الآخرون لهم بشكل عام .) (١)

وعلى هذا الأساس فإن الاتصال الشفهي المواجهي ، هو أول ما عرف من أنواع الاتصال لدى الإنسان ، وقد كان ، وما زال هذا النوع من الاتصال ذا أثر بالغ وفعالية كبيرة في حياة الناس على مدى العصور ، الأمر الذي مكّنه من التفوق على أي وسيلة اتصال أخرى من حيث النتائج الإيجابية ، يقول الدكتور محي الدين عبد الحميد : (يعتبر الاتصال المواجهي أو الاتصال وجها لوجه بين المرسل والمستقبل ، هو الشكل الأول من أشكال الاتصال الإنساني ، وظل هذا الشكل من أشكال الاتصال ، أكثر الوسائل المستخدمة شيوعا على مر التاريخ . بل لقد ظلت هذه الوسيلة هي الوسيلة الأساسية لاستمرار

(١) دكتوراه جيهان رشتي : المرجع السابق ص ٣٧٥ .

الحياة الإنسانية بوجه عام . وقد كان الأعلام بهذه الوسائل ذا فعالية كبيرة لاعطاء التعليمات والحث على العمل ، كما كان أكثر تأثيرا لاجداث التغيير في الواقف ، وبقيت وسائل الأتصال الشفوى حتى بعد اختراع الكتابة والطبعة ، هي الوسائل التي ظل تفوقها ليس محل شك . (١)

أقسام الأتصال الشفهي

١- الأتصال الشفهي :

الأتصال الشفهي هو الأتصال الذي يكون مباشرا بين الناس ، وتكون طرق تأثيره من أقوى طرق التأثير الذاتي عند حدوث عملية الأتصال . وتوضح لنا هذا المفهوم الدكتور جيهان رشتي بقولها : (والأتصال بين فردين أو الأتصال الشفهي ، هو العملية التي تحدث يوميا ، حينما نعطي ونتلقى أوامر ، أو ندخل في مناقشة أو تبادل التحيات .) (٢)

والجدير بالذكر أن تأثير الأتصال الشفهي المباشر في العمليات الإعلامية يكون أكثر فاعلية ، وأشد قوة من وسائل الأتصال الأخرى التي تقوم على الأتصال من جانب واحد ، كالصحافة والأذاعة والكتاب ، أو التلفزيون . وهذا ما يؤكده الدكتور عــــــبد اللطيف حمزة بقوله : (وإن وسيلة الأتصال الشفهي أو الأتصال المباشر تعتمد عليها الدعاية في كل شكل من أشكالها . والسبب في ذلك أن الناس يتأثرون عادة بطريق الأتصال الشفهي أكثر مما يتأثرون بطريق الصحف أو الأذاعة أو التلفزيون ، ذلك أنهم مع الشخص مضطرون الى الأستماع لمن يحدثهم في موضوعات غير معلومة ولا محدودة لهم من قبل ، ثم انه في حالة الأتصال الشفهي يسهل على المتحدث أن يقرر رد الفعل

(١) الدكتور محي الدين عبد الحميد : المرجع السابق ص ٥٦ .

(٢) الدكتور جيهان رشتي : المرجع السابق ص ١٢١ .

المباشر على من يحدتهم ، كما يسهل عليه أيضا أن يكيف نفسه ، وحديته تبعاً لذلك ، وهذا ما لا يمتسر بالطبع للصحيفة أو الراديو . ويضاف الى ذلك انه من اليسير علينا دائما أن نقنع بوجهة نظر أناس يمتنا وبينهم ضلالت ، في حين ، أنه ليس من السهل أن نقنع بوجهة نظر الكتاب والمذيعين الذين قل أن نعرفهم ، كما نعرف أصدقائنا . (١)

هذا وتتحدث الدكتور جيهان رشتي في استعراض طويل لها عن وسائل الاتصال بشكل عام ، وعلى أن لكل من هذه الوسائل مقدرة خاصة على الأتفاع تقل أو تكثر عن غيرها من الوسائل الأخرى . ومن ثم تنتهي الى القول الى أن نتائج الأبحاث العملية والميدانية قد أفادت بأن وسيلة الأتصال المواجهي هي أكثر مقدرة على الأتفاع ، فتقول في هذا الموضوع : (تدل نسبة كبيرة من الأبحاث الإعلامية على أن لكل وسيلة اتصال قدر معين من الأتفاع تزيد أو تقل عن غيرها من الوسائل الأخرى ، كذلك تشير غالبية الأبحاث الى أن الأمكانيات النسبية لمختلف الوسائل الإعلامية تختلف بشكل واضح من مهمة اتقاعية الى أخرى - أى حسب الموضوع - ووفقا للجمهور الذى توجهه اليه . وقد أظهرت التجارب العملية والميدانية أن الأتصال المواجهي أكثر مقدرة على الأتفاع من الراديو وان الراديو " المذيع " أكثر فاعلية من المطبوع ، وأنه كلما زاد الطابع الشخصى للوسيلة ، زادت قدرتها على الأتفاع . (٢)

والجدير بالذكر أن الرسول صلى الله عليه وسلم ، قد حقق فائدة عظيمة من خلال ممارسته لوسيلة الأتصال الشخصى في نشر الدعوة الإسلامية ، وفي مجال التربيــــــــــــة الإسلامية والتوجيه الديني ، إذ أن الأتصال الشخصى يعتبر ذا فعالية كبرى في هذا المجال ، ويتحدث الدكتور زيدان عبد الباقي موضحا هذا الموضوع بقوله : (كان الأتصال الشخصى هو الأسلوب الذى سار عليه الرسول صلى الله عليه وسلم ، وكان الهدف من هذا الأتصال هو قلب وعقل الشخص " المرسل اليه " فإذا اكتسبه تمت مهمته ، ثم يبدأ

(١) الدكتور عبد اللطيف حمزه : المرجع السابق ص ١١٠ .

(٢) الدكتور جيهان رشتي : المرجع السابق ص ٣٦١ .

بعد ذلك عمله كرسب لا كلقن ، والتربية الدينية تشمل كل جوانب الفرد . (١)

ولا شك أن اعتماد رسول الله صلى الله عليه وسلم في نشر دعوته اعتمادا كبيرا على وسيلة الاتصال الشخصي المباشر يأتي من كون هذا النوع من أنواع الاتصال يعتبر من أقوى الوسائل الإعلامية تأثيرا وفعالية في مجال الاتصال بالناس في مواجهتهم بالحق واطهار الحجة وإقامة الدليل بالمنطق والبرهان ، ولم يزل هذا النوع من أنواع الاتصال يؤدى دوره بنجاح وإيجابية طوال فترات الدعوة جميعها .

ولنستمع الى الدكتور عبد اللطيف حمزة وهو يتحدث عن هذه الحقيقة بقوله : (كان الاتصال المباشر أول خطوة من خطوات العمل الاعلامي الكبير الذى قام به الرسول صلى الله عليه وسلم ، بل كان من أخطر هذه الصور الاعلامية على الإطلاق . وقد التزم الرسول صلى الله عليه وسلم بهذه الوسيلة الخطرة منذ بدأ الدعوة الى أن توفاه الله سبحانه وتعالى . ثم يتابع الدكتور عبد اللطيف حمزة حديثه عن موضوع الاتصال الشخصي وكيف أن الإسلام أعطى هذه الوسيلة أهمية كبرى في نشر دعوته ، فيقول : والحق أن اعتماد الرسول صلى الله عليه وسلم على هذه الوسيلة من وسائل الاعلام - وهي وسيلة الاتصال الشخصي - اعتمادا كبيرا ، يدل على حسن سياسته وعلى عظم حكمته في معالجة المواقف الحرجة ، التي كانت تمر به في حياته . (٢)

٢- الاتصال الجمعي :

الاتصال الجمعي يقصد به الاتصال بالناس بشكل جماعي ، وهذا النوع من أنواع الاتصال ، أظهر ما يكون في الخطبة ، وكذلك في الندوة ، أو المحاضرة ، حينما يجتمع الخطيب أو المتحدث الى عدد من الناس يوجه كلامه اليهم .

يقول الدكتور عبد اللطيف حمزة : (الاتصال الجمعي ، هو المقصود به الخطابة والمؤتمرات والندوات والاماكن التي يجتمع فيها الناس يستمعون الى محدث واحد أو عدد

(١) الدكتور زيدان عبد الباقي : وسائل وأساليب الاتصال (ط) ١٩٧٩ ص ٢٧٦ .

(٢) الدكتور عبد اللطيف حمزة : المرجع السابق ص ٧٨ - ٧٩ .

من المحدثين ، وإن كانت الخطبة أبرز ظواهر الاتصال الجمعي بلا نزاع ، وعليها أى على الخطبة إعتد الرسول صلى الله عليه وسلم إعتقادا كبيرا في نشر الدعوة ، وفي شرح تعاليم الدين الإسلامي . (١)

وعلى هذا الأساس فإننا نستطيع القول أن من أبرز النشاطات الإعلامية في مجال الاتصال الجمعي التي مارسها الإسلام في فترة ما بعد الحديبية ، كانت الخطبة بصورة خاصة الخطب النبوية .

ولا شك أن الخطبة تعتبر منذ أقدم العصور ، من أقوى وسائل الأعلام والدعاية والاتصال بالناس بشكل جماعي ، لغرض التأثير في مشاعرهم وحملهم واقناعهم بالأخذ بأفكار جديدة يقصد ها الخطيب ولتوجيه الناس من ناحية أخرى ، لترك أفكار قديمة ، يقول الدكتور محي الدين : (تعتبر الخطابة هي إحدى الوسائل الإعلامية القديمة التي ازدهرت بين كثير من الأمم والحضارات القديمة ، وكانت هذه الوسيلة تلعب دورها المؤثر في حقل الأعلام بين عرب الجاهلية ، وقد برز بين هؤلاء خطباء بدعوى ، مثل قس بن ساعدة الأيادي الذي اشتهر بخطبه التي كانت تدعو الى التأمل في الطبيعة ، وإدراك الذات الإلهية من واقع الأمور الكونية ، وقد سمعه الرسول صلى الله عليه وسلم وأعجب به . (٢)

وسما يذكر ، أن الرسول صلى الله عليه وسلم قد أدرك أهمية هذه الوسيلة الإعلامية النافعة والمؤثرة في مجال الاتصال الجمعي ، ومدى قدرتها العظيمة في التأثير بالناس ، فطوعها لخدمة الدعوة الإسلامية واستثمرها استثمارا عظيما كي تلعب دورا رائدا وفعالا في نشر الإسلام والدفاع عنه ، عن طريق تلك الوسيلة الإعلامية الهامة التي كان لها شأن كبير عند العرب قبل وبعد ظهور الإسلام .

(١) الدكتور عبد اللطيف حمزة : المرجع السابق ص ١٢٦ .

(٢) الدكتور محي الدين عبد الحليم : المرجع السابق ص ١٤٩ .

الفرق بين الاتصال الشخصي والجمعي :

بالنظر الى أن أساليب الاتصال الشخصي والجمعي يقومان على المشاهدة أثناء عملية الاتصال ، وما أن عملية الاتصال يمكن أن تتم بين شخص وآخر ، أو بين شخص وعدة أشخاص ، فإنه من الصعوبة ، كما يبدو لأول وهلة إيجاد الفرق ، بين هذين الأسلوبين .

ولكن هناك فرق جوهري واضح أشار اليه علماء الأعلام في هذا المجال ، وهذا الفرق يمكن في عملية تبادل الأفكار والآراء بين المتحدثين ، وهو ما يسميه الإعلاميون بعملية رجوع الصدى .

ولا شك أن عملية الاتصال الجمعي تفقد هذه الميزة ، وذلك لأن الخطيب أو المحاضر يتحدث الى جموع كبيرة من الناس .

ولنستمع الى الدكتور أحمد بدر وهو يتحدث موضحاً هذه الفروق بقوله : (يختلف الاتصال الجماهيري في خصائص كثيرة عن عملية الاتصال الشخصي . وأهم هذه الخصائص هو أن الاتصال الشخصي يمتاز بإمكانية تعديل الوسائل المتبادلة على ضوء رجوع الصدى من المستقبل الى المرسل . بينما تفقد عملية الاتصال الجماهيري لهذه الميزة الكبيرة) (١)

وسائل الاتصال الشخصي الميدانية التي مارسها الإسلام في تلك الفترة :

مبحث ثاني :

القرآن الكريم :

قال تعالى : (قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات الى النور بأن نه ويهدي بهم الى صراط مستقيم) . (١)

لقد حمل الإسلام منذ البداية طابع الدين الذي يقوم على الدعوة الى الله سبحانه وتعالى ، والسعى لجذب قلوب الناس وتحويلهم اليه ، وحشهم على الدخول فيه . كل ذلك كان بطبيعة الحال بفعل القرآن الكريم الذي وضع الأساس المتين للمجتمع الإسلامي الجديد ، ودعا الى التآخي والتعاون بين كافة أفراد المجتمع المسلم .

وسما تجدوا الإشارة اليه ، أن المسلمين في فترة ما بعد الحديبية كانوا قد تفرغوا للدعوة الى الله ، وأعدوا أنفسهم لحمل هذا الدين الى الناس كافة ، بصورته الأصلية .

لذا فإن الفرد المسلم كان في عطاءه المستمر يحتاج ايضا الى تلقي مزيد من دفعات النور تقتبس وضاء ساطعة من ينبوع الأصيل الزاخر الذي يهدد الظلمات التي أورتها قرون الجاهلية الطويلة على نفوس الناس والتي صنعها مردة البشر وجنود الشيطان بتحريفهم للديانات السابقة . وقد جاء هذا الدين العظيم مثلاً بكتاب الله القويم الذي لا يأتية الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، وفي سنة النبي الكريم صلى الله عليه وسلم ليفيض على الإنسانية من أنوار هدايته الربانية دعوة خيرة ومثلاً عالمية ، وحضارة زاهرة ، وأمد الحياة بروح جديدة قوامها التوحيد ، ومبناها الأخلاص ، وشعارها عقيدة والتزام فالتأم الشمل المشتت ، وتطهر الضمير الملوث ، واكتشف الإنسان بوهي من هذه الدعوة وهدى من هذه الروح - جوهره النبيل ، وسعدته الأصيل ، وفطرته السليمة - ، وأدرك أن له في هذا الوجود مهمة عظيمة ، ورسالة جليلة ، عليه أن يدأب لتحقيقها ويسعى بصبر وثبات لأدائها ، ويعد نفسه إعداداً ملائماً للقيام بمهامها ، وتلك هي

الدعوة الى الله ، وإبلاغ رسالة الإسلام في الأرض ، لأرشاد من ضل وهوى ، وإنقاذ من انحرف وهوى ، وتحرير من استعبده الأهواء واستبدت به طواغيت الأرض ، فشوهموا فطرتهم ، وأفسدوا عقيدتهم ، وأذلوا كرامتهم .

والقرآن الكريم هو الذى يضيء الطريق أمام المؤمنين ، ليستمدوا منه قوتهم وطاقاتهم بالدعوة الى الله سبحانه .

يقول محمد كمال الدين إمام : (لا شك أن الوقفة التأسيسية أمام القرآن الكريم تجعل الأعلامي المسلم يستوعب الأسس النظرية لهذا الأعلام ، وخاصة أن مهمة الرسل هي مهمة إعلامية . وكان هدفهم واحدا وإن تعددت وسائلهم وفقا لنوع مجتمعاتهم وطبيعة رسالاتهم ، وظروف زمانهم ، ولكن نوحا ولوطا وإبراهيم وشعيبا وهودا وكافرة الرسل حتى خاتم الأنبياء محمد صلى الله عليه وسلم ، كانوا يدعون الناس كي يعبدوا الله ما لهم من إله غيره .) (١)

والجدير بالذكر أن آيات الدعوة والأعلام والإبلاغ والاتصال ، كثيرة في القرآن الكريم ، بل أن لغته وأساليبه في التعبير تدل على أن اللغة القرآنية ، هي اللغة النموذج في الأعلام ، وتصبح دراسة القرآن الكريم فيها واستيعابا إحدى المهام الرئيسية للأعلام الإسلامي ، وهي أمر أساسي لتكوين رجل الأعلام في المجتمع الإسلامي .

ثم يتحدث الأستاذ إمام في معرض كلامه في هذا الموضوع عن واجب الأعلام الإسلامي أزا اللغة العربية ، وما ينبغي عمله للمحافظة عليها واعطائها حقها بالكلام ، كما جاء بها القرآن الكريم ، وهو الالتزام بالفصحى والأبتعاد عن اللهجات العامية ، لأن ذلك من شأنه أن يشوه لغة القرآن التي ينبغي أن تكون هي اللغة الحقيقية للأعلام الإسلامي ، فيقول : (إن واجب الأعلام الإسلامي أزا اللغة ينحصر في أمرين :

أ - لاستيعاب هذه اللغة والعلم بخصائص اللغة الإعلامية المؤثرة ، كما تكشف عنها الدراسة اللغوية العميقة للنص القرآني .

ب - الدفاع عن اللغة العربية ، وذلك بمد الهجاء ، والالتزام بها في كل أجهزة

(١) محمد كمال الدين إمام : النظرية الإسلامية للأعلام ص ١١٤-١١٥ دار البحوث العلمية .

الأعلام ، لأن استخدام اللهجات المحلية في الأعلام الأسلامي تضعف الصلة بين المسلمين ولغتهم من جهة ، وبينهم وبين القرآن من جهة أخرى ، كما إنها تقطع خطوط التواصل النفسي والحضارى بين المجتمعات الأسلامية . (١)

والجدير بالذكر أن القرآن الكريم ، قد حدد معالم ومواصفات رجل الأعلام المسلم باعتباره حامل الرسالة الأسلامية ، وهو الذى يصل بها الى الناس ، وتتعكس به شخصيته عليهم ، وهذه الميزات هي باختصار : الصدق ، والصبر وحسن الخلق والسلوك والأمانة والمحافظة على الوقت والحكمة والتروى والاستقامة .

أساليب القرآن الإعلامية :

لقد استخدم القرآن الكريم أساليب إعلامية متعددة لأقناع المستقبلين للرسالة الأسلامية وتصديقها ودعوة الناس للعمل بمضمونها ، ومن بين ما استخدمه القرآن الكريم من الأساليب للوصول بها الى هذه الغايات :

١- القصة : القصة في القرآن الكريم فن مستقل في ذاته ، ويمتيز هذا الفن القرآني بالواقعية المجردة والمضمون المعبر والنتيجة الهادفة في طريقة التوصيل ، وأسلوب الأداء . وقد استخدمت القصة القرآنية في أهداف إعلامية كثيرة منها :

أ - الأخبار : كقصة آدم التي تتحدث عن نشأة الخلق وموضوع آدم النبي ، واعتبار آدم من بين الكائنات ، حيث أشار القرآن الكريم أن الله جعله خليفة في الأرض .

وهناك قصص اخبارية أخرى جاء بها القرآن الكريم كقصة موسى وأخيه هارون وأمرهما مع فرعون ، وقصة أهل الكهف ، والمدة التي لبثوها ، وقصة أصحاب الأخدود ، والذين خرجوا من ديارهم حذر الموت ، الى غير ذلك من القصص الاخبارية الأخرى .

ب - التربية : لقد استخدم القرآن الكريم القصة لتربية النفوس وحملها على الالتزام بشرع الله القويم ويتضح ذلك من قصة يوسف عليه السلام مع إخوته ، وسبع امرأة العزيز .

جـ - تثبت المؤمنين : وهي من أهم القصص التي تعرض لها القرآن الكريم في تثبت الرسول صلى الله عليه وسلم والمؤمنين وتسرية ما بهم من أحزان تجشموها في سبيل الدعوة إلى الله . قال تعالى في سورة هود : ((وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك ، وجاءك في هذه الحق وموعظة وذكرة للمؤمنين .)) (١)

د - للتعليم : كثيرا ما كانت القصة في القرآن الكريم تأتي كوسيلة لتعليم الناس أصول دينهم ، وأداب الاستعانة بالله وآداب مخاطبة الرسول صلى الله عليه وسلم . ويتضح ذلك في قصة ابني آدم ، قابيل وهابيل ، وقصة موسى مع ابنه شعيب ، وكيف أن أحدهما جاءته وهي تمشي على استحياء ، فمضى أمامها وهي من خلفه . وقصر القرآن كلها تعلم الإنسان قواعد الدعوة والسلوك ، وأصول الأخلاق وكيفية التعامل مع الناس .

٢- الأسلوب الإعلامي في الحوار : لقد أورد القرآن الكريم أسلوب الحوار ليسمى وظائف إعلامية في أكثر من موضع ، وأكثر من سورة . ويتجلى ذلك الحوار في الحوار الذي دار بين إبراهيم عليه السلام ، والنمرود ، حول اثبات ربوبية الله جل وعلا ، إذ يقول الله سبحانه وتعالى : ((ألم تر إلى الذي حاج إبراهيم في ربه ، أن آتاه الله الملك ، إذ قال إبراهيم رب الذي يحيى ويميت ، قال أنا أحيى وأميت ، قال إبراهيم فإن الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبهت الذي كفر والله لا يهدي القوم الظالمين .)) (٢)

وكذلك الحوار الذي دار بين موسى وقومه ، عندما قالوا له بأنهم لا يستطيعون أن يدخلوا الأرض المقدسة ما دام فيها أجداد الفلسطينيين .

٣- أسلوب التكرار لتثبيت المعنى : وهو أسلوب يستخدمه الإعلام كوسيلة فسي الألاعاح لعرض وجهة نظر معينة حتى يقنع المتلقي بها عن طريق سياسة كثرة الطرق . يقول الدكتور زيدان عبد الباقي : (ولعل من أهم وظائف الإعلام ، وظيفة تثبتت

القيم والمبادئ^١ والاتجاهات والمحافظة عليها ، وكلما كانت أنماط السلوك متفقة مع محتويات النسق القيمي كان التوافق الاجتماعي سمة من سمات هذا المجتمع ، وتعمل أجهزة الإعلام على تثبيت النسق القيمي في المجتمع على تناول هذه القيم بمختلف الوسائل الإعلامية وهذا التكرار الإعلامي يعرف في علم النفس بالتعزيز أو التدعيم أو التثبيت . (١)

والقصة في القرآن الكريم تحدد معنى رسالة الإعلام على أنها وظيفة اجتماعية تدعو الناس كلهم الى الخير والاستقامة ، والأبتعاد عن العادات الباطلة . يقول دكتور إبراهيم إمام : (القصة في القرآن الكريم هي أول قصة في لغتنا العربية عرفت الالتزام وحددت رسالة الإعلام بمعناه الإنساني الذي يفهم من الإعلام الإسلامي على أساس وظيفته الاجتماعية التي تدعو الناس كلهم الى الخير وتبعدهم عما ألفوه من خلـق وعادات وعقائد باطلة . (٢)

وسا لا شك فيه أن التأثير الكبير الذي أحدثه القرآن الكريم في نفوس المؤمنين وخاصة عندما أصبح كلام الله عز وجل يحترق بأرواح المؤمنين ونفوسهم ودمائهم وعقولهم ، لا يمكن أن يهمل الحديث عنه أو إخفاؤه دوره الرائد في الدعوة الى الله ، وذلك عندما أخذت آيات الله الكريمة تتداول على ألسنة الناس ، يتعبدون في تلاوتها ، ويستفيدون منها في حياتهم اليومية ، ولقد كان من نتيجة هذا التداول لكتاب الله الكريم حفظا وتفسيرا وقصصا تحكى ما دار بين الأنبياء السابقين مع أقوامهم ، أن انتشرت هذه المعاني العظيمة بين الناس في المدينة المنورة ، حيث مركز الدعوة الإسلامية ، وقد انتقلت بعد ذلك الى خارج المدينة المنورة بوساطة كثيرة منها القادمون والعائدون من وإلى المدينة المنورة كالتجار والمسافرون والعيون التي كانت تنبها الأعداء لرصد حركات المسلمين ، والبهسد و المتنقلون وغير ذلك من الوسائط الأخرى التي ساعدت على نقل الآيات القرآنية والأحاديث

(١) الدكتور زيدان عبد الباقي وسائل وأساليب الاتصال ، نقلناه ببعض تصرف ص ٣٣-٣٤
(٢) الدكتور إبراهيم إمام : المرجع السابق ص ١٣١ ط ١٩٧٩

النهوية الى الناس . هذا بالإضافة الى الدعاة المسلمين الذين كانوا ينتقلون بين
البوادي والقرى يحملون هذا الدين الى الناس ، وكذلك القراء الذين كان يرسلهم
رسول الله صلى الله عليه وسلم الى القبائل التي تأتي الى المدينة لتعلن إسلامها أمام
رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يرسل معهم من
يعلمهم كتاب الله وسنة نبيه الكريم .

وهذه الوسائل الإعلامية الشفوية جميعها فقد وصل القرآن الكريم الى الكثير من
الناس وانتقلت أحكامه ومعانيه وتلاوته الى جميع أنحاء الجزيرة العربية وخارجها من
البلاد الأخرى .

والجدير بالذكر أن حركة الاتصالات الإعلامية في تلك الفترة التي تفرغ فيها الدعاة
المسلمون للدعوة الى الله سبحانه كانت حركة تتميز بالنشاط وتعتمد في مضمونها على
الاتصال الشفهي ، حيث كانت تجرى الاتصالات بين مركز الدعوة الإسلامية في المدينة
المنورة وبقية المناطق الأخرى في مختلف أنحاء الجزيرة العربية وخارجها ، تلك المناطق
التي انتشر فيها الدعاة الى الله ، وذلك لتزويد هؤلاء الدعاة بالتحاليم القرآنية
الجديدة التي كان ينزل بها الوحي على رسول الله صلى الله عليه وسلم تبعاً ، وذلك
كآيات التشريعية والآيات التي تفصل الأحكام والآيات التي تنظم العلاقات بين المسلمين
فيما بينهم من جهة ، كالزواج والطلاق والميراث والآيات التي تنظم علاقات المسلمين
بالكفار من جهة أخرى وكذلك الآيات التي تنبأت في تحريم بعض العادات التي دأب على
فعلها الناس كآيات التي نزلت في تحريم الخمر والربا ، الى غير ذلك من الأمور الأخرى .
والجدير بالذكر أن معظم آيات القرآن الكريم نزلت حسب المواقف والأحداث التي مرت
بها الدعوة الإسلامية ، وذلك للاسترشاد بها على كل حادثة من هذه الحوادث وعلى كل
موقف من هذه المواقف . وكانت بعض هذه الآيات القرآنية الكريمة تحمل الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم وإلى المسلمين بعض الأمور الغيبية كالجنة والنار أو ما سيحدث لهم
في المستقبل ، وكذلك الآيات التي تنفخ على أخبار المشركين واليهود والمنافقين ، وما كان
يدور بينهم جميعاً من مؤامرات ضد النبي صلى الله عليه وسلم والمسلمين .

ويجد ربنا ونحن نتحدث عن هذا الجانب الإعلامي من كتاب الله عز وجل أن نتذكر بأن القرآن الكريم عندما يفرد بهذه الطريقة الخاصة في عرض الوقائع وتقرير الأحداث وتوضيح أحكام الله في التعليم والتوجيه والوعظ ، فهو ليس كتابا في التاريخ ، وإن كان فيه من التاريخ مادة شديدة الخصوصية ، كذلك فهو ليس كتابا في الاجتماع أو الاقتصاد أو علم النفس أو التربية على الصورة التي نعرفها لهذه العلوم وغيرها ، وإن كانت فيه إشارات وتلميحات يمكن أن نستبين من خلالها وجهة النظر القرآنية في الكثير من القضايا التي تواجه المجتمع الإسلامي في جميع العصور .

ولكن يمكن القول بأن القرآن هو كتاب إعلامي نزل بالحق لتحقيق غرض معين هو الدعوة إلى الله وتثبيت عقيدة التوحيد في الأرض ووضع التشريعات التي تنتظم بها شئون الدنيا والآخرة ، سالكا بذلك جملة من الوسائل منها الحوار المنطقي والقصة والموعظة الحسنة ومناقشة المواقف والقضايا التي تعرض للناس . قال تعالى : ((كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولوا الألباب)) (١) . وعلى هذا يمكن القول بأن الإعلام القرآني قد بدأ واضح الملامح والخطوط ابتداء من الدعوة النبوية الكريمة التي كلف الله بها نوح عليه السلام ، وانتهت بمحمد خاتم الأنبياء والمرسلين عليه الصلاة والسلام .

يقول الدكتور عبد اللطيف حمزة : (وجد ير بالتنويه أن نقول أن القرآن نفسه كان ضربا رائعا من ضروب الإعلام على لسان رسول الإسلام محمد صلى الله عليه وسلم ، وإذا ذهبنا نسأل عن كلمة " قرآن " في اللغويين نراها تحمل معنى " الإعلان " أو " التعريف والإعلام " برسالة السماء ونحو ذلك) . (٢) وأخيرا فأن هذه المعجزة العظمى ستبقى تؤدى دورها كما أراد الله سبحانه لهما بقيت السموات والأرض إن شاء الله .

(١) سورة ص : الآية (٢٩) .

(٢) الدكتور عبد اللطيف حمزة ، المرجع السابق ص ٤٥ .

مبحث ثالث :

الحد يث الشريف :

يأتي حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم بالدرجة الثانية بعد القرآن الكريم من حيث الأهمية الإعلامية في نشر الدعوة الإسلامية ، وخاصة في فترة ما بعد الحديبية . وتأتي هذه الأهمية من كون الرسول صلى الله عليه وسلم ، هو خاتم الأنبياء والمرسلين جميعا . وإن رسالته هي خاتمة لجميع الرسالات السماوية . لذا فهو المعلم الأول لهذه الأمة وهو الداعية الأول لهذا الدين الذي دخلت فيه هذه الأمة . ويد بهي - على هذا الاعتبار - أن تكون لأحاديث النبي صلى الله عليه وسلم الأثر الأكبر في التعليم والأرشاد والهداية والتبشير بالدعوة إلى الله سبحانه وتعالى في مجالات الأعلام المختلفة وفوق ذلك كله فإن حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم يعتبر المصدر الثاني من مصادر التشريع الإسلامي في مجال العبادات والمعاملات . قال صلى الله عليه وسلم : " ألا إني أوتيت الكتاب ومثله معه " (١) .

وهذا يعتبر حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم مكملا للقرآن الكريم ، مفسرا لأياته ، ومفصلا لأحكامه ، ومن ذلك على سبيل المثال ، ما جاء في كتاب الله الكريم في أمر الصلاة والزكاة . فقد قال سبحانه وتعالى في كثير من الآيات الكريمة في القرآن الكريم : ((وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة)) ، دون تفصيل لكيفية إقامة الصلاة ولا لمقادير هذه الزكاة . لذا فقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يعلم المسلمين بالطريقة العملية لكيفية الصلاة بركعتها وسجودها وأركانها وشروطها وأعدادها وكذلك مقادير الزكاة وكيفية الوضوء إلى غير ذلك من أمور الدين التي تحتاج إلى تفصيل .

والجدير بالذكر أن المسلمين لم يكونوا ليمتروا مجالسة نبيهم الكريم والاستماع إلى أحاديثه الشريفة . فقد كان الذي يذهب منهم إلى عمله ، يأتي بعد أن ينتهي من عمله ليسأل الصحابة الذين رافقوا الرسول صلى الله عليه وسلم عما قاله أو أقره أو فعله عليه الصلاة والسلام في الفترة التي كان غائبا فيها . وهذه الطريقة كان ينتقل حديث رسول

الله صلى الله عليه وسلم الى الناس ، ويأخذ بالتداول داخل وخارج المدينة المنورة الى الأماكن التي يسكنها المسلمون ليقفوا على ما نزل من التشريعات الجديدة التي نزل بها الوحي وهذه الطريقة الإعلامية يطلق عليها رجال الأعلام بطريقة الاتصال الشخصي المباشر ويعتبرونها أكثر الطرق فعالية وتأثيراً ومقدرة على نقل المعلومات وتداول الأخبار بين الناس ، كما أشرنا الى ذلك أثناء دراستنا لموضوع الاتصال الشخصي . (١)

ولا شك أن مهمة الرسل الإعلامية هي مهمة ذات شقين :

أولهما : إبلاغ دعوة الله الى الناس بطريقة الحكمة والموعظة الحسنة .

ثانيهما : بيان كلمات الله وتوضيحها بالأسلوب الأسلامي الذي يقوم على الحكمة أيضاً .

والأول يرتبط عضوياً بالثاني ، فعملية الاتصال بين الرسول صلى الله عليه وسلم والناس لا تحقق التأثير المطلوب بمجرد الإبلّغ ، وإنما ببيانه وإيضاحه حتى يتمكن المستقبل من فهم الرسالة الإعلامية .

ولقد كان المسجد النبوي الكريم وميث النبوة ، المركزين الرئيسيين للتقاسم المسلمين من داخل وخارج المدينة المنورة وذلك للتزود بالمعلومات والاستفسارات عن أمور الدين التي يبينها ويوضحها لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم . ومن هنا ، فقد اكتسبت الأحاديث النبوية أهمية بالغة بالنسبة للمسلمين جميعاً الأمر الذي جعل قسماً من الصحابة الكرام يحفظونها عن ظهر قلب ، وكان بعضهم يكتبها ومن ثم يتداولونها بينهم ويستترشدون بها في تفسير بعض الآيات القرآنية ، وفي تفصيل المسائل الفقهية ، وهناك أحاديث تعرف بالأحاديث القدسية ، وهذه الأحاديث هي من عند الله عز وجل في معناها ولكنها في ألفاظها من كلام النبي صلى الله عليه وسلم ، وتختلف عن القرآن الكريم بأنها لا يصح التعبد بتلاوتها .

ومن المعلوم أن مجموعة أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم يطلق عليها اصطلاح :

" السنة النبوية المظهرة " .

== بتعليق محي الدين عبد الحميد . والحدّث من رواية المقدام بن معد يكرب وأخرجه أحمد في مسنده ج ٤ ص ١٣١ والترمذي والدارمي وابن ماجه بنحوه وقال الشيخ ناصر الألباني بأنه صحيح .

يقول الدكتور زيدان عبد الباقي : (إن السنة هي ترجمة لدور الرسول صلى الله عليه وسلم الإعلامي ، فكل رسول مكلف بأن يوصل كلمات الله الى البشر . قال الله تعالى : ((ولقد وصلنا لهم القول لعلهم يتذكرون)) (١) . والنبوة - كما قيل - سفارة بين الله عز وجل وبين ذوى العقول من خلقه لهدايتهم وتكوين سلوكهم وتوجيههم الى ما فيه الخير والمصلحة لهم ، وهي في نفس الوقت عمل إعلامي بالدرجة الأولى) (٢)

والحقيقة أن النشاطات الإعلامية الإسلامية في زمن النبي صلى الله عليه وسلم لم تقتصر على التداول بالحدِيث الشريف وطرق انتقاله وسماعه ودراسته ، ولكن كانت هناك طرق إعلامية أخرى لا تنفصل بمدلولها العام عن الحدِيث النبوي الشريف وهي طريقة الحوار المواجهي الذي كان يدور بين النبي صلى الله عليه وسلم ، وبين المشركين وغيرهم من المعاندِين ، والذي كان يدور على شكل مناظرات عامة أمام الناس ، مما ساعد كثيرا في تنشيط الأعلام الإسلامي وأدى الى نشر الدعوة الإسلامية بين الناس ، ذلك الحوار الذي كان يبين فيه النبي صلى الله عليه وسلم المزايا العظيمة التي ينفرد بها الدين الإسلامي في شموله وسموه ، وقاياته عن بقية الأديان التي حرقها أعداء الله ، الأمر الذي ساعد كثيرا في توضيح الحقائق للناس ومن ثم دخولهم في الإسلام .

يقول كامل الكيلاني : (كان الرسول صلى الله عليه وسلم يحاور المشركين ، ويهيب على أسئلة أهل الكتاب ، ويستخدم معهم كل وسائل فن الاقتناع لدعوتهم الى الإسلام ، وتغنيض كعب السيرة بأخبار هذا الحوار وهذه المناظرات . وظل هذا الأسلوب مستخدما كوسيلة إعلامية في عصور الحضارة الإسلامية المختلفة) (٣)

وعلى ضوء ما تقدم ، فأنتنا نستطيع القول ، بأن حدِيث رسول الله صلى الله عليه وسلم قد ساهم بطرق كثيرة ومتعددة - مساهمة فعالة - في تنشيط حركة الدعوة الإسلامية وتوسيع مجالات العمل الإعلامي الإسلامي ، وخاصة في الفترة التي أعقبت هدنة الحديبية ما كان له أكبر الأثر في زيادة عدد المسلمين .

(١) سورة القصص آية ٥١ . (٢) زيدان عبد الباقي المرجع السابق ص ٢٧١ ط ١٩٧٩ .

(٣) كامل الكيلاني : صور جديدة من الأدب العربي ص ١٨-١٣٦ ط ١٩٣٩ .

يقول الدكتور عبد اللطيف حمزه : (إننا يجب أن نقول في هذا الفصل أن الأحاديث النبوية كانت تنمى مع الدعوة الإسلامية ومع القرآن الكريم ، وذلك في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم وفي عهود الخلفاء الراشدين ، وإنها كانت قوة هائلة في نشر الدين الإسلامي ، والعمل بالقرآن وذلك على الوجه الذى لا نظير له في أية فترة أخرى من فترات الإسلام . ذلك أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان في جميع أحواله ، وفي كل ما ينطق به من أقوال وأحاديث يمثل القرآن الذى نزل عليه ، وصدت السيدة عائشة أم المؤمنين حين سئلت عن خلق الرسول ، فقالت : كان خلقه القرآن) (١) .

والجدير بالذكر أن بعض الأخبار التي حاشا ذكرها في القرآن الكريم بصورة مجمله والقصص الأخرى التي أخبر بها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قصة الرجل الذى أدخله الله الجنة عند ما سقى الكلب ، هذه القصص التي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدث أصحابه بها ، كانت تتداول بين الناس بشكل مكثف مما ساعد على ظهور القصص ، الأمر الذى أنعمش الإعلام الإسلامي ، والاتصالات الفردية والجماعية عن طريق تداول حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم بطريقة الاتصال الشفوي . ولا شك أن الحديث النبوي لا زال حى حتى الآن بشكل أوسع مادة للإعلام بين المسلمين . يقول أحمد أمين : (بعد فقد كان للحديث سوا صحيفا أو موضوعا ، أكبر الأثر في نشر الثقافة في العالم الإسلامي ، فقد أقبل عليه الناس يتدارسون ، إقبالا عظيما ، وكانت الحركة العلمية في الأمصار تكاد تدور عليه .) (٢)

وبذلك فإنه يمكن القول أن حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم كان له أكبر الأثر في تنشيط للأعلام والثقافة الإسلامية والتعليم ، بعد القرآن الكريم ، حيث أصبحت أخبار المسلمين في تلك الفترة القصيرة تغطي كافة أنحاء الجزيرة العربية ، وفي الحديث الهومي للناس فسي نواد بهم ومنتدياتهم وفي الأسواق والبيوت ، يحصلون عليها ويتداولونها بينهم ، وفي حديث

(١) الدكتور عبد اللطيف حمزه ، المرجع السابق ص ٦٣ - ٦٤ .

(٢) الأستاذ أحمد أمين فجر الإسلام ص ٢٧٦ .

الصاعة للناس جميعا في شكل إعلام يومي لهم . يقول الدكتور عبد اللطيف حمزه :
(أما الإعلام اليومي فهو الإعلام الذي يحصل عليه كل مواطن في وطنه ، أما عن طريق
بيته أو عمله ، أو في أثناء سيره في الطرقات الهامة ، أو جلوسه في المنتديات والمجتمعات
واختلاطه بالناس والأشياء بطريق الوسائل الإعلامية الطبيعية التي تمثل الهيئة
الاجتماعية التي يعيش فيها .) (١)

(١) الدكتور عبد اللطيف حمزه : الإعلام له تاريخه ومذاقه ص ٣١ دار الفكر العربي .

القدوة الحسنة :

إن القدوة الحسنة في حد ذاتها تعتبر من أهم الوسائل الإعلامية التي تقوم على غريزة التقليد والمحاكاة في الإنسان ، وهذه الوسيلة تلعب دورا هاما في الاستغناء عن بذل الجهود الإعلامية الكبيرة بهدف غرس فكرة ما أو الاقتناع برأى أو تعديل سلوك معين لدى الناس . قال تعالى : ((لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة)) (١)

ولقد كان الداعي الأول للإسلام محمد بن عبد الله عليه الصلاة والسلام ، مضرب الأمثال في هذا الصدد ، فإنه ليس من قبيل المبالغة القول بأن قوة تأثير شخصية الرسول محمد صلى الله عليه وسلم على سلوك المسلمين وتصرفاتهم في جميع المواقف هي عبارة عن شعور تلقائي طبيعي له بالغ الأهمية والأثر في التطلع نحو قدوة المسلمين الحسنة محمد عليه الصلاة والسلام ، سواء كان ذلك في عهد الرسول أو من بعده ، ذلك أن علاقة الحب والأعجاب التي غرسها النبي صلى الله عليه وسلم في قلوب أصحابه الكرام انبعث أثرها وداها في قلوب الأجيال الإسلامية المتتابعة عبر القرون .

ولقد كان عليه الصلاة والسلام به من الصفات النبيلة ما تخفى به كتب السيرة ، فهو القدوة الحسنة للمسلمين جميعا ، وهو الصادق الأمين بين قومه قبل نزول الوحي ، وهو الشجاع المقدام في الحروب والمعارك ، وهو القدوة الحسنة في النبل والصبر والتسامح والعفو عند المقدرة ، وفي الكرم وصلوة الرحم والتقوى وخافة الله ، والوقوف عند حدوده . قال تعالى وهو يصف نبيه الكريم : ((ولئنك لعلى خلق عظيم)) (٢) . والحقيقة إننا لسنا هنا في مجال تعداد صفات الخير التي كان يتمتع بها رسول الإنسانية جميعا محمد صلى الله عليه وسلم ، ولكننا ننظر إلى القدوة الحسنة من خلال هذه الصفات التي كانت سببا مباشرا في دخول الكثيرين في دين الإسلام وأنها وسيلة إعلامية ذات أثر

(١) سورة الأحزاب : الآية (٢١) .

(٢) سورة القلم : الآية (٤) .

فعال . يقول الدكتور عبد اللطيف حمزه : (إن رجال الأعلام الذين يقومون بتزويد الناس بالحقائق السليمة والمعلومات الصحيحة ، ينظرون الى القدوة الحسنة على أنها وسيلة من وسائل الأعلام تغني في ذاتها عن بذل الجهود الإعلامية في سبيل دعوة ينشرونها أو فكرة يدعون اليها أو عقيدة ، أو سياسة جديدة ينشرونها ونحو ذلك وسنرى في تاريخ الأعلام في صور الإسلام أن الرسول صلى الله عليه وسلم ، وأن الصحابة رضوان الله عليهم كان من أنجح أساليبهم في نشر الدعوة الإسلامية أسلوب القدوة الحسنة .) (١)

نهج أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم منهجه القويم ، فكانوا القدوة الحسنة ، التي نجم عنها توسيع نطاق الدعوة وكثرة المعتنقين للإسلام إيماناً منهم بصدق هؤلاء الأصحاب الذين يتمتعون بالأمانة والأخلاص ونقا السرائر ورجاحة العقول . وقد نجح هؤلاء الأبرار الذين نهلوا من معين النبوة أشد النجاح في ممارسة الأساليب الإعلامية الإسلامية والتأثير في الناس ، فكانوا بذلك الترجمة الحية المتحركة للمبادئ والمثل التي جاءت بها العقيدة الإسلامية لأنهم آمنوا بها وفهموها وعملوا أبعادها الكبرى في الحياة ، فلم يبقوا عند حدود معرفتها وتعلمها والتعق في معناها بل خطوا بها أشواطاً بعيدة في مضمار التبليغ والتطبيق والأعلام ، فكانوا مشاعل الهداية التي أضأت للبشر سبيل الرشاد حيث حملوا دعوة الله سبحانه عبر الصحارى والقفار ونشروا رايتهما على كل أرض وطأتهما أقداسهم ، ودخل الناس بفضل من الله ثم بجهادهم وصدق دعوتهم ، وفي دين الله أفواجا ، كل ذلك كان بفضل من الله وتوفيق منه عز وجل وبفضل القيادة النبوية الكريمة ، تلك القدوة الحسنة التي صاغت أبنا هذه العقيدة الإسلامية صياغة فريدة وربتهم تربية متكاملة ، فكانوا صورة دعوتهم الحققة النيرة في فكرهم وسلوكهم وعملهم وجهادهم وإيجابيتهم .

وكانوا بهذه الصفات النبيلة يصدرون عن المدرسة النبوية سمو الغاية ونبل الوسيلة وقد توافرت فيهم شروط القدوة الحسنة التي أهلتهم تأهيلاً عالياً لحمل الرسالة ونشرها

في آفاق المعمورة وتحقق بفضل الله عز وجل بصدق إيمانهم وإخلاصهم لله ولرسوله ذلك المد الأسلامي الكبير الذي يعد بحق معجزة التاريخ الكبرى لأن غايتهم في ذلك كانت إعلالا كلمة الله سبحانه في آفاق المعمورة وإقامة شرعه في الأرض وإنفاذ أحكامه ووسيلتهم في ذلك هي تربية النفوس على طاعة الله عز وجل وتزكيتها بالعمل الصالح ، وأخذها الدائب بالإعداد والاستعداد ثم العمل المتواصل والكفاح المستمر لأزالة العوائق والعقبات والموانع التي تعيق حركة الأعلام الأسلامي بالدعوة الى الله سبحانه وتعالى .

والجد ير بالذكرا أن الارتفاع الى مستوى الرسالة والأخلاص في العمل ووضوح الغاية وسلامة القصد يزود المؤمن بطاقة عظيمة تحركه للقيام بالواجب ، وتهون عليه ما يلقي من المصاعب والمتاعب وقدوة المسلم في ذلك هو رسوله الكريم محمد صلى الله عليه وسلم ، فقد قام عليه الصلاة والسلام بأمر الله سبحانه بتبليغ دعوة الحق والصدع بها والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وتنفيذ أحكام الله بصدق وأمانه وإخلاص على أكمل الوجوه وأتمها ، لم يصرفه عن ذلك ما لقي من التحدي والمقاومة والأعراض ولم توهن السيوف التي سلت فسي وجهه ووجوه أصحابه الكرام من صدق عزيمته وقوة إرادته وكان ملاذ الدائم طاعة الله سبحانه وتعالى والعمل على ما يرضي الله عز وجل وإن سخط عليه الناس أو نالوه بسوء أو أذى .

يقول الدكتور عبد اللطيف حمزة : (ثم هكذا كان أصحابه رضوان الله عليهم يقتدون بالرسول صلى الله عليه وسلم في جميع أقوالهم وأفعالهم وحرركاتهم وسكناتهم ، فكتب الله لهم النجاح في إقامة هذا الدين ثم صيانته وتثبيتته بكل ما في وسعهم من عزم وإيمان وقوة ثم أتموا نشره بعد ذلك بطريقتين هما القدوة الحسنة من جهة والسلاح من جهة أخرى ، ويضيف الدكتور حمزة قائلا : لقد قلنا غير مرة أن محمدا عليه الصلاة والسلام ، نشر الدعوة وحارب من أجلها بسلاح الأخلاق قبل سلاح الجند والرمح ، ولولا حسن الأخلاق لمسا حظي النبي صلى الله عليه وسلم بكل هذا التقدير حتى من أعدائه وكثيرا ما سمعنا عن بعض اليهود والنصارى انهم دخلوا الإسلام لمجرد إقتناعهم بمسما أخلاقه وحسن معاملته وجميل

معاشرته ويلوغه في كل ذلك الدرجة العليا من درجات القدوة الحسنة
ثم يصيغ الدكتور حمزه قائلا : (إن القدوة الحسنة هي من أنجح الأساليب والوسائل
للإتصال بالناس . ومن ثم وجب على كل زعيم أو حاكم ، أو قائد أن يكون قدوة طيبة
لغيره متى أراد لنفسه النجاح في الفكرة أو العمل الذي جاء يدعو له .) (١)
وبهذا فإن القدوة الحسنة تعتبر من أهم الوسائل الإعلامية التي ساعدت في نشر
الدعوة الإسلامية في فترة ما بعد الحديبية .

مبحث خامس :

الكلمة الطيبة :

قال تعالى : ((ألم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها ، ويضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتذكرون)) (١)
إنه حين يكون الأعلام هو التعريف بالشيء وتوسيع نطاق الإحاطة به ، ونشر الرأي أو الخبر باستخدام أساليب الاقتناع والمنطق من أجل فكرة ما لترويجها واستعمال الكلام كوسيلة للأقناع ، فأنت لسان المرء يكون بعد فكره هو وسيلته الإعلامية ، وهذا ما كان المسلمون يتعاملون به لتنشيط إعلامهم وإيصال الحقيقة إلى الناس .

والجدير بالذكر أن الأعلام الإسلامي يعتمد في إيصال الحقيقة إلى الناس ، وعلى القول الصادق والعمل الصالح دون كذب ولا خداع ، لهذا فإن تأثير الكلمة الطيبة هو الذي ينير إلى الناس طريقهم ويهد بهم إلى الصراط المستقيم الذي أمرنا الله سبحانه باتباعه في إيصال الدعوة إلى الناس بالكلمة الطيبة والأسلوب الحسن ، فقال جل شأنه : ((ادعهم إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن)) (٢) ، ولقد أسمر الله سبحانه المؤمنين بالقول السديد ووعدهم بأن هذا القول السديد يكفر عنهم سيئاتهم ويغفر لهم ذنوبهم ، فقال عز وجل : ((يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا يغفر لكم ذنوبكم ويكفر عنكم سيئاتكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما .)) (٣)
وكما أمرنا الله سبحانه بالقول السديد فإنه حذرنا أيضا من القول الهدر الذي لا يرافقه عمل ، فقل جل وعلا : ((يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون .)) (٤)

ويبدو واضحا من خلال هذه الآيات الكريمات أن الأسلام قد وضع الأسس والقواعد الثابتة

(١) سورة إبراهيم الآيات : (٢٤ - ٢٥) .

(٢) سورة النحل الآية (١٢٥) .

(٣) سورة الأحزاب الآية (٧٠) .

(٤) سورة الصف الآيات : (٢ - ٣) .

لسلامة العملية الإعلامية التي تعتمد الكلمة الطيبة أساسا لها .

والجدير بالذكر أن الأعلام بشكل عام له صلة وثيقة بعلم دلالات الألفاظ ، وهذا دراسة دور الكلمة في التعبير يقول الدكتور عبد اللطيف حمزة : (إن الكلمة وهي أداة المعنى تعتبر أصغر وحدة من وحدات المعنى ، ومنها تتألف الوحدات الأخرى كالجملة والفقرة ، وإن من الكلمات ما قد اندثر ولم يعد له أثر ومن الكلمات ما استحدثت وأصبحت لها دلالة واضحة خاصة في أذهان القراء . فما هو تأثير الكلمة والكلام في تفكير الإنسان ؟ وما مدى كفاية الكلمات باعتبارها وسيلة من وسائل الأعلام ؟ وما أسباب التغيير الذي يطرأ أحيانا على معنى الكلمة الواحدة ؟ . وإن لذلك أسبابا لغوية وأخرى اجتماعية وتاريخية وكل هذه الأبحاث مما يؤلف قسما كبيرا من أقسام هذا العلم الذي هو علم الأعلام . (١)

ولا شك أن القوة الهائلة التي تتمتع بها الكلمة الإسلامية تعتبر أقوى سلاح في نشر الدعوة الإسلامية واستقطاب الناس إليها منذ فجر الدعوة الإسلامية ، وقد تنبهت قريش إلى هذه الخطوة فحاولت بكل ما تستطيع من قوة وقدرة إعلامية من تشكيل أكبر جهاز للتشويش على كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وذلك بأطلاق الشائعات الكاذبة بين الناس في مكة والبادية ، وأثناء مواسم الحج ضد النبي صلى الله عليه وسلم والقول بأنه ساحر ويفسق بين المرء وزوجه ، قال تعالى : ((وقال الذين كفروا لا تستمعوا لهذا القرآن ، وألغوا فيه لعلكم تغلبون)) (٢) ، وهذه الآية الكريمة تصف تشويش قريش على النبي صلى الله عليه وسلم . ولكن الكلمة الإسلامية بقيت توهي دورها بنجاح تام في الدعوة إلى الله سبحانه ، فقد ذكر ابن كثير ، وهو يتحدث عن قصة إسلام الطفيل بن عمرو الدوسي قال :

(وكان سيدا مطاعا في قومه وكان قد قدم مكة ، فاجتمع به أشراف قريش وحذروه من الرسول صلى الله عليه وسلم حتى لا يجتمع به ، أو يسمع كلامه ، قال : فوالله ما زالوا بهي حتى أجمعت أن لا أسمع منه شيئا ولا أكله حتى حشوت أذني حين غدوت إلى المسجد كرسفا (٣) فرقا ممن أن يهلفني شيء من قوله ، وأنا لا أريد أن أسمع . قال : فغدوت إلى المسجد فإذا برسول الله صلى الله عليه وسلم قائم يصلي عند الكعبة قال : فقامت منه قريبا ، فأبى الله

إلا أن يسمعني بعض قوله ، قال فسمعت كلاما حسنا ، قال : فقلت في نفسي واشكل أُمي
إني لرجل لميب شاعر ما يخفى علي الحسن من القبيح فما ينعني أن أسمع من هذا الرجل
ما يقول ، فأن كان الذي يأتي به حسنا قبلته ، وإن كان قبيحا تركته ، قال : فمكثت حتى
انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم الى بيته فتبعته حتى إذا دخل بيته دخلت عليه
فقلت يا محمد إن قومك قالوا لي كذا وكذا الذي قالوا ، قال : فوالله ما برحوا بـسي
يخوفوني أُمرك حتى سددت أني يكرسف لثلا أسمع قولك ، ثم أبى الله إلا أن يسمعني
قولك فسمعت قولا حسنا فاعرض علي أُمرك ، قال فعرض علي رسول الله صلى الله عليه وسلم
الأسلام وتلا علي القرآن فلا والله ما سمعت قولا قط أحسن منه ولا أمرا أعدل منه . (١)

ولا شك أن الكلمة الطيبة هي التي تكون كالشجرة الطيبة التي
أصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها لأنها تنفي رضى الله وطاقته .
من هذه القصة نرى كيف أن الدور الذي لعبته الكلمة الطيبة المومنة الصادقة في الدعوة
الى الله وفي نقل المعاني العظيمة والمدلولات النافعة بنجاح تام في ميدان العمل
الأعلامي الإسلامي .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " الكلمة الطيبة صدقة " (٢) ، ولا شك أن توصيل
الأعلام والدعوة بها يتم بأسلوب الحكمة والموعظة الحسنة .

يقول محمد كمال الدين إمام : (فالكلمة في الأعلام الإسلامي ينبغي أن تكون
قادرة على التوصيل الصحيح ، فلا تنوّ في حمل معانيها وأن يكون اختيارها مراعى فيه
الأسلوب الإسلامي في الدعوة والأعلام وهو أسلوب ينأى عن الكلمة النابية واللفظ
الرخيصة واللغة الحادة أو المبتذلة المنافية للذوق السليم .) (٣)

ولا شك أن اللسان وهو الجهاز الأعلامي المركزي لدى الإنسان فإن الأسلام يضبط حدوده
لدى هذا الإنسان ويعوده على الالتزام بالجد وقول الحق والابتعاد عن الفحش بالكلام ،
وهذه الضوابط هي بدون شك ضوابط الجهاز الأعلامي التي حددها الأسلام .

(١) السيرة النبوية لابن كثير ج ٢ ص ٢٢ - ٢٣ (دار الفكر) .
(٢) البخاري باب الأدب ج ٢ ص ٢٩ دار الفكر ، ومسلم باب الزكاة من حديث أبي هريرة

٤م ج ٢ ص ٩٥ شرح النووي (دار الفكر) .

(٣) محمد كمال الدين إمام : المرجع السابق ص ١٣٠ .

يقول الأمام على رضى الله عنه : (ياياكم وتهزيع الأخلاق وتصريفها واجعلوا اللسان واحدا وليخزن الرجل لسانه ، فأن هذا اللسان جموح بصاحبه والله ما أرى عبدا يتقي تقوى تنفعه حتى يخزن لسانه . وإن لسان المؤمن من وراء قلبه ، وإن قلب المنافق من وراء لسانه ، لأن المؤمن إذا أراد أن يتكلم بكلام تدبره في نفسه ، فأن كان خسيرا أبداء ، وأن كان شرا وارا . وإن المنافق يتكلم بما أتى على لسانه لا يدري ماذا له وماذا عليه .) (١)

والأعلام بالكلمة المنطوقة هو اسلوب من أنجح اساليب الاتصال الشخصى الشفهي بدون شك في مجال الأعلام ، وإذا ما توفرت له المقومات المطلوبة ، وصاحبه الأنفعالات المعبرة الصادقة . وهذا أفلا نتاستطيع القول أن الكلمة المنطوقة تحمل من الحرارة والعاطفة ما يجعلها من أكثر الأساليب الإعلامية نجاحا . تقول د . جيهان رشتي (لقد أثر اسلوب الاتصال على الناس وجعلهم عاطفيين أكثر ، ذلك لأن الكلمة المنطوقة عاطفية أكثر من الكلمة المكتوبة . فهي تحمل عاطفة بالإضافة الى المعنى . فكانت طريقة تنعيم الكلمات تنقل الغضب أو الأسى أو الموافقة أو الرعب أو السرور أو التهكم ، الخ . . وكان رد فعل الرجل القبلى - الذى يعتمد على حاسة الاستماع - على المعلومات يتسم بقدر أكبر من العاطفة .) (٢)

وكما كان النبي صلى الله عليه وسلم أحسن الناس خلقا ، فإنه كان أيضا أحسنهم كلاما وحديثا فقد كان عليه الصلاة والسلام يعلم أصحابه الكرام أسلوب الكلام الطيب ورقلا كان أحد من الناس يجلس في مجلسه إلا ويؤمن برسالته قبل أن ينصرف عنه ، فقد صح عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : " أوتيت جوامع الكلم " (٣) ، وفي لفظ آخر " أوتيت جوامع الكلم وخواتمه " .

ولقد كان نجاح الكلمة الإسلامية ذات الأسلوب المؤثر في نشر العقيدة الإسلامية منها دالة الأسلام وفي تحقيق الرؤية الفكرية المتكاملة التي استوعبت الاختلافات الطبقية

(١) انظر نهج البلاغة ج ٢ ص ١١٤-١١٤ . هذا الكتاب منسوب للأمام على رضى الله عنه .

(٢) الدكتور جيهان رشتي : المرجع السابق ص ٣٧٥ .

(٣) ذكره السخاوى في المقاصد الحسنة وقال هو حديث مرسل ص ١٣٢ - ١٣٣ دار

والعرقية ، وحققت الأخوة الإسلامية من فوق كل الحدود والأعتبارات القديمة ، مثلًا جديرًا بالدراسة والبحث والأقتداء به في كل زمان ومكان .

وعلى هذا الأساس فأنا من الحق أن نقول أن الكلمة الطيبة هي من أقوى وأفضل الوسائل الإعلامية وأنجحها في فن الأتقان والاتصال الشفهي بالناس وإنها التعبير الموضوعي لعقيدة الجماعة ولروحها وكيانها واتجاهاتها جميعا وذلك في إضافة القلوب الغالة ، طنارة العقول الحائرة التي غشيتها الحباله ، وأنه وكما عني رسول الله صلى الله عليه وسلم في بناء رجل الأعلام المسلم ، فإنه قام أيضا ببناء القاعدة الإعلامية المثلى في مخاطبة الناس إذ قال في الحديث الشريف : " أمرت أن أنزل الناس منازلهم وأن أخطب الناس على قدر عقولهم " (١) . وهذا يعني أسلوب الحكمة والموعظة الحسنة التي تتميز به الكلمة الإسلامية التي كانت تقوم مقام جميع وسائل الأعلام المتنوعة في ذلك الزمن وقد نجحت هذه الكلمة في استخدام الوسائل والأساليب الإعلامية جميعها ، كوسيلة الاتصال الشفوي الشخصي والجمعي ، لأن هذه الوسائل وغيرها من الوسائل الإعلامية الأخرى كالشعر والخطبة والنداء والقصر والمحاضرة والندوة تقوم في بنائها الأساسي على الكلمة ودورها الإيجابي الفعال . ولقد ميز الإسلام الكلمة بالصدق وجعل لها الضابط الأخلاقي كي تتلمس سبيلها الى قلوب الناس بالحكمة والموعظة الحسنة ، والجدال بالحسنى .

والجد بربالذكر أن علماء الأعلام يقسمون الكلمة الى ثلاثة أقسام هي : الكلمة المنطوقية والكلمة المسموعة ، والكلمة المكتوبة . وهذه الأوجه الثلاثة للكلمة الإسلامية قد استخدمها رسول الله صلى الله عليه وسلم في نشر دعوته ، وقد حقق هذا الدور نجاحا هائلا في جميع مراحل الدعوة الإسلامية وخاصة في الفترة الإعلامية التي أعقبت صلح الحديبية ، تلك الفترة التي تميزت بالنشاط الإعلامي الشفهي .

(١) ذكره السخاوي في المقاصد الحسنة ، وقال هو من حديث ابن عباس وسنده ضعيف جدا ص ٩٢ - ٩٣ - المرجع السابق .

الشعر :

لقد كان الشعر واحدا من أبرز وسائل الاتصال بين العرب قبل الإسلام ، وكانت القصيدة الشعرية تلعب دورا هاما في مجال الأعلام بين القبائل العربية ، أشبه ما يكون بالصحف السيارة في عصرنا الحاضر . ولكن هذه الوسيلة الإعلامية كانت تتميز بأنها تنطوى تحت عادات وأخلاق الجاهلية التي كانت تهتم بالحسب والنسب والعصبية والتفاخر بهذه العادات والمجون وغير ذلك من أغراض الشعر المختلفة التي كانت معروفة في الجاهلية قبل الإسلام . يقول الدكتور عبد اللطيف حمزة : (الحق أن الشعر في العصر الجاهلي كاد يكون هو الوسيلة الوحيدة من وسائل الأعلام والدعاية ، والحق إنه لم توجد الى جانب هذه الوسيلة غير وسيلة الخطابة ، ولكن المنزلة الأولى في الجاهلية كانت للشعر دائما ، وفي بيئة لا تعرف القراءة والكتابة إلا قليلون يمكنون معدون على الأصابع ، كان لابد للشعر أولا ثم للخطابة أن يقوموا بوظيفة الأعلام ووظيفة الدعاية للقبيلة . ولعل أكبر دليل على أهمية القصيدة الشعرية واهتمام العرب بها هو ما رواه المؤرخون عن العرب من أنهم كانوا يختارون أجود القصائد يكتبونها على القماش بماء الذهب ، وكانوا يعلقونها على أستار الكعبة أو في بيوت الملوك . ومن أشهر هذه القصائد ما سمي بالمعلقات السبع أو العشر .) (١)

هذا وبالنظر الى أهمية هذه الوسيلة الإعلامية في ميدان الأعلام والاتصال بالناس ، وما لها من قدرة عظيمة في التأثير في النفوس ونقل الأفكار وتحويل الكوأن الداخلية في النفس عن طريق تفاعل بعض الأبيات والقصائد الشعرية الجميلة ذات الأيقاع الهالغ ، التي اعتاد العرب على سماعها وترديدها ، لذا لم يجد الإسلام بدا من الاستفادة من هذه الوسيلة الإعلامية الهامة وتسخيرها لخدمة هذا الدين ، وذلك بأن جعل منها وسيلة إعلامية نافعة لخدمة أغراض الدعوة الإسلامية ، ناطقة بالحق ومدافعة عنه عن طريق الأغراض الشعرية المشروعة في الإسلام كالأشعار الحماسية التي تقال قبل الدخول في المعركة للتأثير على نفسية العدو ورفع معنويات المسلمين ، ولإثارة النخوة في نفوسهم ومناشدتهم بالصبر

(١) الدكتور عبد اللطيف حمزة : الأعلام في صدر الإسلام ص ٢٤ - ٢٥ .

والثبات عند لقاء العدو وتذكيرهم بالجنة ونعيمها ، وكذلك أشعار الرثاء التي كسان يقولها الشعراء في رثاء موتاهم وموتى المسلمين . أو أشعار المديح لدين الإسلام ولنبي الإسلام . وكذلك في الدفاع عن هذا الدين العظيم وتجيده بنفس هذه الوسيلة الإعلامية التي كانت تعد من أنجح وسائل الأعلام والاتصال الشفهي في العصر الجاهلي . ولما كانت هذه الوسيلة الإعلامية قد استخدمت في مهاجمة الإسلام ونسبي الإسلام والنيل من المسلمين والتشهير بهم ، فكان لا بد من استخدام القصيدة الشعرية للاستفادة منها في خدمة أهداف الأعلام الإسلامي بالطرق التي شرعها الإسلام .

يقول الدكتور محي الدين عبد الحميد : (وحين جاء الإسلام استفاد من القدرات الإعلامية للقصيدة الشعرية ، ولم يلفظ الإسلام هذه الوسيلة الإعلامية الهامة ، ولكن الداعية الأول لهذا الدين محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم ، أدرك أهمية هذه الوسيلة التي يستخدمها أعداؤه يهاجمون بها دعوته ويوجهون له من خلالها الاتهامات والدعائى الباطلة ، فما كان منه إلا أن جعل القصيدة الشعرية ، واحدة من الوسائل الفعالة لحمل رسالة الإسلام . (١)

وبالنظر إلى أن نبي الإسلام صلى الله عليه وسلم لم يرد عنه أنه قال بيتا واحدا من الشعر طوال حياته ، قال تعالى : ((وما علمناه الشعر وما ينبغي له)) (٢) ، ولكنك أي النبي صلى الله عليه وسلم لم يهمل الشعر كوسيلة مشروعة من وسائل الدعوة الإسلامية مع الأخذ بالأعتبار أن الإسلام لم يعط لهذه الوسيلة الإعلامية زخما كبيرا كما كان عليه الحال قبل الإسلام ، بل قام بتحديد أغراضها وأهدافها . وكذلك فإن النبي صلى الله عليه وسلم لم يمنع الشعراء ، وهو يعلم جيدا أن لهؤلاء الشعراء مكانة كبيرة في نفوس العرب منذ الجاهلية . هو ذلك هذه الحقيقة الدكتور عبد اللطيف حمزة بقوله : (وعند ظهور الإسلام كان لا بد من أن يصبح للأعلام صورا جديدة لم يعرفها العرب من قبل ، وصورا قديمة احتفظ بها الإسلام وكانت معروفة عند العرب من قبل ، فأما الصور القديمة الستة

(١) الدكتور محي الدين عبد الحلليم : المرجع السابق ص ١٤٨ .

(٢) سورة من الآية (٦٩) .

باحتفاظ بها الإسلام فهي القصيدة الشعرية ، ولأن لم يصبح لها في الإسلام شأن كبير كما كان لها هذا الشأن في الجاهلية . (١)

والجد ير بالذکر أن القرآن الكريم قد تطرق بالحدیث عن الشعراء ، في سورة الشعراء ووصفهم بالغاوين الذين هم في كل واد يهيمون ، وأنهم يقولون ما لا يفعلون ، ولكنه عز وجل قد استثنى منهم الشعراء المؤمنين الذين يقولون الحق والصدق ويدافعون عن الخير والفضيلة ، وهذا يقول الله عز وجل : ((والشعراء يتبعهم الغاؤون ، ألم تر أنهم في كل واد يهيمون ، وأنهم يقولون ما لا يفعلون ، إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا وانتصروا من بعد ما ظلموا وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون)) (٢) ولقد كان للإسلام عدد من الشعراء الأفاضل برز منهم حسان بن ثابت ، وعبد الله بن رواحة ، وغيرهم ممن كانوا يدافعون عن دعوة الحق وعن نبي الإسلام صلى الله عليه وسلم ، عن طريق الكلام الطيب الموزون والمعنى ، ذي الأيقاع الموثر في النفوس ، ولكن أغراض الشعر في الإسلام لم تتعدد أكثر من ثلاثة أغراض :

١- الشعر الحماسي .

٢- شعر الرثاء .

٣- شعر المديح للرسول صلى الله عليه وسلم ، وللدعوة الإسلامية . أوالدفاع عن الإسلام .

ولا بأس من أن نذكر نماذج لبعض هذه الأشعار في هذا البحث :

١- نموذج الشعر الحماسي الإسلامي ، الذي يقال عادة قبل الدخول في المصارعة للتأثير على نفسية الخصم . فقد ذكر ابن كثير في سيرته أن رسول الله صلى الله عليه وسلم عندما دعا عليا ابن أبي طالب رضي الله عنه وأعطاه الراية وأمره بأن يأتي خيبر قال : (فأتى علي بن أبي طالب مدينة خيبر وخرج مرحبا صاحب الحصن وعليه مغفر يمانى وحجر قد ثقبه مثل البهضة على رأسه وهو يرتجز ويقول :

شاك سلاحي بطل مجرب

قد علمت خيبر أني مرحب

وأحججت من صولة المغلسب

إذا اللبوث أقبلت تلهمب

فقال على رضى الله عنه :

أنا الذى سميتى أمى حيدره كليت غابات شد يد القسورة

أكيلكم بالصاع كيل السندرة

قال فاختلفا في ضربتين ، فهدره على بضربة فقد الحجر والمغفر ورأسه وقع في الأرض (١)

هذا ونقل ابن كثير في سيرته عن ابن اسحاق ، قال : (حدثني يحيى بن عباد بن

عبد الله بن الزبير عن أبيه عباد ، قال : حدثني أحد بني مره بن

عوف ، وكان في تلك الغزوة غزوة موته قال : والله لكأنني أنظر الى جعفر حين اقتحم عن

فرسه لشفقاً ثم عقرها ثم قاتل القوم حتى قتل وهو يقول :

يا حبذا الجنة واقتربها طيبه وبارد شرابها

والروم روم قد دنا عذابها (كافرة بعيدة أنسابها)

عليه إن لاقيتها ضاربها .

٢- وهذا نموذج من الشعر الذى كان يدور على ألسنة الناس وهو في مدح رسول الله

صلى الله عليه وسلم ، عندما خرج يودع الجيش الذى ذهب الى موته ، للشاعر المسلم

عبد الله بن رواحه ، قال ابن اسحاق : (ثم أن القوم تهبأوا للخروج ، فأثنى عبد الله بن

رواحه رسول الله صلى الله عليه وسلم فودعه ثم قال :

فثبت الله ما آتاك من حسن تثبيت موسى ونهرا كالذى نصروا

إني تفرست فيك الخير نافلة الله يعلم أني ثابت البصر

أنت الرسول فمن يحرم نوافله والوجه منه فقد أزرى به القدر . (٢)

٣- وهذا نموذج من شعر الرثاء الذى كان يتداوله الناس أيضا : قال حسان بن

ثابت يرثي بها جعفر بن أبي طالب رضى الله عنه ، وقد جاء ذكره في كتاب السيرة النبوية

لابن كثير أيضا :

(ولقد بكيت وعز مهلك جعفر حب النبي على البرية كلها

ولقد جزعت وقلت حين نُعميت لي من اللجلاج لى العقاب وظلمها

بالبهض سل من أعمادها ضربا وانها لال الرياح وعلمها

بعد ابن فاطمة المبارك جعفر
خير البرية كلها وأجلّها (١)

ومن هنا فإننا نستطيع القول بأن القصيدة الشعرية الإسلامية قد ساهمت بقدر طيب بعملية الاتصال ونقل الأفكار الإسلامية والدفاع عن الإسلام وتوجيه اهتمامات الناس نحو هذا الدين العظيم ، وذلك بوضع المعاني الجميلة في دعاة جميلة وتقديرها إلى الناس بصورتها الزاهية الجميلة ، وهذا يعتبر من أساليب الحكمة والموعظة الحسنة التي أمرنا الله سبحانه بالدعوة إليه بها .

(١) ابن كثير السيرة النبوية ج ٣ ص ٢٦٦ .

مبحث خامس:

حركة الهمس : الهمس هو الحديث الخفي .

لقد نشطت حركة الهمس بين الناس في الجزيرة العربية ، وخاصة في أعقاب صلح
الحدبية ذلك الصلح الذي وضع حدا لعهد طويل ومرير من الصراع الدامي بين
المسلمين من جهة وبين أعظم قوة في الجزيرة العربية وهي قريش من جهة أخرى ، وما
يذكر أن أخبار هذا الصراع كانت تشغل المنطقة بأكملها في مختلف أنحاء الجزيرة
العربية والأقطار المجاورة لها ، والتي يرتبط معها سكان هذه الجزيرة العربية بالنواحي
الاقتصادية والاجتماعية كالهمس والشام والحبشه .

ولأنه من الطبيعي والحالة هذه أن يظهر مدى تلك الفترة - التي سكنت فيها
السيوف وحل محلها الألسن - على شكل حركة تهامس بين الناس عما جرى ويجرى من
أحداث في هذه المنطقة ، وخاصة فيما يدور الحديث عنه بين الناس من أحداث الدين
الجديد الذي اتخذ من المدينة المنورة مقراً له ومركزاً لنشاطاته المختلفة ، مما شكل
عاملاً قوياً في إنتشار الإسلام عن طريق حركة الهمس هذه في فترة ما بعد الحدبية .

يقول الدكتور عبد اللطيف حمزة : (يُعتبر التهامس بين الناس في كل عصر من العصور
عاملاً قوياً من العوامل التي تؤثر في " الرأي العام " ، ولذلك لم يغفل عنه حاكم من الحكام
في الأزمنة القديمة والحديثة على السواء ، وما لا شك فيه أن سيرة الرسول صلى الله عليه
وسلم وعظمته الخلقية ، وكمال النفس وغير ذلك من الصفات التي امتاز بها عن سائر البشر
والتي عبر عنها القرآن الكريم بقوله ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَى خَلْقٍ عَظِيمٍ ﴾^(١) لا شك أن هذه السيرة
النبوية العطرة ، كانت مثار دهشة كبيرة من جميع العرب في مكة والمدينة المنورة وفي غيرها
من أرجاء شبه الجزيرة العربية . وكان حديث الناس هذا عن الصفات التي اكتملت للنبي
صلى الله عليه وسلم يدور إما جهاراً أو عن طريق الهمس ، وكان هذا التحدث أو التهامس
في ذاته عاملاً قوياً من عوامل إنتشار الإسلام ، وقد وجدنا مصداق ذلك في حادثتين بنوع
خاص هما : ١- حادثة الهجرة . ٢- صلح الحدبية الذي أعطى فرصة أخرى لهذا

التهاوس الذى كان له أبعاد الأثر في نشر العقيدة الإسلامية . (١)

والجدير بالذكر أن المجتمعات القديمة كانت تمارس الأعلام بأساليب البدايمية والبسيطة بطريقة الفطرة ، وذلك بتبادل الأخبار ونقلها بطريقة الهمس أو الكلام العادى الشفوى الذى يتأثر به الإنسان حول ما يدور في محيطه من أحداث . يقول الدكتور حمزة : (الأعلام الفطرى ، هو الذى تتميز به الجماعات البدائية كالعربي فسي الصحراء يعرف أخبار القبائل القريبة من قبيلته ، وعادات وتقاليده هذه القبائل ونوع هذه العلاقات التى بينها وبين القبائل الأخرى بمعلوماته التى حصل عليها بطريقة الفطرة .) (٢)

ولما كان من البديهي أن حياة الإنسان لا يمكن أن تستقيم دون أن يتصل بغيره من الناس ، لذلك فقد قيل عن الإنسان أنه اجتماعي بالطبع ، فهو يندمج بعملية الاتصال هذه منذ ولادته ، وهذا الاتصال هو عنصر هام للحياة الاجتماعية ، وما أن الاتصال له عدة أساليب ، فإن حركة الهمس هذه تعتبر أحد هذه الأساليب للاتصال الشفهي في تشكيل الرأى العام . يقول الدكتور إبراهيم إمام : (لقد رأينا أن الاتصال بال جماهير قوة تنظيمية كبيرة تدل على تعبئة الجماعات وحشد ها حول أفكار معينة ، حتى ولو كانت هذه الجماهير متباعدة يفصلها مسافات طويلة وحواضر متعددة ، ويلعب الاتصال دورا خطيرا في تشكيل الرأى العام ، سواء عن طريق الإعلام أو عن طريق الاتصال الشخصى المباشر أو عن طريق حملات الهمس والشائعات .) (٣)

والجدير بالذكر أن الصلة الروحية القوية التى كانت تربط المسلمين الذين يعيشون في مكة المكرمة تحت القصر القرشي ، بإخوانهم المسلمين في المدينة المنورة ومحاولته معرفة أحوالهم وأخبارهم وظروفهم وما ينتزل به الوحي من تشريعات جديدة من جهة ، وما يرتبط به المسلمون في المدينة المنورة كذلك بحارهم وأقربائهم في قرى من جهة أخرى ، قد نتج عنها نشاط إعلامي عن طريق حركة الهمس بين الناس ، بين مكة والمدينة

(١) الدكتور عبد اللطيف حمزة : الأعلام في صدر الإسلام ص ١٥٩ - ١٦٠ .

(٢) الدكتور عبد اللطيف حمزة : الأعلام له تاريخه ومذاهبه ص ٣١ .

(٣) الدكتور إبراهيم إمام : المرجع السابق ص ١٥٨ .

الأمر الذي أدى الى تناقل الأخبار بين الطرفين بصورة دائمة ومستمرة . وهذا ما يسميه الإعلاميون بالقرب الزمني والنفسي للخبر . يقول الدكتور إبراهيم إمام : (يستخدم العربي القرب الزمني والمكاني والنفسي في قياس خصائص معينة للخبر ، ولكن بعد أن يعترف بقيمة الخبر فعلا ، وذلك لتقرير هل مروج ذلك الخبر أو لا يروج ، وهل يستحق الخبر عنا نقص أطرافه أم لا . والقرب النفسي يحتل أهمية كبيرة ، فيما يحدث لطلابنا في الخارج ، فهو قريب إلى نفوسنا ولذلك يظفر بالنشر والإهتمام بها بعدد المسافات) (١) وتأسيسا على هذا الفهم ، فإن هذا القرب الزمني والنفسي للخبر قد ساعد في إيجاد استراتيجية هامة جدا لحركة الهمس أن تنتعش في تلك الفترة ، وذلك بتبادل الأخبار بين مكة والمدينة ، وما مجموعة المحاربين المسلمين الذين فروا من سجن قريش الرهيب وتجمعوا في منطقة العيص (٢) على ساحل البحر الأحمر ، بقيادة البطل المسلم أبو بصير ، لآلة نتيجة للعبارة الهامة التي قالها رسول الله صلى الله عليه وسلم في المدينة بحق أبي بصير ، وهي : (ويل أمه محش حرب لو كان معه رجال) (٣) . هذه العبارة التي حملتها الأقواء وتناقلتها الألسن من شخص لآخر الى أن استقرت في مسامع المسلمين المستضعفين في مكة المكرمة ، مما أدى الى هروبهم من مكة واحدا بعد الآخر والتحاقهم بأبي بصير . قال الواقدي : (بلغ المسلمين الذين حبسوا بمكة قول النبي صلى الله عليه وسلم لأبي بصير " ويل أمه محش حرب لو كان معه رجال " فجعلوا يتسللون الى أبي بصير) . (٤)

وكان النبي صلى الله عليه وسلم قد قال هذه العبارة بحق أبي بصير عندما فر من سجنه الرهيب بمكة المكرمة والتحق بأخوانه المسلمين في المدينة المنورة ، فأرسلت قريش فسي طلبه برجلين قدما الى المدينة المنورة ، فما كان من رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا أن سلم أبا بصير الى الرجلين ، وذلك وفاً من رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعهد وتنفيذا لأحد بنود صلح الحديبية . هذا ويعد أن إقتاد الرجلان أبا بصير في طريقهما إلى

(١) الدكتور إبراهيم إمام : دراسات في الفن الصحفي ص ١١٢ .

(٢) العيص هي منطقة على ساحل البحر الأحمر بين مكة والمدينة . ابن هشام ج ٣ ص ٢٣ والواقدي ص ٦٦ .

(٣) ذكر ابن كثير في السيرة قوله : (مسعر حرب لو كان معه رجال) ج ٣ ص ٣٣٥ . وجاء

في السيرة النبوية لابن هشام ج ٣ ص ٢٣٣ قوله : ويل أمه محش لو كان معه رجال . وكذا

عند الواقدي ج ٢ ص ٦٢٧ . المغازي .

مكة ، تمكن أبو بصير من قتل أحد الرجلين واللاحق بالآخر الذي عاد الى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في حالة فزع شديد خوفا من أن يفتك به البطل المسلم أبو بصير ، كما فتك بزميله . وما أن وقع عليه بصر رسول الله صلى الله عليه وسلم حسنتي استشف واقعه النفسي ، فقال : (إن هذا الرجل قد رأى فزعا) ، وانتهى الى مجلس النبي صلى الله عليه وسلم من المسجد وهو يلهث ، فسأله النبي بقوله : ويحك ، ما لك ! قال : قتل صاحبكم صاحبي ثم جعل يشرح قوله في كلمات مزرقة . قال : لقد انتهينا الى ذي الحليفة وجلسنا نستريح في ظل أحد الجدران ، غظر أبو بصير الى سيف صاحبي فقال : أصارم سيفك هذا يا أخا بني عامر ؟ ، فقال نعم . قال : أرنى أنظر اليه فأن ن له ، فإذا هو يستله ويخطف به رأسه !

وفي هذه الأثناء أطل أبو بصير (١) من مدخل المسجد متوشحا بذلك السيف ، حتى وقف على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : (يا رسول الله . . وقت ذمتك . . وأدى الله عنك ، أسلمتني بيد القوم ، وقد امتنعت بديني أن افتن فيه أو يهتبي بي . . .) واستحوذت الفرحة على نفوس المؤمنين ، ولم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم أبسرهم اعجابا بعمل أبي بصير ، بيد أنه لا يملك إلا أن يستمر في ايفائه بالعهد ، كيف لا وهو سيد الأنبياء في البشر جميعا ، ولكنه اكتفى من الكلام بهذه العبارة العميقة الموحية : (ويل أمه . . . محش حرب . . . لو كان معه رجال) (٢)

(١) قال ابن الأثير في أسد الغابة ج ٣ ص ٥٣٦ نشر المكتبة الإسلامية : هو عتبة بن أسيد بن جارية بن أسيد بن عبد الله بن سلمة بن المغيرة بن ثقيف الشقيفي وكنيته أبو بصير وهو مشهور بكنيته وهو الذي هرب من الكفار في هدنة الحديبية فطلبته قريش ليروه رسول الله صلى الله عليه وسلم مع رجلين من الكفار فقتل أبو بصير احدهما وهرب الآخر وأخيرا استقر أبو بصير في منطقة سيف البحر واجتمع اليه الفارون بد منهم من قريش . وتوفي أبو بصير في الوقت الذي أمر النبي صلى الله عليه وسلم العصبة المؤمنة من هؤلاء الثوار بالعودة الى المدينة . أخرجه الثلاثة .

(٢) انظر مغازي الواقدي ج ٢ ص ٦٢٦ ، وابن هشام السيرة النبوية ج ٣ ص ٣٧٣ .

ومرة أخرى خضع أبو بصير لقرار رسوله الكريم فغادر المدينة المنورة واتجه الى ساحل البحر الأحمر حيث اتخذ مقره في العيص ، وهي منطقة بعيدة عن المدينة المنورة وعن قريش أيضا . وكانت عبارة رسول الله صلى الله عليه وسلم في وصف شجاعته قد أخذت سهيلها على الأمانة حتى انتهت الى أسماع المسلمين المحتبسين في قلب مكة ، فلم تلبث أن حركت عزائهم ، ووجهت أفكارهم وتربصوا يرايون الغفلات ، فكلما أتيت لأحد هم فرصة ، تسلل باتجاه ذي العروة ليلحق بالهبل الرائد ابي بصير . وهكذا لم تنضى سوى فترة يسيرة حتى تجمع ما يقارب من سبعين رجلا على رأسهم أسير يوم الحديبية أبو جندل بن سهيل بن عمرو خطيب قريش ورئيس وفد مفاوضيها في هدنة الحديبية .

وتسكت العصاة المؤمنة من السهطرة على طريق قريش الذي تربه قوافلها وسافروها في تجارتهم بين الشام ومكة فكانوا لا يظفرون بأحد منهم إلا قتلوه ولا تربهم قافلة إلا هاجموها واستولوا عليها وقد أثار هذا الأمر أهل مكة الذين يعتمدون على التجارة اعتمادا كليا في الوقت الذي لم يكن باستطاعتهم القضاء على هؤلاء الثوار الذين يعتمدون في حربهم على الغارات التي أشبه ما تكون بحرب العصابات . وقد اتخذت هذه العصابات من الجبال والأحراش مقرا لها في هجماتها القوية والمفاجئة التي تضرب وتهرب ولا تستقر في مكان أو زمان معينين ، فهي تظهر من هنا حيناً ومن هناك حيناً آخر فلا تدري القوافل التجارية كيف تتجنب المغيرين عليها ولا يعلم المسافرون من أين ينقض عليهم الهلاء المبين .

لقد عجزت قوة قريش وعنجهيتها عن درء هذا الخطر المحدق بها ، وكان لا بد لقادتها من البحث عن مخرج من هذه الورطة ، فلم يجد زعما قريش بدا من أن يلجأوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يسألوه : الله وصلة الرحم بأن يقبل بالفا الشرط الذي يقضي بعدم قبول المسلمين الفارين بد ينهم ، من إتفاقية الحديبية ، ذلك الشرط الذي إعتبرته قريش في بداية الأمر نصرا ساحقا لها ، وقد إعتبره جماعة من المسلمين أيضا إجحافا بحقهم . قال تعالى : ((وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون)) (١) .

ويصل موفد قريش الى المدينة المنورة ويقف أمام رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو يحمل معه إستعطاف قريش الذي يعتبر بمثابة إعتراف كامل بذلة الشرك والمشركين أمام عزة الله ورسوله ، ويضعف قريش أمام قوة الإسلام رافعين الرجا* وسائلين الرحم بأن يلغي ذلك الشرط الجائر ، وأن يؤوى اليه أولئك الثائرين الأبطال ويكف عنها أذاهم . ومسا كان من رسول الله صلى الله عليه وسلم - الذي بعثه الله هاديا الى الخير وواصل للرحم باراً رحيمًا عفوا عند المقدرة - إلا أن يقبل استعطاف قريش ، فبعث الى العصابة المؤمنة بأن توقف عملياتها الحربية ضد قريش وأن يلتحقوا بإخوانهم المسلمين في المدينة المنورة . قال تعالى : ((إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد)) (١) ومنذ ذلك الوقت أدرك المشركون ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يبعثه الله لكي يقطع صلة الرحم ولا ليشير الشقاق والعداوة والبهض* بين الناس ، وإنا بعثه الله هاديا الى الخير باراً رحيمًا ، قال تعالى : ((وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين .)) (٢) وهذه النتيجة المظفرة فأنه يمكننا القول بأن حركة الهمس التي بلغت ذروة نشاطها الإعلامي ، في فترة ما بعد الحديبية ، قد ساهمت في إنعاش حركة الاتصال الشفهي مما أدى إلى زيادة عدد المسلمين ، وبالتالي زيادة قوتهم كما شاهدنا في حادثة أبي بصير الأمر الذي ساعد في فتح مكة فيما بعد . يقول الدكتور حمزة : (تناقل الناس في مكة وفي القبائل المجاورة كل هذه الأحاديث وتهامسوا فيها فيما بينهم حول عظمة الرسول صلى الله عليه وسلم وخطورة الرسالة الإسلامية الإلهية التي بعث بها هذا الرسول ، وكان لهذا التهامس الهادئ الجميل أثره الواضح الجلي في نجاح الدعوة الإسلامية وزيادة عدد المسلمين حتى خرج الى مكة بعد عام ونصف "عام الفتح" مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يقرب من عشرة أمثال العدد الذي كان معه في صلح الحديبية ، وهذا كله ما عبرت عنه الآية القرآنية ((إنا فتحنا لك فتحا مبينا)) (٣) . (٤)

(١) سورة غافر الآية : (٥١) . (٢) سورة الأنبياء الآية (١٠٧) .

(٣) سورة الفتح الآية : (١) .

(٤) د . عبد اللطيف حمزة : الإعلام في صدر الإسلام ص ١٦٣ .

مبحث سابق :

وسائل الاتصال الجمعي الميدانية : الأذان :

يعتبر الأذان أحد الوسائل الإعلامية الشفوية التي ساهمت في عملية تبليغ الدعوة الإسلامية في فترة ما بعد الحديبية ، ليس فقط في المدينة المنورة ، وإنما في المناطق التي انتقل إليها الإسلام خارج المدينة المنورة كالقري والبوادي والأرياف .

والأذان معناه اللغوي الإعلام ورفع الصوت بالمناداة . ولقد ورد ذكره في القرآن الكريم بهذا المعنى ، قال تعالى مخاطباً سيدنا إبراهيم : ((وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالاً وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق .)) (١) . وقال جل شأنه : ((فلما جهزهم بجهازهم ، جعل السقاية في رحل أخيه ثم أذن مؤذن أيتها العير إنكم لسارقون)) (٢) .

أما المعنى الاصطلاحي للأذان فهو النداء للصلاة . وقد جاء ذكره في القرآن الكريم أيضاً بهذا المعنى ، قال تعالى : ((يا أيها الذين آمنوا إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله وذروا البيع ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون .)) (٣) فالأذان إذن هو إعلام شفهي يقوم على المناادة للصلاة ولهو يبدأ بالتكبير ثم الشهادتين ، ثم النداء بحى على الصلاة والترغيب بها وينتهي هذا الأذان بكلمة لا إله إلا الله .

والحدير بالذكر أن الأذان يعتمد على عنصر التكرار في تشييته لهذه المعاني العظيمة وفي هذا التكرار تأكيد لما يحمله الأذان من مضامين معينة إلى عقول وقلوب السامعين وأهم هذه المعاني هما الشهادتان ، وهما الركن الأول من أركان هذا الدين ، وكذلك لفت النظر وجلب الانتباه لأهمية التوحيد الذي يتميز بها هذا الدين وتقوم عليها دعائمه ،

(١) سورة الحج الآية : (٢٧) .

(٢) سورة يوسف الآية : (٧٠) .

(٣) سورة الجمعة الآية : (٩) .

فإذا كانت هذه المعاني التعليمية العظيمة تتكرر عدة مرات في الأذان الواحد ، فإن الأذان نفسه يتكرر خمس مرات في اليوم والليلة ، الأمر الذي يجعل هذا التكرار مألوقا ومقبولا في نفوس السامعين . تقول الدكتور جيهان رشتي : (يؤمن عدد كبير من علماء الإتصال بأن تكرار الرسالة الإعلامية من العوامل التي تساعد على الأقتناع ، وينعكس هذا الأمر في الحملات الإعلامية التي تعتمد على تكرار الرسالة الإعلامية) . (١) ويؤكد هذا المفهوم أيضا الدكتور أحمد بدر فيقول : (إن مجرد تكرار فقرات أو جمل معينة يؤدى إلى تصديقها .) (٢)

والجدير بالذكر أن مستحبات الأذان ، أن يرفع المؤذن صوته إلى أقصى ما يستطيع حتى يسمعه أكبر عدد ممكن من الناس ، كما ويندب لمن يستمع إلى الأذان أن يردد ما يقوله المؤذن ، ولا شك أن تردد المسلمين خلف المؤذن يؤكّد مبدأ الإلتزام بالإعلام عند الأسلام بصورة جماعية مكررة وموثرّة . وهكذا فإن التكرار يعطيه علامة بارزة وصفة إعلامية بحيث يصبح وسيلة من وسائل الأتصال الحمعي في مجال التربية والإعلام فسي المجتمع الأسلامي .

يقول الدكتور محي الدين عبد الحليم : (الأذان هو إحدى الوسائل التي ينفرد بها الإعلام الديني الإسلامي للإعلان عن أوقات الصلاة ، ويتميز الأذان بالخصائص الإعلامية التي تجعله عاملا رئيسيا من عوامل الدعوة للدين الأسلامي ، فهو أولا يعتبر شكلا من أشكال الإتصال الجماهيري ، ثانيا فأنه يعتمد على عنصر التكرار لتثبيت المعنى) . (٣)

وسا يذكر أن معظم الذين كتبوا في الإعلام الأسلامي لم يهتموا الأذان من حسابهم كوسيلة إعلامية من وسائل الإعلان عن هذا الدين ، وبادأه العظيمة التي لها أثرها وتأثيرها في نشر الدعوة الأسلامية ، ولا بأس أن ننهي هذا الموضوع بما يقوله الدكتور

(١) الدكتور جيهان رشتي : المرجع السابق ص ٥٠١ .

(٢) الدكتور أحمد بدر : المرجع السابق ص ١٢٥ .

(٣) الدكتور محي الدين عبد الحليم : المرجع السابق ص ١٥٥ .

عبد اللطيف حمزه : (وهكذا أصبح الآذان وإقامة الصلاة أكبر إعلان للإسلام ، وإذا كان فن الإعلان في ذاته قائما قبل كل شيء على " التكرار " فما بالك بهذا الإعلام الإسلامي الذي يذكر الناس بهذا الدين خمس مرات في اليوم والليلة ، وفي كل مرة يسمع بها المسلمون ويسمع غيرهم هذا النداء العظيم ، وهو إعلالات كبير للإسلام لفست ، إليه أنظار الناس جميعا في المدينة المنورة ومنها إنتشر في بقية أجزاء شبه الجزيرة) . (١)

الخطب النبوية :

لقد لعبت الخطب النبوية دورا بارزا وإيجابيا في مجال الاتصال بالناس ، منذ فجر الدعوة الإسلامية حينما صعد النبي صلى الله عليه وسلم على الصفاة ونادى قومه ليعلمهم بالإسلام ، وما جاءه من عند ربه عز وجل ، إستتالا لقول الله سبحانه وتعالى : ((وأندر عشيرتك الأقربين)) . (٢)

وهكذا ، فقد استمرت الخطب النبوية الكريمة تباشر سهامها الفعال بنجاح منقطع النظير في نشر الدعوة الإسلامية والدفاع عن الحق وأهله ، وطمس الباطل وأعوانه - بخاصه في الفترة التي نحن بصدد الحديث عنها وهي فترة النشاط الإعلامي الواسع التي تلت صلح الحديبية تلك الفترة التي كانت فيها مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم وهي مركز ألدعوة الإسلامية في الجزيرة العربية ، تعجج بالنشاط الإعلامي الإسلامي المتنوع .

والجدير بالذكر أن الخطب النبوية هذه قد اتخذت أنواعا متعددة ضمن إطار النشاط الإعلامي الإسلامي والاتصال بالناس ، وذلك بما يمثل ويتفق مع أهداف الإسلام الذي كما أشرنا من قبل ، أنه كان ولا زال مهدعا في مختلف الفنون النافعة ، وبأنه لم يحصر نفسه بالوسائل الإعلامية التقليدية القديمة ، وإنما قام بتطوير هذه الوسائل وتوجيهها وجهة الحق والاستفادة منها خير ما تكون الاستفادة لخدمة الحق والخير ، كذلك ، فقد

(١) د . عبد اللطيف حمزه : المرجع السابق ص ١٤٠ - ١٤١ .

(٢) سورة الشعراء الآية : (٢١٤) .

أوجد الإسلام لنفسه وسائل إعلامية أخرى وخاصة في مجال الخطابة والإتصال بالناس ، إنفردت فيها رسالته ولا تكاد تنافسه فيها أي رسالة إعلامية أخرى ، ومن هذه الوسائل خطبة الجمعة الأسبوعية ، تلك الخطبة التي تعتبر من أقوى الوسائل الإعلامية الدينية المنتظمة للاتصال الجمعي ، ولا زالت ، ولسنا بصدد الحديث عن أهميتها الإعلامية ولكننا نذكرها على أساس المثال فقط . وعلى هذا الأساس فإن الخطابة ، وإن كانت بصورة عامة ، تتميز بأن لها دورها المؤثر والفعال في مجال الإتصال بالناس بشكل جماعي فإن الخطب الدينية الإسلامية وبصورة خاصة خطبة الجمعة الأسبوعية لتعتبر من أقوى وأعظم هذه الخطب في أثرها وتأثيرها في خدمة الأعلام الإسلامي ، وذلك لما تتميز به بصورة خاصة بارتباطها بالصلاة ، وما تتركه في أذهان الناس من مشاعر مشتركة ، وما تختص به كذلك في معالجة لمشاكل المسلمين عموماً من خلال منهج الإسلام الذي ينطوي تحت تعاليم القرآن الكريم والأحاديث الشريفة .

ومن هنا فإن خطبة الجمعة هذه تعتبر واحدة من أبرز وأنجح الوسائل الإعلامية التي جاء بها الإسلام في مجال الاتصال الجمعي والتي كانت ولا زالت لها أحسن النتائج الإيجابية في خدمة الدعوة الإسلامية على مر العصور .

يقول الدكتور محي الدين : (وليس من قبيل المبالغة إذا اعتبرنا أن خطبة الجمعة هذه هي من أهم وسائل نجاح العمل الأعلامي الديني الذي مارسه ورثته على مر العصور منذ إنشقاق نور الدعوة الإسلامية في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم إلى يومنا هذا ، فلم تستطع ولن تستطع عوامل الزمن وتعاقب الدول والحكومات أن تنال من قدرتها الإعلامية وترجع أهمية خطبة الجمعة إلى أنها مرتبطة بفريضة صلاة الجمعة ذاتها ، بل إن خطبة الجمعة هي التي تميز صلاة الجمعة عن بقية الصلوات الخمس الدينية اليومية على مدار الأسبوع ، فأصبح لزاماً على كل مسلم أن يشهد هذه الخطبة ، إنطلاقاً من قوله تعالى في سورة الجمعة : ((يا أيها الذين آمنوا إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسمعوا السعي ذكر الله وذروا البيع ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون .)) (١) . (٢)

(١) سورة الجمعة الآية : (٩) .

(٢) الدكتور محي الدين عبد الحليم : المرجع السابق . ص ١٥٢ .

والجدير بالذكر أن للخطيب وللخطبة - بصورة خاصة خطبة الجمعة - ميزات خاصة يتوقف عليها نجاحها ، منها : لباقة الخطيب وتكلمه من اللغة العربية ومقدرته على إستمرارية شد المستمعين له بطريقة فنية ، وإيجاد التفاعل بين الخطيب وجمهور المصلين وحسن اختيار الموضوع الذى يهم المصلين والناس الى حد ما ، كذلك تجنب السجع ما أمكن والابتعاد قدر الإمكان عن التطويل بالخطبة ما يسبب الملل لدى المصلين ، لأن الخطب الطويلة منهج عنها في صلاة الجمعة ، ولا بد أن يدعم الخطيب كلامه ، وحججه بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية الصحيحة التي تتلاءم وموضوع الخطبة . ولئن من أهم مميزات الخطبة الناجحة ، البساطة والوضوح وتنوع الأساليب المعبرة وتقريب الناس من فهمهم وتجدد أفكارهم بمرحة الله . والخطيب الجيد هو الذى يعرف كيف يعطي خطبته قوة وتأثيراً بالغين ، يصل بهما الى قلوب المصلين المستمعين .

والجدير بالذكر أن العرب كانوا ، حينما ظهر الإسلام وصدع النبي صلى الله عليه وسلم بالرسالة ، في أسنى مدارج الفصاحة وأعلى طبقات البلاغة ، يتنافسون في إنشاد الأشعار وإلقاء الخطب ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، هو سيد الفصحاء وإمام البلغاء .

فكان عليه الصلاة والسلام أفصحهم لساناً ، وأعذبهم منطقاً ، وأحسنهم لفظاً ، وأبينهم لهجة وأقومهم حجة ، وأعرفهم بأساليب الخطابة ، وأهداهم الى طريق الصواب ، تأييداً لهم ، وعناية ريانية ورعاية روحانية .

فكان كلامه سهلاً عذبا يفهمه كل من له أدنى الملم بلفظة العرب ، وهذا من أنوار بلاغته عليه الصلاة والسلام .

وهذا نموذج من كلامه وخطبه المألوفة : (وإن أصدق الحديث كتاب الله وخير الهدي هدى محمد صلى الله عليه وسلم ، وإن شر الأمور محدثاتها ، وإن كل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة ، وفي رواية أخرى : وإن أوثق العرى كلمة التقوى ، وخير الملل ملّة إبراهيم ، وخير السنن سنة محمد وأشرف الحديث ذكر الله وأحسن القصص القرآن .) (١)

والجدير بالذكر أن برنامج الخطابة الديني الذي استحدثه الإسلام لم يقتصر على خطبة الجمعة فقط ، بل كانت هناك العديد من المناسبات التي تؤدى فيها الخطب الدينية وورها الإعلامي بنجاح تام ، ومن هذه المناسبات الخطب التي كانت تلقى على جموع الناس عند نزول الوحي بالآيات القرآنية الكريمة على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقد كان عليه الصلاة والسلام عندما ينزل عليه الوحي بالآيات القرآنية الكريمة يدعو الناس ليجتمعوا إليه في المسجد ثم يصعد المنبر ويلو عليهم ما أنزل الله عليه من الآيات الهيئات على شكل خطابي .

كذلك كانت هناك خطبتي عيد الفطر وعيد الأضحى هاتين الخطبتان اللتان يتحدث فيهما الخطيب إلى جموع المسلمين في شئون دينهم ودنياهم ويبين لهم بعض الأحكام الفقهية المتعلقة بتلك المناسبات الدينية الهامة في مثل هذه اللقاءات الجماعية ، وكذلك خطبة الحج في موسم الحج الأكبر . وهذا فإنه يمكننا القول بأن وسيلة الخطابة كان لها دورها الإعلامي الفعال في مجال الإتصال الجمعي ، بما ساعد بنجاح تام ^{على} فتح السبل الكثيرة والفعالة في نشر الدعوة الإسلامية وخاصة في الفترة الإعلامية التي أعقبت هدنة الحديبية .

الفصل الثاني

الأعلام التحريـرى

مبحث أول :

الأعلام الدولي التحريري :

بدأ الإسلام مهمته الإعلامية الدولية منذ أن مهد الجزيرة العربية لسريان الدعوة الإسلامية ، وذلك بعد صلح الحديبية في نهاية سنة ست ، وبداية سنة سبع للهجرة ، ذلك الصلح الذي وضع حدا لفترة طويلة من الصراع الدامي بين المسلمين من جهة وبين قريش من جهة أخرى ، حيث تفرغ الرسول صلى الله عليه وسلم لنشر الدعوة الإسلامية في أطراف الجزيرة العربية وخارج حدودها على مرمى الآفاق في ملك الله الواسع ، وبعد أن ظل عليه الصلاة والسلام في جهاد متواصل عبر مراحل تاريخ دعوته الخاصة ، منذ أن أمره الله سبحانه بأن يندرعشيرته الأقربين ، لتثبيت أركان الدعوة الإسلامية وتوسيع انتشارها بين الناس داخل الجزيرة ، إذ لم يتمكن عليه الصلاة والسلام من إيجاد الفرصة المناسبة التي يستطيع بواسطتها نقل هذه الدعوة المباركة خارج الجزيرة العربية ، إلا بعد معاهدة الحديبية .

وقد بدأت حركة الاتصال الإعلامي الخارجي بالملوك والروسا* وكل ذى شأن فسي قومه ، وينبأ كان أم دنيويا لتبليغهم دعوة الله سبحانه وذلك لتكمل رحمة الله على الإنسانية كلها وليتم بها الحجة على الناس .

فقد كتب عليه الصلاة والسلام الى ملوك العالم وروسا* الدول والقبايل من العرب والعجم ، وإلى الأساقفة والمارزية والولاة وغيرهم يدعوهم بدعوة الله سبحانه وتعالى إلى الإسلام ، وأرسل لهم الرسل النابهين الذين رباهم في المدرسة المحمدية الشريفة فكان كل واحد من هؤلاء الرسل يتكلم بلغة القوم الذين أرسل اليهم ، ولقد كان في طلبهم هؤلاء الرسل ستة رجال من الصحابة الكرام خرجوا جميعا في يوم واحد يحمل كل واحد منهم رسالة من النبي الكريم محمد عليه الصلاة والسلام الى ملك أو زعيم ، مختومة بختم محمد رسول الله .

فقد ذكر ابن سعد في الطبقات الكبرى ، قال : (لما رجع رسول الله صلى الله

عليه وسلم من الهدى في ذى الحجة سنة ست للهجرة أرسل الرسل الى الملوك يدعوهم الى الاسلام ، وكتب اليهم كتباً ، فقبل : يا رسول الله إن الملوك لا يقرأون كتاباً إلا محتوماً ، فاتخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ خاتماً من فضة ، فحمله منه نقشه ثلاثة أسطر : محمد رسول الله . وختم به الكتب فخرج ستة نفر منهم في يوم واحد ، وذلك في المحرم سنة سبع ، وأصبح كل رجل منهم يتكلم بلسان القوم الذين بعثه اليهم (١) .

ومن هنا فأننا نستطيع أن ندرك بأن الاسلام إنما جاء نقلة عظمى في حياة العرب والبشرية جميعاً ، وأنه أيضاً المعجزة الكبرى الباقية عبر القرون وإلى يوم القيامة . والجدير بالذكر أن معاهدة الهدى هذه قد أعطت الفرصة للرسول صلى الله عليه وسلم لنقل الدعوة الإسلامية إلى أرجاء العالم ، وبهذه المرحلة من تاريخ الدعوة الإسلامية بسد الأتلام مهمته الإعلامية الدولية عن طريق الاتصال الشخصي والتدويني وعلى نطاق واسع .

يقول الدكتور إبراهيم إمام : (عندما قام الرسول عليه الصلاة والسلام بحركته الإعلامية الدولية الواسعة ، وأرسل كتباً الى الملوك والحكام في السنة السادسة من الهجرة استقر رأيه على أن يبعث لكل واحد من هؤلاء رسالة يحملها رسول يستطيع أن يدعو الى عبادة الله وحده ، وإلى الإيمان بدين الاسلام ، وبذلك يقترون الاعلام التدويني بالاعلام الشفهي الشخصي . ولم يكن نص الرسالة كافياً لإتمام الاتصال وتحقيق الدعوة إلى الإسلام ، وإنما كان لابد من تكامل الرسالة الخطية مع الحوار المقتنع . (٢)

ومما يذكر أن طلائع الرسل الذين إنطلقوا من المدينة المنورة لتوجيههم نحو ما أمرهم نبيهم الكريم عبر قارات العالم المختلفة ، وهم يحملون رسائل النبي صلى الله عليه وسلم الى ملوك وزعماء العالم كانوا كما ذكرهم الطبري (٣) ، وابن سعد وغيرهما هم على التوالي :

(١) ابن سعد الطبقات الكبرى ج ١ ص ٢٥٨ وصحيح البخاري ج ٢ ص ٢٣٥ كتاب الجهاد والسير .

(٢) د . إبراهيم إمام : الاعلام الاسلامي ص ٥٣ .

(٣) انظر تاريخ الرسل والملوك للطبري ج ٢ ص ٦٤٤ وطبقات ابن سعد ج ١ ص ٢٥٨-٢٥٩ .

- ١- عبد الله بن حذافة السهمي^(١): مرسل الى كسرى ابرويز ملك الفرس.
 - ٢- حاطب بن أبي بلتعة^(٢) الى المقوقس زعيم القبط بالأسكندرية في مصر .
 - ٣- دحية بن خليفة الكلبي^(٣) : الى هرقل امبراطور الروم في الشام .
 - ٤- عمرو بن أمية الضمري^(٤) : الى النجاشي الأول ملك الحبشة .
- (١) ذكره العسقلاني في الأصابة في تمييز الصحابة (ج ٢ ص ٢٩٦ - ٢٩٧ . هو عبد الله بن حذافة بن قيس بن عدي بن سعد بن سهم القرشي السهمي أبو حذافة أو أبو حذيفة ، يقال شهد بدرًا وفي صحيح البخاري عن ابن عباس قال نزلت ((يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم)) فسي عبد الله بن حذافة السهمي ، بعثه النبي صلى الله عليه وسلم في سرية ، وقال ابن يونس شهد فتح مصر ، وقال أبو نعيم توفي في مصر في خلافة عثمان .
- (٢) هو حاطب بن أبي بلتعة ابن عمر بن عمر بن سلمه بن جعب بن سهيل اللخمي . حليف بني اسد بن عبد العزى ، اتفقوا على شهوده بدرًا . وثبت ذلك فسي الصحيحين من حديث علي في قصة حاطب عندما أرسل كتابه الى أهل مكة يخبرهم بتجهيز رسول الله صلى الله عليه وسلم اليهم ، فنزلت : ((يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوى وعدوكم أولياء تلحقون اليهم بالموءة)) سورة الممتحنة . وجد له ثلاثة أحاديث أحدها أخرجه ابن شاهين عن طريق يحيى بن عبد الرحمن قال : بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المقوقس ملك الأسكندرية فجئته بكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، الحديث (الأصابة في تمييز الصحابة للعسقلاني ج ١ ص ٣٠٠) .
- (٣) هو دحية بن خليفة بن فروه بن فضاله بن زيد بن امرئ القيس الكلبي - صحابي مشهور ، أول مشاهده الخندق ، وقيل أحد ولم يشهد بدرًا ، وكان يضرب به المثل في حسن الصورة ، وكان جبرائيل عليه السلام ينزل على صورته ، وهو رسول النبي صلى الله عليه وسلم الى قيصر بحمص أول سنة سبع وآخر سنة ست للهجرة ، وقصد نزل دمشق وسكن المزة ، وعاش الى خلافة معاوية (الأصابة ج ١ ص ٤٧٣ - ٤٧٤) .
- (٤) عمرو بن أمية بن خويلد بن عبد الله بن إياس بن كعب بن ضرة الضمري أبو أمية . صحابي مشهور له أحاديث روى عنه أولاده جعفر وعبد الله والفضل وغيرهم ، قال ابن سعد حين انصرف المشركون من أحد وكان شجاعا ، وكان أول مشاهده بئر معونة فأسره عامر بن الطفيل وجز ناصيته وأحلقه وبعثه النبي صلى الله عليه وسلم للنجاشي في زواج أم حبيبه والى مكة فحمل خبيبا من خشبته . وله ذكر في عسدة مواطن ، وكان من رجال العرب جرأه وعاش الى خلافة معاوية ، ومات بالمدنية (الأصابة في تمييز الصحابة ج ٢ ص ٥٢٤ . مكتبة الشئى لبنان الطبعة الأولى) .

٥- شجاع بن أبي وهب الأسدي (١) : إلى الحارث بن أبي شمر الغساني .

٦- سليط بن عمرو العامري (٢) : إلى هونذ بن علي الحنفي ملك اليمامة .

هو هونذ الستة المختارون هم الرعيل الأول المبارك من رسل النبي صلى الله عليه وسلم . وكل منهم ذو قدم ثابتة في الإسلام ، وقد تربى على هدى الوحي بين يدي الرسول الأمين محمد صلى الله عليه وسلم ، وكانوا حقاً في أمانتهم وتصرفاتهم وإجاباتهم على الأسئلة يمثلون القدوة الحسنة لرجال الإعلام المسلم ، الذي يحمل مهمة التحرير الإعلامي .

والجدير بالذكر أن مضمون هذه المهمة الإعلامية الدولية الكبرى التي قام بها الرسول صلى الله عليه وسلم يطلق عليها رجال الإعلام في عصرنا الحاضر بـ (العملية الإعلامية) .

وهذه العملية الإعلامية ينطوي تحتها تحليل الرسالة الإعلامية - من خلال المرسل والمستقبل ، وموضوع الرسالة وحاملها ونتائجها - تحليل دقيقاً ، ولنستمع إلى الدكتور محي الدين عبد الحليم وهو يتحدث عن أجزاء هذه العملية الإعلامية بقوله : (لا يمكن يختلف الباحثون أن العملية الإعلامية تشتمل على العناصر الخمسة التالية وهي :

١- المرسل للرسالة الإعلامية .

٢- الرسالة الإعلامية .

(١) هو شجاع بن وهب ويقال ابن أبي وهب بن ربيعة بن أسد بن صهيب بن مالك بن كثير الأسدي . ذكره ابن اسحاق في السابقين الأولين وهو من هاجر إلى الحبشة ومن شهد بدرًا وكذا ذكره موسى بن عقبة وابن الكلبي وعرو وقال ابن حاتم شجاع بن وهب أخو عقبة من المهاجرين الأولين ، قال المسور بن حزمه روى الطبراني من حديث المسور بن مخرمه قال بعث النبي صلى الله عليه وسلم شجاع بن وهب الأسدي إلى المنذر بن الحارث بن أبي شمر الغساني ، وذكر ابن سعد عن الواقدي بأنه عليه الصلاة والسلام بعثه إلى الحارث بن أبي شمر الغساني استشهد باليمامة (الأضامة في تمييز الصحابة ج ٢ ص ١٣٨) .

(٢) هو سليط بن عمرو بن عبد شمس العامري . أسلم سليط قدما قبل عمر وقد ذكره ابن اسحاق في مهاجرة الحبشة وذكره ابن اسحاق في تسمية الرسل إلى الملوك فقال سليط بن عمرو أرسله رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى هونذ بن علي رئيس اليمامة (الأضامة في تمييز الصحابة ج ٢ ص ٧١-٧٢ للعسقلاني) .

٣- الوسيلة التي تقوم بنقل الرسالة الإعلامية .

٤- المستقبل للرسالة الإعلامية .

٥- الإستجابة للرسالة الإعلامية . (١)

وما يذكر أن هذه التقسيمات التي أوردها الدكتور محي الدين للرسالة الإعلامية تختلف في عدد ها وسمياتها في نظر غيره من رجال الأعلام الآخرين . فمثلا يرى الشيخ زين العابدين الركابي أن الرسالة الإعلامية تتكون فقط من أربعة عناصر هي :

١- جهة الإرسال .

٢- جهة الإستقبال .

٣- موضوع الرسالة .

٤- حامل الرسالة . (٢)

بينما يرى الدكتور عبد اللطيف حمزه من وجهة نظره أن العملية الإعلامية تتكون من ثلاثة عناصر فقط ، فيقول : (والإعلام في ذاته عملية خطيرة ، وإذا نحن أردنا أن نحلل هذه العملية وجدناها تقوم على ثلاثة عناصر هي :

١- عنصر المرسل (بكسر السين) .

٢- عنصر المستقبل (بكسر الباء) .

٣- عنصر الأثر أو الرسالة . (٣)

وتأسيسا على هذه التقسيمات التي وضعها رجال الأعلام للعملية الإعلامية ، فإنه يمكننا القول بأن الرسائل التي أرسلها النبي صلى الله عليه وسلم الى ملوك ووزعها العالم آنذاك تمثل من وجهة النظر الإعلامية هذه ، بالعملية الإعلامية المتكاملة . وعلى هذا الاعتبار فإن المرسل لهذه الرسائل الإعلامية هو رسول الله محمد عليه

(١) د . محي الدين عبد الحليم : المرجع السابق ص ١٨٦ .

(٢) انظر كتاب الأعلام الأسلامي والعلاقات الإنسانية طبعة الندوة العالمية للشباب الأسلامي ص ٢٩٩ .

(٣) د . عبد اللطيف حمزه : الأعلام له تاريخه ومذاهبه ص ٢٥ .

الصلاة والسلام الذى إصطفاه الله سبحانه وتعالى ليكون خاتم الأنبياء والمرسلين جميعا وأن رسالته العظيمة هي خاتمة الرسالات السماوية جميعا . هو غني عن التعريف ، بل هو أعظم من أن يعرف .

أما حامل الرسالة الإعلامية أو القائم بالاتصال فهو أحد الصحابه الكرام الذين تربوا في المدرسة النبوية على يد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتميزوا بميزات خاصة وضع أسسها صاحب الدعوة عليه الصلاة والسلام ورجل الإعلام الأول ، وهذه الميزات هي الصدق والحنكة والقدرة على المناقشة والأخذ والرد والفصاحة ، وكذلك معرفة لغسة القوم الذين أرسل إليهم .

ولا بد لنا ونحن نتحدث عن الميزات التي يتميز بها رجل الإعلام الإسلامي عن غيره من رجال الإعلام الآخرين ، أن نقارن رجل الإعلام الإسلامي بغيره من رجال الأعلام الآخرين مبينين ميزة كل منهما .

١- إن رجل الإعلام الإسلامي يختلف عن غيره من رجال الإعلام الآخرين ، فهو رجل إعلام وفي نفس الوقت فهو داعية الى الله عز وجل .

٢- إن رجل الأعلام الإسلامي يعتبر نفسه معنيا مباشرة فيما يحمل إلى الناس من مبادئ الدين الحنيف ، بينما رجل الأعلام الآخر ليس له هم إلا حمل الأخبار الى غيره سواء قبلها الناس أم رفضوها ، لذلك فهو يعتبر نفسه موظفا ليس إلا .

٣- إن رجل الإعلام الإسلامي يعتبر ممثلا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فمما يحمل من مهمة إعلامية ، لذلك فهو يناقش في الأمور ويرد على الأسئلة الموجهة اليه ويبت في المواضيع المطروحة . وأما رجل الإعلام الآخر فلا يملك شيئا من هذه الميزات .

٤- إن رجل الأعلام الإسلامي يحمل إلى الناس دعوة الله سبحانه وتعالى ، لذلك فهو يعتبر نفسه مأجورا وشابا من الله سبحانه على تحقيق غايته التي خرج من أجلها ، وان الله سبحانه وتعالى سيجزيه الجنة على ذلك . أما رجل الإعلام الآخر فإنه يعتبر الأجر المادى أساسا للتعامل في مهمته الإعلامية لذلك فهو لا يبذل في مهمته إلا الجهد اليسير .

وأما فيما يتعلق بالنقطة الثالثة من أجزاء هذه العملية الإعلامية التي هي موضوع
حد يثنا هنا فهي :

الوسيلة التي تقوم بنقل الرسالة الإعلامية :

وسما يذكر أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان قد أعطى هذه الناحية
اهتماما كبيرا ، فقد استخدم رسول الله صلى الله عليه وسلم أرقى وأسرع الوسائل
الإعلامية الموجودة في زمنه لهذا الغرض ، وذلك بإستعمال الخيل أو ركوب البعير
أو كليهما معا كما فعل حاطب بن أبي بلتعة عندما وصل الى المقوقس في الاسكندرية .
أما موضوع الرسالة الإعلامية : فهو دعوة الناس الى الله سبحانه وتعالى من خلال
دعوة التوحيد ، فكان هذا الموضوع هو المحور الذي تدور عليه جميع الرسائل النبوية
الكريمة .

وهذا فإن جميع النقاط التي تتعلق بموضوع الرسالة الإعلامية والتي أطلق عليها
رجال الإعلام ، بالعملية الإعلامية ، كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أخذها
باعتباره ، ووضعها موضع التنفيذ كما شاهدنا من خلال هذا العرض لرسائل النبي صلى
الله عليه وسلم .

هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى للإستفادة من الأسلوب الإعلامي المعبر والمختصر الذي خطه رسول الله صلى الله عليه وسلم لمخاطبة كل من أهل الكتاب والوثنيين في هذه المهمة الإعلامية التحريرية الهامة .

نماذج لرسائل النبي صلى الله عليه وسلم

نموذج الرسائل التي أرسلها النبي صلى الله عليه وسلم الى أهل الكتاب :

وهي رسالة موجهة من رسول الله محمد عليه الصلاة والسلام الى هرقل إمبراطور الروم :

(بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد بن عبد الله ورسوله - إلى هرقل عظيم الروم .

سلام على من إتبع الهدى . أما بعد : فأني أدعوك بدعاية الإسلام ، أسلم تسلم ،

وأسلم يوثقك الله أجرك موتين . فأني توليت فعليك إثم الأريسين . و ((يا أهل

الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ، ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ، ولا يتخذ

بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله ، فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون .)) (١)

نموذج من الرسائل التي أرسلها رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الوثنيين :

وهي رسالة موجهة من رسول الله صلى الله عليه وسلم الى كسرى عظيم الفرس :

(بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد رسول الله الى كسرى عظيم فارس .

سلام على من إتبع الهدى ، وآمن بالله ورسوله ، وشهد أن لا إله إلا الله ، وحده لا شريك

(١) صحيح البخارى ج ١ ص ٦ ، باب بدء الوحي . وكذلك في كتاب الجهاد والسير ج ٢ ص ٢٣٤ نفس المرجع . وصحيح مسلم المجلد الثالث - باب الجهاد والسير ص ١٣٩٦ ، دار البحوث العلمية . ومسند الأئمام أحمد ج ١ ص ٢٦٣ وتاريخ ابن عساکر ج ١ ص ١٤٠ وكنز العمال ج ١ ص ٢٧٥ والمواهب اللدنية للقسطلاني ج ٣ ص ٣٨٤ . والسيرية الحلبية ج ٢ ص ٢٧٥ . المطبعة التجارية .

له ، وأن محمدا عبده ورسوله ، أدعوك بدعاية الله ، فإنني أنا رسول الله الى الناس كافة ، لأنذر من كان حيا ويحق القول على الكافرين ، أسلم تسلم ، فإن أبهت فعليك إثم المجوس . (١)

وهكذا اوضح خلال هاتين الرسالتين تتضح رسائل النبي صلى الله عليه وسلم إلى أهل الكتاب والوثنيين ، وذلك ضمن الحملة الإعلامية الدولية في مجال الإعلام التحريري . وبالنظر لأهمية هذه الرسائل الإعلامية في مجال الإعلام التحريري ، فاننا سوف نحاول تحليل النقاط الهامة المشتركة وغير المشتركة في هذه الرسائل .

التحليل الإعلامي للرسائل النبوية

١- الافتتاحية بالهسلة :

من الملاحظ أن جميع كتب النبي صلى الله عليه وسلم تفتتح بالهسلة (بسم الله الرحمن الرحيم) ، وهذه دلالة إعلامية إسلامية بارزة لم تقتصر . . . كتابتها على كتب أهل الكتاب فحسب ، وإنما استعملت كافتتاحية عامة في كتب المسلمين ، وأهل الكتاب والوثنيين على حد سواء . وقد أصبحت هذه الافتتاحية سنة عامة لجميع المسلمين يستنون بها في بداية كلامهم وفي صدور رسائلهم . والجدير بالذكر أن هذه الأيكة الكريمة جاء ذكرها في القرآن الكريم في قصة سليمان والهدد ، عندما حمل الهدد رسالة سليمان الإعلامية الى ملكة سبأ لأعلامها وقومها بدين الله ووحيه ، وذلك بعد أن أخبر الهدد سليمان بأنه وجدها وقومها يسجدون للشمس من دون الله ، وفي هذا الكتاب كما جاء في الآية الكريمة : ((إنه من سليمان وإنه بسم الله الرحمن الرحيم ، ألا تعلوا على وأتوني مسلمين .)) (٢)

ولا شك أن هذه الصورة من صور الإعلام الإسلامي الدولي ، قد جاء بها القرآن الكريم

(١) صحيح البخارى ج ٢ ص ٢٣٥ باب الأحاد . ابن جرير الطبرى تاريخ الرسل والملوك ج ٢ ص ٦٥٤-٦٥٥ ، والكمال لابن الأثير ج ٢ ص ١٤١ ، والبداية والنهاية لابن كثير ج ٢ ص ٢٦٩ ، وسند الأمام أحمد ج ٤ ص ٧٥ ، والمواهب اللدنية للقضطاني في شرح الزرقاني ج ٢ ص ٣٨٩ ، وصحيح الأمام مسلم ج ٣ ص ١٣٩٧ باب الجهاد والسير دارالبحوث العلمية .

لبيّن للناس أن أنبياء الله سبحانه ، ورسله الكرام كانوا يستخدمون الأعلام الدلّية
التحريري للدعوة الى الله .

٢- نلاحظ ان الصفة المميزة لرسائل أهل الكتاب جميعها هي الآية القرآنية التالية:

((يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ، ألا نعبد إلا الله ولا نشرك
به شيئاً . ولا يتخذ بعضنا أرباباً من دون الله ، فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا
مسلمون .)) (١) .

٣- كلمة الدعاية :

نلاحظ كذلك أن كلمة دعاية تتكرر في عدد من الرسائل التي أرسلها النبي صلى الله
عليه وسلم سواء الى أهل الكتاب أو الى غيرهم من الوثنيين .

وقد جاء ذكر كلمة (الدعاية) في كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى قيصر
وكذلك في الكتاب الذي أرسله رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المقوقس (٢) ، وهي
مذكورة أيضاً في الكتاب الذي أرسله رسول الله صلى الله عليه وسلم الى كسرى .

والدعاية في المفهوم الإسلامي يأتي معناها من الدعوة (٣) الى الله سبحانه وتعالى
ولكن مع مرور الأيام واختلاط المفاهيم وكثرة الاصطلاحات ، فقد إنقلب معنى هذه الكلمة
رأساً على عقب ، حيث أصبح معناها عند عامة الناس الآن يختلف عما كان عليه في زمن
النبي صلى الله عليه وسلم . فقد ذكر صاحب كتاب مكاتيب الرسول صلى الله عليه وسلم
نقلاً عن ابن الأثير قوله : (وفي كتابه صلى الله عليه وسلم الى هرقل يقول " أدعوك
بدعاية الإسلام ، أي بدعوتك ، وهي كلمة الشهادة التي يدعو اليها الملل الكافرة وفي
رواية بدعاية الإسلام ، وهي مصدر بمعنى الدعوة كالعافية انتهى . ودعاية
الله ، بمعنى دعوة الله ، ودعاية الله بمعنى التوحيد .) (٤)

فير أن كلمة الدعاية هذه قد تغير مفهومها في القرون المتأخرة ، وأصبح الناس

(١) سورة آل عمران الآية : (٦٤) .

(٢) انظر مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة لمحمد حميد الله
(دار الأرشاد ص ١٠٥) . كذلك كتاب مكاتيب الرسول لعلي بن حسين علي الأحمدي .

يفهمونها على غير حقيقتها الطيبة التي جاء بها الاسلام ، كما ورد ذلك في رسائل النبي صلى الله عليه وسلم .

هذا ويتحدث الدكتور إبراهيم إمام موضحاً معنى الدعاية في مفهوم الاسلام فيقول : (ينطوى تحت ظاهرها لاتصال العديد من المصطلحات الدارجة وأهمها : الأعلام والدعاية والدعوة والتعليم وغيرها ، ولعل كلمة الدعاية من أقدم هذه المصطلحات جميعاً ، وقد عرفناها في تراثنا الاسلامي منذ نزول القرآن الكريم . قال تعالى : ((يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً وداعياً الى الله بأذنه وسراجاً منيراً)) . وجاء في رسالة النبي صلى الله عليه وسلم التي وجهها الى كسرى والى المقوقس كلمة : " ادعوك بدعاية الله عز وجل ، وادعوك بدعاية الاسلام " ، ثم يضيف الدكتور إمام قائلاً : وهكذا نجد أن كلمة (دعاية) تتكرر في رسائل النبي صلى الله عليه وسلم في حملته الإعلامية الكبرى الموجهة الى العالم منذ السنة السادسة للهجرة ، ثم يتابع الدكتور إمام حديثه عن كلمة الدعاية فيقول : وكلمة دعاية هي من الكلمات الطيبة التي تعبر عن المعاني السامية للعقيدة الاسلامية حتى ظهور التعاليم البروتستانتية المتأثرة بالاسلام من حيث التوحيد ورفض التثليث ، وعدم الايمان بتحول النهمذ والخبز الى دم المسيح وجسده . ونهذ الصور والتماثيل التي كانت توضع في الكنائس . وعدم الاعتراف بأن البابا - وهو بشر - يمكن أن يكون معصوماً من الخطأ ، فضلاً عن التعريض بذكوك الغفران فوجست الكهنة الكاثوليكية نفسها في مأزق حرج ، وراحت تتشد الخلاص من

هذه التعاليم الجديدة التي اعتبرتها كقرا وخروجها على المسيحية ، ثم
يضيف الدكتور إمام قوله : ثم تدهور مفهوم الدعاية في عالم السياسة
والاقتصاد وخاصة بعد ظهور المبادئ الشيوعية والفاشية والنازية
فالدعاية (أصبحت في معناها الحالي) ركبا أساسيا لتلقين المذهب
الشيوعي ، وهي تأتي بعد مرحلة التشكيك والأشارة . كما أنشئت
في ألمانيا النازية وزارة للثقافة العامة والدعاية في ٣٠ يونيو سنة
١٩٣٣م ، بعد أن تولى هتلر الحكم في يناير من نفس السنة وعين
هوبلز وزيرا لها وجاء في قرار إنشاء الوزارة أنها تشرف على جميع
وسائل التأثير الذهني والأدبي ، كما تقوم بالدعاية لصالح الدولة
وثقافتها واقتصادها القومي ، وأنشأ موسليني في إيطاليا وزارة
للصحافة والدعاية التي تحولت الى وزارة للثقافة الشعبية في أول يونيو
سنة ١٩٣٧م ، ومهنتها الإشراف على الصحف والمطبوعات والمسرح
والسينما والآداب والدعاية والفنون والأذاعة والسياحة . ثم يستطرد
الدكتور إمام في حديثه عن استعمالات كلمة الدعاية ومفهومها فيقول :
وتستخدم الدعاية للترويج للسلع والمنتجات ورفع المبيعات ، وتؤثر
هذه الدعاية بالاعلان ، متوجهة بذلك الى الفرائز والأنفعالات وخاصة
الفريضة الجنسية ، فتربط السلع بصور النساء العاريات حتى ولو
كانت السلع لا تتصل بذلك كالمياه الغازية وشفرات الحلاقة وإعلان
السيارة التقليدي الذي يصور امرأة ورجلا يستغلان للفرائز والأحاسيس
لنفس الغرض وهو خلق رغبات جديدة للشراء (١)

(١) انظر كتاب الاعلام الاسلامي للدكتور إبراهيم إمام ص (٣٤ ، ٣٥ ، ٣٦ ، ٣٧)
الأنجلو مصرية : نقلناها ببعض تصرف .

هذا ويتحدث الدكتور محي الدين عبد الحليم عن معنى الدعاية في الإسلام فيقرر بأن الدعاية والدعوة أصلهما اللغوي واحد وانهما لا يختلفان في مفهومهما الاعلالي في الإسلام فيقول : (والدعوة نسي المفهوم الإسلامي تختلف عن الدعاية بمعناها الحديث بالرغم من أن الأصل اللغوي لكل منهما واحد . ذلك أن الدعاية تخاطب العواطف وتستند الى الخيال وتعمل على تشويه الحقائق ، وقد اكتسبت الدعاية هذه المعاني والأوصاف السيئة بعد الحرب العالمية الثانية حين شوه هتلر معناها الأصيل في حربه الدعائية ضد الحلفاء على يد وزير دعايته دكتور جوبلز ، وبدأت الدعاية بالتالي تأخذ مساراً آخر مختلفاً تماماً عن المعاني الأصلية لها) (١)

٤ - بدء الرسائل النبوية الكريمة بأسمه عليه الصلاة والسلام قبل أسم الشخص الذي أرسلت الرسالة النبوية الكريمة اليه ، وذلك لإجلالا وإعظاما لرسالة النبوة وأدائها لحقها .

وكان الذين كتبوا اليه رسائل جوابيه من الملوك والزعماء وغيرهم قد بدأوا رسائلهم أيضا باسمه قبل أسمائهم وذلك بعد أن تبين لهم نبوته الحق وصدق دعوته ولو أنهم لم يعترفوا بذلك في ظاهريهم لمصالح دينوية خاصة .

فقد كتب المقوقس رسالة جوابية الى رسول الله محمد عليه الصلاة والسلام فبدأها باسم رسول الله قبل أسمه هو وفي ذلك اعتراف ضمني بنبوة محمد عليه الصلاة والسلام لأن الشيء المتعارف عليه هو أن الرسائل تكون عادة مبدوءة باسماء الأعظم من الرجال وهذا نص

(١) الدكتور محي الدين عبد الحليم . الأعلام الإسلامي وتطبيقاته العملية صفحة : ١٤١ . مكتبة الخانجي بمصر .

الهداية لرسالة المقوقس الجوابية لرسول الله صلى الله عليه وسلم

(لمحمد بن عبد الله من المقوقس) (١)

وكان رد هرقل في رسالته الجوابية لرسول الله صلى الله عليه وسلم
ايضا هو كالتالي :

(الى أحمد رسول الله الذي بشر به عيسى من قبصر ملك

الروم) (٢)

كذلك كان رد النجاشي في رسالته الجوابية بنفس الأسلوب :

(الى محمد رسول الله من النجاشي الأصم بن أبيهر) (٣)

٥ - الأسلوب البلاغي المؤثر : وهو خير الكلام ما قل ودل ، فقد كانت رسائل النبي الكريمة صلى الله عليه وسلم ، تتميز بأنها قليلة الكلام كثيرة المعنى لا يوجد فيها تكلف ، واضحة يفهم منها الحاجة . فمثلا قوله عليه الصلاة والسلام (أسلم تسلم) فهذا تعبير جامع يجمع بين الترفيب والترهيب ، أي إن تسلم تسلم من الحزبة والقتل ومن زوال الملك ايضا هذا كله في الحياة الدنيا وأما في الآخرة فيسلم فيها من نار جهنم .

اما قوله عليه الصلاة والسلام فعليك أثم المجوس أو (فعليك أثم الأرمسين) وذلك اذا لم يسلم فإنه يكون السب بعدم اسلام قومه وابعائهم على الكفر وأنه بهذا يتحمل اثمهم جميعا يوم القيامة .

٦ - ختم النبوة : كذلك فقد تميزت الرسائل النبوية الكريمة بأنها ساحتها بختم النبوة ، وهذه دلالة إعلامية إسلامية بارزة لها اهميتها واعتبارها لدى الملوك والزعماء ، إن أنه لا يُعقل أن يكتب مثل هذه الرسائل بمثل هذا الأسلوب رجل عادى وظروفه الجغرافية والاقتصادية والعسكرية لا تمكنه من مواجهة أي من هؤلاء لوحدة فكيف به يكتب اليهم جميعا (أسلم تسلم) . يقول مولانا محمد عيسى تعليقا على حركة البعثات والرسائل النبوية الى الملوك والزعماء (إن الظروف التي أحاطت بتوجيه هذه الرسائل النبوية للملوك والأمراء

(١) أنظر (مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة) صفحة : ١٠٧ ، دار الأرشاد ببيروت للدكتور محمد حميد الله .

(٢) المرجع السابق صفحة : ٨٢

(٣) المرجع السابق صفحة : ٧٨ وذكره الطبري في تاريخ الرسل والملوك ج٢ صفحة ٦٥٢ - الطبعة الثالثة .

لتمتحن شيئا من التأمل والأعتبار ، فلو أن الرسول صلى الله عليه وسلم وجه هذه الرسائل بعد إخضاع بلاد العرب برمتها لنفوذ ، إن كان في إمكان الباحث أن يعتبرها عملا أوحى به الطموح إلى التوسع في الملك والنفوذ ، فقد كان المسلمون إلى ذلك الحين أضعف من أن يشقوا طريقهم إلى مكة لأداء فريضة الحج . وكان المشركون لا يزالون هم أصحاب السلطة الحقيقية ، حتى أنهم قد فرضوا شروط صلح الحديبية على النبي صلى الله عليه وسلم) . (١)

من هنا يستطيع المرء أن يدرك أن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يكن يهدف من وراء هذه الحركة الإعلامية الكبيرة إلى التوسع أو النفوذ أو إلى جاء أو سلطان أو نحو ذلك ، وإنما كان الرسول صلى الله عليه وسلم يهدف من خلال هذه الحركة الإعلامية المحلية والعالمية الواسعة أن يبين للعرب وغيرهم من الناس بأن الإسلام إنما جاء إلى الناس كافة وليس للعرب وحدهم . ولهذا السبب كان النبي عليه الصلاة والسلام مهتما كل الأهتمام بتبليغه إلى الناس بكل الوسائل الإعلامية المتاحة آنذاك وقد جاءت هذه الرسائل الإعلامية إحدى هذه الوسائل الإعلامية التي استخدمها الرسول صلى الله عليه وسلم لتبليغ الدعوة الإسلامية إلى الناس على المستوى الدولي .

وقد تبين لنا من خلال دراستنا للأسلوب الإعلامي المميز لهذه الرسائل النبوية أن هذه الرسائل كانت ذات طابع خاص ذات سمات متميزة تختلف بها عن غيرها من الرسائل الأخرى الأمر الذي يدل على القدرات العالية والذكاء الخارق الذي كان يتمتع به الرسول صلى الله عليه وسلم ، يقول الدكتور أحمد بدر : (إن أسلوب الرسالة الإعلامية وكلماتها قد بدلنا على أشياء كثيرة تتصل بذكاء المصدر وقدراته وتتصل بشخصيته وواقعته

(١) مولانا محمد علي : حياة محمد ورسائله ص ٩٧-٩٨ الترجمة العربية لمنير البعلبكي .

وتتصل بالقيم التي يؤمن بها والأهداف التي يسعى الى تحقيقها وتتصل كذلك باجتهاداته وموقعة الاجتماعي وتتصل ايضا بالجماعات التي ينتمي اليها (١)

وبدون أدنى شك فإن هذا المعهد الجديد الذي نهجه الأعلام الأسلاسي الدولي وذلك باتخاذ من وسيلة الكتابة منهاجاً وأسلوباً جديداً لنشاطاته الإعلامية لمعتبر بحق أحد الفنون الحضارية المتقدمة التي مارسها الأسلام لنشر دعوته .

يقول الدكتور عبد اللطيف حمزة : (ان الكتابة فن حضاري خالص لا مراة في ذلك وقد مارسه الكتاب تأثيرها القوي في الجماهير وباشكال مختلفة أولها الرسائل ونخص بالذكر منها (الرسائل الديوانية) وهي الرسائل التي تصدر عن الحاكم أو الخليفة أو الملك أو الأمير أو الوزير أو كل ذي سلطة قوية في الدولة) (٢)

اعداد الرسل :

قبل ان يبدأ رسول الله صلى الله عليه وسلم بارسال رسله الى الملوك والزعماء كان قد أعد هو* الرسل من اصحابه الكرام اعدادا روحيا خاصا ، وأرسى لهم قواعد العلاقات والتعامل الدولي بما يؤهلهم تأهيلا إعلاميا عالي المستوى لحمل دعوة التوحيد وتمكين كلمته (لا إله إلا الله محمد رسول الله) تمكيناً ترفى رايها عالية خفاقة في آفاق المعمورة في حمل كتبه عليه الصلاة والسلام وإنفاذها الى اصحابها انفسهم دون غيرهم ومواجهة المواقف التي من شأنها اعداد النفوس وتهيتها لاستقبال هذا الدين الذي جاء رحمة الى الناس كافة .

(١) الدكتور أحمد بدر الأتصال بالجماهير والدعاية الدولية ص. ٣ طه دار العلم .

(٢) الدكتور عبد اللطيف حمزة : الاعلام له تاريخه ومذاهبه صفحة : ١٩

وقد وضع عليه الصلاة والسلام قواعد التعامل الأعلاي الدولي حينما قرر جمع عدد من اصحابه الكرام ليحملوا رسائله الكريمة الى ملوك وزعماء الدنيا في ذلك الزمن وقد أعدهم اعدادا يؤهلهم للقيام بهذه المهمة الأعلامية الدولية عندما أخبرهم بأن الله قد بعثه بهذا الدين الى الناس كافة وانهم رسل هذا الدين الى الناس وقد حَقَّ لهم أمانة تبليغ هذا الدين بالوجهة التي يرضاها الله ورسوله وأوصاهم بأن لا يختلفوا كما اختلف من قبل على عيسى بن مريم عليه السلام . فقال عليه الصلاة والسلام كما جاء في سيرة ابن هشام من رواية الهذلي قال : (بلغني أن رسول الله خرج على اصحابه ذات يوم بعد عمرته التي صُد عنها يوم الحديبية فقال : "أيها الناس إن الله قد بعثني رحمة وكافة فلا تختلفوا علي كما اختلف الحواريون على عيسى بن مريم فقال اصحابه : وكيف اختلف الحواريون يا رسول الله ؟ قال : دعاهم الى الذي دعوتكم اليه فأما من بعثه صعبا قريبا فرضى وسلم ، وأما من بعثه صعبا بعيدا فكره وجهه وتناقل ، فشكا ذلك الى الله فأصبح المتناقلون وكل واحد منهم يتكلم بلغة الأمة التي بُعث اليها) (١) .

ومن هنا ندرك بأن هؤلاء الرسل الكرام لم يكونوا مجرد حاملين للرسائل أو ناقلين للكتب فقط وإنما كانوا هداة مهتدين . أعدهم رسول الله صلى الله عليه وسلم من خلال صحبتهم الطويلة له ليواجهوا قادة العالم وملوك الدنيا بمسائل يحلون من إيمان وهدي واخلاق إسلامية عالية مكتسبة من معرفة كيف يسد الأسلام يده الرحمة بالسلام والتفاهم الأنساني والجدال بالحكمة والموعظة الحسنة وبإمان الحجة بالمنطق والبرهان ، وهذه التربية الكريمة اكتسبها الصحابة الكرام من نبيهم الكريم صلى الله عليه وسلم الذي لبث فيهم قرابة لعشرين عاما وهو يتلقى وحى

السماء ويثبت في قلوب من حوله من اصحابه الكرام التعاليم الربانية التي تسمو بهم الى الأعتراز بالله وحده والايمان بهذا الدين إيماناً يسرى في كيانهم سريان العصارة الحية في الشجرة الخضراء المورقة مما جعل لديهم القدرة والتمكن على حمل رسائل النبي صلى الله عليه وسلم عبر قارات العالم المعمور آنذاك وأن يتحدثوا بالأسلام الى أعظم ملوك الدنيا اتباعاً وسلطاناً بعزيمة المؤمن الثابت على الحق المبين وإن يعرضوا لهم دعوة التوحيد في أجمل صورها وأبهى حللها مما جعل دعوة التوحيد هذه هي المحور الذي يدور حوله حديث العالم في كافة أنحاء المعمورة آنذاك .

فعندما كانت هذه الدعوة تشق طريقها الى قلوب الناس وضائرتهم في جميع أنحاء الجزيرة العربية كانت في الوقت نفسه تتردد أصدائها في الحوار الدائر بين رجال الأعلام الإسلامي ومن أرسلوا المهيم من ملوك وزعماء العالم في كافة أنحاء المعمورة وفي وقت واحد .

ومن المعلوم أنه لم يكن وصول هؤلاء الرسل بما معهم من الكتب أمراً بالفسه الملوك والرؤساء، وأن كانت بشائر النبوة المحمدية معروفة لديهم من الكتب السماوية التي سبقت القرآن الكريم، ولكن ليس الخبر كالعلمان فقد ظهر البشير النذير من بين العرب وهادي دعوته أمامهم بيضاء ناصعة تواجههم بالحق وجهاً لوجه وهامه رجاله الذين حملوا أمانة تبليغ هذه المهمة العظيمة ينتشرون في كافة أرجاء المعمورة .

هؤلاء الرجال الذين أعدهم الرسول صلى الله عليه وسلم لهذه المهمة الأعلامية الدولية كانت تتوفر فيهم القدرة الفائقة على إتقان أساليب

المعرض وفن الحوار والمجادلة بالعسنى بالإضافة الى معرفتهم التامة بالأديان ولغات الأقوام الذين أرسلوا اليهم ، ومن هنا تتضح مهمة رجل الأعلام الإسلامي الدولي .

يتحدث الدكتور عبدالقادر حاتم عن هدف الأعلام وعن المهمة الإعلامية التي يسعى رجل الأعلام الى تحقيقها حتى تكون مهمته الإعلامية قد وصلت الى النجاح المطلوب فيقول : (إن الهدف من الأعلام هو أن تكون هناك فكرة معينة يريد توصيلها الى المرسل اليه إما فرداً أو جماعة أو شعباً فإذا نتج عن هذه الفكرة أن اتبع المرسل اليه السلوك الذي تريده الفكرة فأئ رجل الأعلام يكون قد نجح في تحقيق غرضه) (١) .

تتحدث الدكتور جيهان رشتي موضحة مهمة القائم بالاتصال فتقول : (إن القائم بالاتصال يأخذ باعتباره وهو يضع رسالته ، الشخص الذي سيستقبل تلك الرسالة ، فيتوقع الاستجابات المحتملة التي سيقوم بها متلقي الرسالة ويحاول أن يتنبأ بتلك الاستجابات فسي وقت مبكر) (٢) .

ولا شك أنه قد جرى اعداد الرسل الذين حملوا رسائل النبي صلى الله عليه وسلم على أساس المعرفة الشامة بكل ما يجب ان يعرفونه عن الأشخاص الذين أرسلوا اليهم . وخاصة فيما يتعلق بأديانهم ومعتقداتهم وبكل ما ذكرته كتبهم عن النبي محمد صلى الله عليه وسلم .

حامل الرسالة الإعلامية :

يعتبر حامل الرسالة الإعلامية هو نفسه رجل الأعلام الإسلامي وعلى

(١) الدكتور عبدالقادر حاتم . الأعلام والدعاية . نظريات وتجارب ص : ١٠٠

(٢) الدكتور جيهان رشتي . الأسس العلمية لنظريات الأعلام ص : ٣٩٨ .

هذا الأساس فإننا في هذا البحث سنستعرض أسلوب الحوار الذي اتبعه حاطب بن أبي بلتعة حامل رسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المقوقس عظيم القبط ، كشال لرجل الأعلام الأسلامي في هذا المجال .

خرج حاملو رسائل رسول الله صلى الله عليه وسلم الى ملوك ووزعما العالم ، من المدينة المنورة كل واحد منهم متوجه الى الجهة التي أرسله رسول الله صلى الله عليه وسلم اليها . فتوجه حاطب بن أبي بلتعة قاصدا مصر عبر الصحارى والقفار ، فلما وصلها ذهب منها الى الأسكندرية حيث كان المقوقس في مجلس شرف له في مصيفه على البحر .

فركب حاطب سفينة اليه وحاذى مجلسه ، وأشار بالكتاب اليه ، فلمّا رآه أمر باحضاره بين يديه . فلما جيء به اليه ووقف بين يديه ونظر فسي الكتاب فضه وقراه ودار بهنهما الحوار التالي :

(المقوقس لحاطب : ما منعه أن كان نبيا أن يدعو على من خالفه وأخرجه من بلده الى غيرها أن يُسلط عليه ؟

حاطب : أليس تشهد أن عيسى بن مريم رسول الله فما له حيث أخذ قوسه فأراد أن يقتلوه ، ألا يكون دعا عليهم أن يهلكهم الله تعالى حيث رفعه اليه .

المقوقس : أحسنت أنت حكيم من عند حكيم .

حاطب : إنه كان قبلك من يزعم أنه الرب الأعلى (يقصد فرعون) فأخذه الله نكال الآخرة والأولى ، فانتقم منه . فاعتبر بغيرك ولا يعتبر بغيرك بك . أن هذا النبي دعا الناس فكان أشد هم عليه قريش وأعداءهم له اليهود وأقربهم منه النصارى . ولعمري ما بشارة موسى بعيسى عليهما السلام إلا بشارة عيسى بمحمد صلى الله عليه وسلم .

وما دعأؤنا إياك الى القرآن ، إلا كدعائك أهل التوراة الى الأنجيل . وكل نبي أدرك قوما فهم أمته . فالحق عليهم أن يطيعوه ، فأنت ممن أدرك هذا النبي ، ولسنا ننهك عن دين المسيح بل نأسرك به ، ويقصد حاطب بدين المسيح وليس المسيحية .

المقوقس : إنني نظرت في أمر هذا النبي فوجدته لا يأمر بمزهود فيه ، ولا ينهى عن مرفوب فيه ، ولم أجده بالساحر الضال ولا الكاهن الكذاب ، ووجدت معه آلة النبوة باخراج الغيب (المستور) ، والأخبار بالنجوى ، وسأُنظر . ثم وضع كتاب النبي صلى الله عليه وسلم في علبة من العاج وختته ودفعه الى وصيفته (١) .

لبث حاطب في ضيافة المقوقس خمسة أيام أكرم فيها مشاء ولقيته في اثنتائها مرة بعد مرة واستمر بينهما الحوار .

ودار حوار آخر كان بينهما في اجتماع مغلّق كما يُعبرون الآن :
(المقوقس : أسألك عن ثلاث .

حاطب : لا تسألني عن شي ، إلا صدقتك .

المقوقس : ما الذي يدعو اليه محمد ؟

حاطب : يدعو الى أن نعبد الله وحده ، ويأمر بالصلاة خمس صلوات في اليوم والليلة ، ويأمر بصيام رمضان وحج البيت ، والوفاء بالمعهد ، وينهى عن أكل الميتة والدم .

المقوقس : صفه لي .

حاطب : (وصفت فأوجزت)

(١) انظر كتاب : كتاب الوحي للدكتور أحمد عبد الرحمن عيسى ص : ١١٣ - ١١٤ - ١١٥ - ١١٦ دار اللوا
وكتاب الاعلام الاسلامي للدكتور ابراهيم امام ص : ٥٣ - ٥٤ الانجلومصرية ، وكثات الاعلام
في صدر الاسلام للدكتور عبد اللطيف حمزه ص : ١٥٢ - ١٥٣ دار الفكر العربي والسيرة
الحلبية ج ٣ ص : ٢٨١ .

المقوقس : بقيت أسبياً* لم تذكرها . فى عينه حُمرَةٌ قلمسا تفارقه وبين كفيه خاتم النبوة يركب الحمار ويلبس الشملة ويجتزئ بالثعرات والكسرة ولها لى من لاقى من عم أو ابن عم . هذه صفته وكنت أعلم أن نبيا قد بقى وكنت أظن أن مخرجه بالشام وهناك كانت تخرج الأنبياء* من قبله فأراه قد خرج من أرض العرب فى جهد وبؤس والقبط لا تطاوعنى فى اتباعه وسيظهر على البلاد وينزل أصحابه من بعده بساحتنا ، حتى يظهروا على ما هاهنا وأنا لأنى كى للقبط من هذا حرفا واحداً ولا أحب أحداً أن يعلم بمحادتى هذه إياك (١)

ولقد كان من نتيجة أسلوب الحوار الهنا* الذى اتبعه حاطب بن أبى بلتعة مع ملك القبط وطريقة العرض التى اعتمدها على الذكاء والحكمة والجدال بالحسنى، أن رق قلب المقوقس وكاد يخفق بالأسلام ولكنه لم يُسلم كما أخبر بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقد أرسل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم رسالة جوابية مع بعض الهدايا من بينها جاريتان هما مارية القبطية أم إبراهيم بن رسول الله صلى الله عليه وسلم واختهما سيرين (٢)

وهذا نص الرسالة التى بعث بها المقوقس إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد بدأها باسم رسول الله صلى الله عليه وسلم وجعل اسمه بعد اسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يدل على أنه قد تأثر تأثراً بالغا بأسلوب ولباقة رجل الأعلام الأسلامى حاطب بن أبى بلتعة الذى أحسن وأتقن مهمته الإعلامية على خير وجه .

(١) الأصابة ج ٤ ص ٥٠٣ والطبقات الكبرى ج ١ ص ٢٦٠ والسيرة الحلبية ج ٣ ص ٢٨١

كنز العمال ج ٥ ص ٣٢١ .

(٢) انظر كتاب : كتاب الوحي الدكتور أحمد عبدالرحمن عيسى ص ١١٦ .

جواب المقوقس :

(لمحمد بن عبد الله من المقوقس :

سلام، أما بعد : فقد قرأت كتابك وفهمت ما ذكرت وما تدعوا اليه وقد علمت أن نبا قد بقي ، وقد كنت أظن أنه يخرج بالشام ، وقد أكرمت رسولك وبعثت اليك بجاريتين لهما مكانة في القبط عظيم

ومكسوة ، وأهديت اليك بغلة لتركيبها والسلام . (١)

ولا شك أن الطريقة المثلى التي اتبعها رجل الأعلام الإسلامي في حوارهِ مع ملك القبط تمثل القاعدة الأساسية لأسلوب الاتصال الشخصي المباشر وذلك من خلال التوصيات والتعليمات التي رعى رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه الكرام عليها وأعد لهم لها من خلال صحبتهم الطويلة له .

وهنا تكمن اسرار الدعوة الإسلامية في اعداد الرجال وتأهيلهم تأهيلا يمكنهم من القدرة على التأثير المباشر والأقناع الذى يؤدى الى تغيير الطباع الشخصية والسلوكية لدى الآخرين .

ولا شك أن هؤلاء الدعاة قد اتخذوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم المثل الأعلى لهم في الحياة الدنيا فكانوا بذلك يمثلون القدوة الحسنة ايضا لرجل الأعلام المسلم وذلك من خلال إجادتهم واتقانهم للأساليب الإعلامية المختلفة التي مارسوها أثناء اتصالهم الميدانية بالناس ، ويتنوع هذه الأساليب بتنوع درجات الأقناع والتأثير فربما شخص تقنعه الحجة العقلية عن طريق الذهن والوعى وآخر تغاطبه عن طريق الحس والوجدان ، وثالث تصل اليه عن طريق القصص والخيال ، من اجل ذلك كانت اساليب القرآن الكريم متعددة ولكنها جميعا تصل الى أعماق الضمير الانساني ، وهذا نستطيع أن ندرك أن الرسول صلى الله عليه

(١) الدكتور محمد حميد الله . الوثائق السياسية للعهد النبوى والخلافة الراشدة

ص : ١٠٢ . دار الأرشاد الدكتور احمد عبد الرحمن عيسى من كتاب -

كتاب الوحي ص : ١١٦ ، دار اللؤلؤ وكتاب الأعلام في صدر الإسلام :

لعبد اللطيف حمزة ص : ١٥٣ .

وسلم ، كان جد يسرا باختيار من يمثلونه لأعلام الرجال مثل : المقوقس ، وهرقل وغيرهم من ملوك و زعماء العالم ، فقد كان عليه الصلاة والسلام أكثر الخلق فراسة في اختيار الرجل المناسب للمكان المناسب .

هذا ولنستمع الى الدكتور محي الدين عبد الحليم وهو يتحدث بأعجاب كبير عن اسلوب العرض والاقناع الذى اتبعه حاطب في هذا الحوار . يقول الدكتور محي الدين : (وقد ضرب حاطب بن أبي بلتعة أروع الأمثلة في سعة الأفق وسرعة البديهة وقوة الاقناع فسيحدثه مع المقوقس ، وهذا يتطلب شرطين أساسيين للتحدث هما :

١- الأيمان القوى الراسخ بما يقول .

٢- الثقافة الواسعة والمتعمقة بما يقول .) (١)

ولا بأس أن نستعرض تحليلا أعلاميا مختصرا لأسلوب الحوار الذى اتبعه حاطب مع المقوقس . فعندما قال المقوقس لحاطب : ما منعه ان كان نبيا أن يدعوا على أعدائه فيسلط عليهم ؟

أجابه حاطب بجواب مفعم ، وقال له : ما منع عيسى بن مريم (وهو النبي الذى تؤمنون به) من أن يدعوا على أعدائه وينشر دعوته أيضا . فقد أحدث هذا الرد أثره العميق فسي نفس المقوقس وقد تابع حاطب كلامه ، فضرب له الأمثال الحية بمن كان قبله وكيف أنه أصبح عبرة لغيره ، وحذره من أن يكون هو أيضا عبرة لمن يعتبر ، وألزمه الحجة ، باتباع هذا النبي الذى جاء على زمانه ، وضرب له مثلا حيا ، عندما قال له : ولعمري ما بشارة موسى بعيسى عليهما السلام ، الا كبشارة عيسى بمحمد صلى الله عليه وسلم ، وأن الأسلام لم يأت للقسا على النصرانية بل جاء لتصحيح مسارها ، وهو يكتفي عن سواء من الأديان . وهكذا نستطيع أن ندرك كيف مارس رجل الأعلام الأسلامي الاتصال الشخصي المباشر بنجاح تام . يقول د . محي الدين عبد الحليم (وتؤكد هذه الرسالة أن محمد صلى الله عليه وسلم قد أرسى دعائم الاتصال الشخصي المباشر ، وهو اسلوب من أنجح أساليب الأعلام وأكثرها تأثيرا .) (٢)

(١) الدكتور محي الدين عبد الحليم المرجع السابق ص ١٨٥ . مكتبة الخاتمي بمصر

(٢) الدكتور محي الدين عبد الحليم المرجع السابق ص ١٨٦ .

ولاشك ان هذه النتائج الأيجابية التي حققتها الرسائل النبوية الكريمة في مجال الأعلام التحريري الدولي ، واسلوب الحوار الشخصي المباشر ليؤكد بما لا يدع مجالا للشك بأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قام بوضع القواعد الأساسية الصحيحة لفن الاتصال الشخصي المباشر . يقول الدكتور عبد اللطيف حمزة (وهكذا أثبت التاريخ أن محمداً أول من زاول "الاتصال الشخصي المباشر" من وسائل الأعلام القديمة وذلك عن طريق الوفاة وطريق الرسالة ، وأن ما لا شك فيه أن العرب في الإسلام كانوا أقدر على ممارسة هذه الوسيلة من وسائل الأعلام منهم في الجاهلية ، لا لشيء إلا لأختلاف القيم التي كانت تحكمهم في الجاهلية ، وقد رأينا أن القيم التي كانت تحكم المجتمع العربي في الجاهلية كانت قيماً سلبية في أكثرها على العنف والشر بينما كانت القيم التي حكمت العرب في الإسلام كانت تبنى على التقوى والأيمان وفي ظل هذه القيم الأخيرة نجح الفن الذي مارسه الرسول صلى الله عليه وسلم وهو فن الدبلوماسية) .

وكما أن الإسلام قد أهتم بحامل الرسالة الإعلامية فإنه أي- الإسلام قد ضرب مثلاً رائعاً على أهتمامه بمتلقي الرسالة الإعلامية أيضاً ، ويتضح ذلك من خلال اسلوب الحوار البناء الذي دار بين حاطب بن أبي بلتعة والمقوقس وكيف حاول رجل الأعلام الإسلامي أن يدخل الى قلب المقوقس عندما قال له أن الإسلام لم يأتي للقضاء على النصرانية وإنما جاء لتصحيح مسارها وبأن الإسلام لا ينكر نبوة عيسى بن مريم ، بل يعترف بها وجميع الرسالات السماوية السابقة ، وهذا ويتبين أهتمام الإسلام كذلك بمتلقي الرسالة من خلال اسلوب الرسالة ذاتها . ذلك الاسلوب الذي يتضمن الدعوة الى الخير والنصح والهداية

(١) الدكتور عبد اللطيف حمزة : الأعلام في صدر الإسلام ص : ١٥٥-١٥٦ .

وعدم الإشارة الى التهديد أو السيطرة أو سلب الملك وبهذا يكون الأعلام الأسلامي قد أعطى متلقى الرسالة الإعلامية اهتماما كبيرا . تقول الدكتور جيهان رشتي (فالمتلقى هو أهم حلقة في عملية الاتصال ، وإذا لم يصل المصدر الى المتلقي بالرسالة ، يصبح وكأنه يتحدث الى نفسه . ومن أهم الأمور التي تؤكد هـا نظرية الاتصال ضرورة الاهتمام بالشخص الموجود في نهاية السلسلة أي المتلقي ، هذا الاهتمام بالمتلقي هو المبدأ الذي يوجه أى مصدر يقوم بالاتصال .)

نتائج الرسائل النبوية

لقد كان نداء التوحيد الذى أبلغه رسول الله صلى الله عليه وسلم لقرين منبذ أن بدأ بتبليغ رسالة الإسلام إليهم هو نفس النداء الذى دعا به رسول الله صلى الله عليه وسلم ملوك الدنيا الى عبادة الله وحده لا شريك له في فترة ما بعد الحديبية .

ونجد صدى النداءين الأول في خيال مكة والآخر في قصور ملوك العرب والعجم . وكلاهما نداء واحد يقرع الآذان ويملاء القلوب إجلالا ، وتحسن منه الأفئدة رأفة ورهبة . فهو في الحقيقة لا يعدو ، أن يكون نداء الوالد السنيى الذى يدعو الناس بعطف وحنان الى ما هو خير لهم في دينهم ودنياهم ، ولا شك أن هذا النداء الكريم قد يواجه هيجانا وانقلابا روحيا ، فكان للنداء ، الموجه الى ملوك العرب والعجم في بداية السنة السابعة ، قد أيقظ الشعور الحي فيهم ، فلم يتألكوا أن استجاب معظم هؤلاء الملوك والزعماء لنداء الحق والنبوة واتخذ آخرون جانب الصلح والمهادنة وارسلوا الكتب المملوءة بالأكرام والأعظام والأعتذار والهدايا الثمينة وهذه نتائج لبعض الرسائل .

ذكر جمع من المؤرخين والمحدثين أن هرقل حينما قدم عليه كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم مع دحية بن خليفة الكلبي . قال لدحية : (ويحك والله أنني لأعلم أن صاحبك نبي مرسل وإنه الذى كما نتظره ونجده في كتبنا ، ولكني أخاف الروم على نفسي ، ولولا ذلك لأتبعته فان هب الى ضغافر الأسقف فانكر له أمر صاحبكم ، فهو والله أعظم فتى الروم مني ، وأجوز قولاً عند هم مني ، فانظر ما يقول لك . فجاء دحية ، فأخبره بما جاء به من رسول الله صلى الله عليه وسلم الى هرقل ، وما يدعو اليه ، فقال ضغافر صاحبك والله نبي مرسل نعرفه بصفته ونجده في كتبنا باسمه ، ثم دخل فألقى ثيابا كانت عليه سود ، ولبس ثيابا بيضاء ثم أخذ عصاه فخرج على الروم وهم في الكنيسة فقال : يا معشر الروم ، أنه قد جاءنا كتاب من أحمد يدعونا فيه الى الله عز وجل ، وأني أشهد أن لا اله الا الله وأن أحمداً عبده ورسوله . قال : فوثبوا عليه وثبة رجل واحد ، فضره حتى قتلوه ، فلما رجع دحية الى هرقل ، فأخبره الخبر ، قال : قد قلت لك إنا نخافهم على

أنفسنا فضائير والله كان أعظم عند هم وأجوز قولاً مني ، وفي رواية أنه قال أخيه حين رمى الكتاب قال : أترمي بكتاب رجل بمأتيه الناموس الأكبر ؟ وقال لأبي سفيان أن كان ما تقوله حقاً فإنه نبي ، وليليلن ملكه ما تحت قدمي هاتين ، ولو كنت عنده لغسلت عن قدميه ولو أعلم أنني أخلص إليه لأحببت لقاءه . (١)

هذا ما كان من نتيجة الكتاب الذي حمله حية الكلبى الى هرقل . وقد رأينا كيف أن هرقل قد تأثر بهذا الكتاب وأراد الاستسلام لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم لولا خوفه على نفسه وعلى ملكه من أصحابه المتعصبين . كذلك فلقد رأينا نتيجة الكتاب الذى بعثه النبي صلى الله عليه وسلم الى العقوقس مع حاطب ، حينما قال له العقوقس : (اني قد نظرت في أمر هذا النبي فوجدته لا يأمر بمزهود فيه ولا ينهى عن مرغوب فيه ، ولم أجد به بالساحر الظال ، ولا الكاهن الكذاب . وأرسل الى النبي صلى الله عليه وسلم برسالة ودية بدأها باسم رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل اسمه ، وحمل مبعوث رسول الله صلى الله عليه وسلم الهدايا الفاخرة والتمينة ، وأرسل معه جيشاً يرافقه حتى بداية حدود بلده ، فوجد حاطب قافلة متوجهة الى المدينة المنورة فرافقها الى هناك . (٢)

وكان عند ما وصل عبد الله بن حذافة السهمي الى كسرى ودفع اليه كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، مزق كسرى الكتاب حينما رأى اسم رسول الله صلى الله عليه وسلم قد كتب قبل اسمه ، فلما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك ، قال : اللهم مزق ملكه . ولكن الكتاب بلغ أهدافه ، إذ حرك في كسرى رغبة ملحة في معرفة أخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم (فكتب كسرى الى باذان عامله على اليمن أن ابعث من عندك برجلين جلد يمن الى هذا الرجل الذى بالحجاز ، فليأتياني بخبره . فبعث باذان قهرمانه ورجلاً آخر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فبعث معهما كتاباً ، فقد ما المدينة ودفعاً بكتاب باذان الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، الذى يطلب به احضار النبي صلى الله عليه وسلم مع هذين الرجلين ، فتبسم النبي صلى الله عليه وسلم ثم دعاها الى الاسلام ، وفرائصهما

(١) صحيح البخارى ج ١ ص ٦١ باب بدى الوحي دار الفكر ، وصحيح مسلم ج ٣ كتاب الجهاد والسيره ص ١٣٩٤ . والطبرى تاريخ الرسل والملوك ج ٢ ص ٦٥٠ طبعة دار المعارف الطبعة الثالثة . والكامل لابن الاثير ج ٢ ص ١٤٤ طبعة دار الفكر بيروت .

(٢) انظر الطبرى تاريخ الرسل والملوك ج ٢ ص ٦٥٦ طبعة دار المعارف الطبعة الثالثة .

ترتعد ، وقال : ارجعنا عني يومكما حتى تأتياني الغداة فأخبركما بما أريد ، فجاء من الغد فقال لهما : أبلغا صاحبكما أن ربي قد قتل ربه كسرى في هذه الليلة لسبب ساعات مضت منها ، وأن الله تبارك وتعالى قد سلط عليه ابنه شيرويه فقتله ، فرجعا السى باذان بذلك فأسلم هو والابناء الذين باليمن . (١)

أما النجاشي (فأخذ بكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فوضعه على عينيه ونزل من سريره فجلس على الأرض تواضعا ، ثم أسلم وشهد شهادة الحق وقال : لو كنت أستطيع أن آتبه لأنتهه ، وكتب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بأجابته وتصديقه واسلامه لله رب العالمين على يد حامل رسالة رسول الله . (٢) وذكر ابن الأثير (أن المنذر بن ساوى والي البحرين لما جاءه العلاء بن الحضرمي بكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أسلم هو وأسلم جميع عرب البحرين ، وكان هذا الكتاب قد أعقب الكتب الستة مباشرة . (٣) وأما كتابه صلى الله عليه وسلم الذى ذهب به شجاع بن وهب الأسدى الى الحارث بن أبي شمر الغساني ، فان الحارث لم يسلم ، ولكن شجاع قال : (ان رجلا من حاشية الحارث اسمه مرى كان يسألني عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فكنت أحدثه عن صفته وما يدعو اليه فيرق حتى يغلبه البكاء ويقول اني قد قرأت الأنجيل فأجد فيه صفة هذا النبي بعينه ، فأنا أو من به وأصدق وأخاف من الحارث أن يقتلني ، فلما رجع شجاع قال : أمر لي بمائة مثقال ذهب ووصلني وأمر لي بنفقة وكسوة ، وقال أقرى رسول الله صلى الله عليه وسلم مني السلام ، فأخبرته ، فقال صلى الله عليه وسلم صدق ، وقال عن الحارث باد ملكه . (٤) أما فروة بن عمرو الجذامي الذى كان عاملا لقيصر على عمان من أرض البلقا ، فأسلم دون

-
- (١) انظر الطبقات الكبرى لابن سعد ج ١ ص ٢٦٠ طدار صادر بيروت . والكامل لأبْن الأثير ج ٢ ص ١٤٥ - ١٤٦ . دار الفكر بيروت .
 (٢) الطبقات الكبرى ج ١ ص ٢٥٨ - ٢٥٩ ، والكامل لأبْن الأثير ج ٢ ص ١٤٥ طدار الفكر بيروت .
 (٣) أبْن الأثير : الكامل ج ٢ ص ١٤٦ دار الفكر بيروت .
 (٤) أبْن سعد الطبقات الكبرى ج ١ ص ٢٦١ . دار صادر بيروت .

أن يكتب اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم . (١)

وأما هون بن علي الحنفي الذي بعث اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم سليط بن عمرو العامري ، وهو أحد الستة ، فقد قرأ كتاب النبي صلى الله عليه وسلم وأعجب به ، وكتب الى النبي صلى الله عليه وسلم يقول : (ما أحسن ما تدعو اليه وأجمله وأجاز سليط بن عمرو بجائزة وكساء أثوابا من نسج هجر ، ولكن الرسول صلى الله عليه وسلم أخبر بأنه لم يسلم .) (٢)

ومن خلال هذا التحقيق لنتائج كتب رسول الله صلى الله عليه وسلم في مجال الإعلام التحريري فإنه يمكننا القول بأن هذه الرسائل قد أدت دورها بنجاح كبير وأنها حققت أعظم النتائج الايجابية في هذا الميدان وكذلك في ميدان الاتصال الشخصي المباشر . وبهذا فإن الإسلام لم يقتصر في نشر دعوته على وسيلة إعلامية واحدة ولكنه كان رائدا وسباقا في كافة الميادين الإعلامية الفعالة . تقول الدكتور جيهان رشتي : (ان ريشة الكتابة ساعدت في تطوير الهندسة ، وبناء المدن والكتابة هي الوسيلة الأساسية التي جعلت دوره الحضارة تبدأ ، فكانت خطوة الى الأمام من الظلام الى النور ، فاليد التي قامت بملء صفحات جلد الماعز بالكتابة ، قامت ببناء المدن ، وتعلم الإنسان رسم ما يقوله (الحدث) ولغة العميون ، كما تعلم كيف يلون الفكر ويجعل له بناء أو كيانا بالحروف الهجائية .) (٣)

ولا شك أن الرسول صلى الله عليه وسلم عندما قام بهذا الأسلوب الإعلامي الناجح فإنه يكون قد أسس فن العلاقات السياسية بين الدول .

ويقول الدكتور عبد اللطيف حمزه في رده على ادعاءات المؤرخين : (ان الدبلوماسية " فن العلاقات بين الناس " بدأ في الفاتيكان على يد أحد الباباوات منذ أخذ هذا البابا يبحث بالوفود الى الملوك والأمراء لأغراض دينية وأخرى سياسية . ولكن الرسول صلى الله عليه وسلم قام بحركته الإعلامية الدولية في ممارسة هذا الفن من الاتصال قبل ذلك بسبعة قرون .) (٤) بمعنى أن النبي صلى الله عليه وسلم هو أول من مارس فن العلاقات السياسية

(١) ابن سعد الطبقات الكبرى ص ٢٦٢ . (٢) المرجع السابق ص ٢٦٢ .

(٣) الدكتور جيهان رشتي : الأسس العلمية لنظريات الإعلام ص ٣٧-٣٧٦ دار الفكر العربي .

(٤) د . عبد اللطيف حمزه : الإعلام في صدر الإسلام ص ١٥٥ دار الفكر العربي .

بين الناس .

وبهذه النتائج الإيجابية التي تحققت للدعوة الإسلامية من خلال فترة الهدنة التي أعقبت صلح الحديبية ، فإننا نستطيع القول بأن الأعلام الإسلامي ينشط في جو السلم لأن الدين الإسلامي يعتمد على الأقتناع والمنطق والبرهان والدليل الواضح والحجسة البالغة ، وهذا هو الجو الذي تنتعش فيه الدعوة الإسلامية ، وتبلغ أهدافها بنجاح . يقول الدكتور عبد اللطيف حمزة : (أثبت صلح الحديبية أنه عامل فعال من عوامل نشر الدين الإسلامي ، وأن هذا الدين ينمو في جو السلم أكثر مما ينمو في جو الحرب .) (١)

(١) الدكتور عبد اللطيف حمزة : المرجع السابق ص ١٢٠ .

الفصل الثالث

وعنوانه :

الأثر الإعلامي للغزوات والسرايا الحربية لفترة ما بعد الحداثة.

مبحث أول :

طبيعة الحرب في الاسلام :

ان القصد من دراسة الغزوات الحربية هو أن نسلط الضوء على الجوانب الإعلامية التي تم بواسطتها نشر الدين الإسلامي بين الناس عن طريق الغزوات والسرايا التي وقعت بعد صلح الحديبية والتي فتحت الله بها على الدعوة الإسلامية بالانتصارات الإعلامية الرائعة ، تلك الانتصارات التي ساعدت على توطيد دعائم الدين الإسلامي الحنيف في كافة انحاء الجزيرة العربية .

وقبل الدخول في تفاصيل تلك الحملات العسكرية والسرايا الاستطلاعية الحربية التي أرسل بها الرسول صلى الله عليه وسلم الى بعض المناطق التي سيرد ذكرها ، لا بد لنا في البداية من توضيح طبيعة وأهداف الحرب في الإسلام .

ان ما لا شك فيه أن للإسلام في هذه الحياة قضية كبرى ، يخوض على أساسها معارك متعددة الجوانب ، ليس القتال الدامي إلاّ احد صورها المتعددة ، ألا وهي قضية التكليف الذي وضعه الله سبحانه في هذه الأمة بالدعوة الى سبيله سبحانه وتعالى في تبليغ الرسالة الخاتمة .

قال تعالى : ((تبارك الذى نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا)) (١)

وقال جل شأنه : ((وما أرسلناك إلاّ كافة للناس بشيرا ونذيرا .)) (٢)

ومن خلال هذه الآيات تتضح عالمية الدعوة الإسلامية وشمولها كما ويتضح أيضا التكليف الذي وضعه الله سبحانه لأمة الإسلام لحمل أمانة تبليغ الرسالة الخاتمة .

ولما كانت رسالة الإسلام هي الرسالة الخاتمة لجميع الرسالات السماوية ، فإنه من الطبيعي ان يكون الدين الإسلامي الحنيف شاملا لجميع صفات الكمال التي توهله بأن يكون ديننا شافيا لجميع امور الناس على اختلاف اجناسهم وألوانهم في كل زمان ومكان .

(١) سورة الفرقان الآية (١) .

(٢) سورة سبأ الآية (٢٨) .

فهو د ين يفي بحاجة الإنسانية جمعاء ويصون وحدتها ، وإن تشريعاته تضمن قيام الإنسانية كلها في محيط واحد لا تنزع معه الى عصبية دم ، أو أختلاف لون ، أو فرقة جنس . وكذلك اتساقه مع حقائق الكون وخصائص الوجود الإنساني ، إذ لا يتعارض مع الحقائق الكونية ولا يختلف مع منطق الفكر فهو د ين الله القويم خالق هذا الكون .

وهذه الخصائص يتضح كمال هذا الدين وشموله وأهليته وعالميته ومن هذه الصفات والميزات العظيمة تأتي مهمة التكليف بالدعوة الى الله سبحانه التي هي في الحقيقة مهمة الأعلام الإسلامي بحمل هذه الدعوة الى الناس بكافة الطرق والوسائل المشروعة . وهذا التكليف واجب على كل مؤمن ومؤمنة بغض النظر عن القبول أو الرفض من الناس ، إذ لا يُعفى المسلمون من مهمة تبليغ الدعوة الى الناس بنصوص القرآن والسنة . قال تعالى : ((وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا)) (١)

وإن ما لا شك فيه أن حمل الدعوة الى الناس يتطلب إزالة الحواجز والموانع والمعوقات التي تحول دون وصول هذه الدعوة اليهم .

ومن هنا تبدأ مهمة الإسلام في خوض معركة التصحيح الشامل التي حجبت ولا زالت تعجب الحق والنور المبين عن أعين الناس وقلوبهم وذلك بفعل طواغيت الأرض في كل زمان ومكان .

وما أن الإسلام جاء لأصلاح كافة شؤون الحياة فإن معركة التصحيح الشامل تقضي بأن يكون في معركة مستمرة ودائمة وذات جوانب متعددة : فهو في معركة مع الانحراف عن التوحيد ترمي الى تحرير العقول من الشرك والشك والخرافة والوهم والجمود على موروثات الباطل ، وتقليد الآباء في الضلال ، وهو في معركة مع النفوس والضماير ترمي الى إقامتها على منهج الفطرة السوى . . . في صفائه وطهره ونقاؤه ونوره ، حتى لا تستبد بها الأهواء ، ولا تستغرقها الشهوات فتشدها الى تراب الأرض وتكبلها بأغلال الحياة ، وهو في معركة مع الأوضاع الفاسدة . . . في علاقات البشر وشئون الحكم والتربية ونظم الاجتماع والاقتصاد وسائر ضروب النشاط الإنساني .

وهكذا فلن الإسلام في معركة عامة وشاملة ودائمة ليس القتال إلا بعض صورها ،
ووسائلها المتعددة ، فإذا كانت ظروف إيصال الدعوة إلى الناس تلجأ إليه أحياناً ، وإذا
كانت النفوس تندفع في بعض المواطن طلباً لخصوص ميادينه ، فليس مرد الأمر في ذلك إلى
حب القتال من أجل القتال أو سفك الدماء ، وإنما الغرض من ذلك هو التصحيح الشامل
وتقويم الانحراف وإصلاح المجتمع ودفع الفتن وقطع دابر الفساد وإنقاذ البشر من الفوضى
والاضطراب وحماية الحق من العابثين واستئصال جذور الشر من حياة البشر ، وصيانة
قيم الخير في الأرض ، وإتاحة الفرصة للبشرية أن تنعم بظلال المبادئ السمة الخيرة في
كل ميدان من ميادين الحياة .

لهذا فالأعلام الإسلامي في معركة تصحيح جذرى شامل لما كانت عليه حياة الناس
في قبضة الجاهلية وأوضاعها الفاسدة ، وتقاليدھا المدمرة ، وأحكامها المطبوعة من ضلال
في العقيدة ، وانحلال في الخلق ، وضماح لمقومات الوجود الأنساني وعدوان على الضعفاء
وهدر للحقوق ، وإزهاق للنفوس .

والمسلمون مكلفون بالأعداد لمقاومة البغي ، ومقاومة الظلم والفساد ومنازلة قوى الشر ،
حتى لا تستذل الرقاب ، ولا يشتد ساعد الباطل ، ولا ينال من المسلمين عدوهما كان ،
من دينهم أو كرامتهم أو ديارهم . قال تعالى : ((وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن
رباط الخيل ترفعون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم ، الله يعلمهم وما
تنفقوا من شيء في سبيل الله يؤفّ اليكم وأنتم لا تظلمون)) (١)

وبهذه المعاني العظيمة والمبادئ السامية يبدو واضحاً للجميع أن المسلمين إنما
يخوضون معركتهم في سبيل الله لا يطلبون أن يتلوكوا رقاعاً من الأرض ، أو يستولوا على مرافق
غنية بالثروات ، أو يستعمروا شعوباً لتسخيرها لأربادية أو مطامع دنيوية ، فذلك كله فسي
مقياس الإسلام ظلم وعدوان ، يتنافى مع شريعة الله التي تأبى التسلط والاستغلال ، وتعمل على
سيادة سيادى العدالة والحرية وكرامة الإنسان . قال تعالى : ((الذين آمنوا يقاتلون
في سبيل الله والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت فقاتلوا أولياء الشيطان إن كيد
الشيطان كان ضعيفاً .)) (٢) .

فالحرب وإن ، وإن كانت إحدى الظواهر الطبيعية في حياة الناس ، فإن الإسلام ينظر إليها على أنه لا ينبغي للجوء إليها في حل المشكلات والمنازعات إلا بوصفها العلاج الحاسم والأخير الذي تفرضه الضرورة حين تخفق جميع الحلول الأخرى في مقاومة الطغيان ورد العدوان وإزاحة العقبات التي تحول دون استجابة الناس للهدى ودين الحق طوعية واختياراً دون قسر أو اكراه .

وإذا كانت العلاقات بين الناس قبل الإسلام قائمة على العداوة والبغضاء والخصومة والشر وفقدان روح الفضيلة والأخلاق ، وتحكيم نزعة القوة والبطش ، وانعدام أى رعاية للحق والعدل والسلام ، فإن الإسلام قد جاء بالمبادئ التي تضمن أسس تشريع أخلاقي وإنساني في علاقات الناس بعضهم ببعض ، وهي مبادئ ترتكز على صيانة كرامة الإنسان وحرمة ، وعلى ضمان العدالة والمساواة له . قال تعالى : ((يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم .)) (١)

ولما كانت الأمة الإسلامية هي الأمة التي تحمل مبادئ الحياة العليا ، وتحمل أمانة توطيدها وإقرارها في العالم ، فقد عني الإسلام بتربية العنصر الأخلاقي والإنساني لدى كل فرد مسلم ، فجاءت مبادئه هداً لكل مظاهر الفساد والتجاوز على المثل الإنسانية العليا . . . سواء كان ذلك فساداً في العقيدة أم كان ظلماً لشعب لآخر ، أو استغلال طبقة لأخرى ، أو تحكم أمة في أمة . فحيثما كان الفساد ، فإن الأمة الإسلامية ملزمة بمكافحته وإزالة قواه وتوفير الحرية والعدالة والكرامة لكل إنسان .

قال تعالى : ((كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله)) (٢)

ولكن الإسلام مع هذا دين يواجه الواقع ولا يفر منه ، ومادامت في الدنيا نفوس لها أهواء ونوازع ومطامع ، ومادام هناك هذا الناموس الذي يطبق على الأفراد والجماعات على السواء وهو ناموس تنازع البقاء ، فلا بد إذن من الأشتباك والحروب ، وحين تكون الحرب لردع المعتدي وكف الظالم ونصرة الحق ، والأنتصاف للمظلوم تكون فضيلة من الفضائل ، وتنتج الخير والبركة

(١) سورة الحجرات الآية (١٣) .

(٢) سورة آل عمران الآية (١١٠) .

والسمو للناس ، وحين تكون تحيراً وفساداً في الأرض واعتداءً على الضعفاء تكون رذيلة اجتماعية ، وتنتج السوء والشر والفساد في الناس ، ومن هنا جاء الإسلام ليقرر هذا الواقع يقول القرآن الكريم : ((ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا ، ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوى عزيز ، الذين إن مكاهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة ، وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور .)) (١)

وبذلك كانت أولى نظرات الإسلام الى الحرب أنها ضرورة اجتماعية ، أو شر لا بد منه ، ألا لما يرجى من ورائه خير .

فإذا كان لا بد من وقوع الحرب فإن الإسلام وهو يحيطها بهذا الإطار الفريد ، يوجب إعلانها وعدم أخذ الناس بها على حين غرة ، تجنباً للفرد والبدع بالعدوان ، كما ينهي عن قتل الشيوخ والنساء والأطفال ، ويحذر المحاربين من أى سلوك يقع فيه التجاوز على المبادئ الإنسانية والروح الأخلاقية وكرامة بني الإنسان .

ويجدر بنا ونحن نستعرض أسباب واغراض الحرب في الإسلام أن نبين مراحل تشريع القتال في الإسلام .

مبحث ثان :

مراحل تشريع القتال في الإسلام :

معلوم أن تشريع القتال في الإسلام قد مر بمراحل متعددة في زمن النبي صلى الله عليه وسلم ولا بد من أن نتطرق إليها باختصار شديد :

١- ففي المرحلة الأولى من حياة الدعوة الإسلامية عند ما كان المسلمون مستضعفين فسيمة المكركة ، فإنه لم يسمح لهم بقتال .

وقد استمر الحال على ذلك حتى هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه الكرام إلى المدينة المنورة .

فلما استقر المقام للمسلمين في المدينة المنورة وأقام الرسول صلى الله عليه وسلم دعائم الدولة الإسلامية وكرّس عدد المسلمين واستعد الانتصار لحماية الرسول صلى الله عليه وسلم ، والدعوة الإسلامية ، فقد نزل الأذن من الله سبحانه بالقتال وذلك لرد العدوان والدفاع عن النفس والأهل والوطن والمال وكانت أول آية نزلت وفيها الأذن بالقتال هي قوله تعالى : ((أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وأن الله على نصرهم لقدير الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله الآية)) (١)

وعن سعد بن زيد رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :
" من قُتل دون ماله فهو شهيد ، ومن قُتل دون دمه فهو شهيد ، ومن قُتل دون دينه فهو شهيد ، ومن قُتل دون أهله فهو شهيد " . (٢)

٢- المرحلة الثانية : وفي هذه المرحلة فقد فُرض القتال على المسلمين لمن قاتلهم دون من لم يقاتلهم وذلك بقوله تعالى : ((وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين)) (٣)

(١) سورة الحج الآية : (٣٩) .

(٢) أخرجه أبو داود في سننه كتاب السنن باب قتال اللصوص ج ٥ ص ٢٨-١٢٩ . وأخرجه الترمذي في الديمات باب من قُتل دون ماله رقم الحديث (١٤٢١) وقال حديث حسن صحيح وأخرجه ابن ماجه في الحدود باب من قُتل دون ماله فهو شهيد رقم الحديث

(٢٥٨٠) .

(٣) سورة البقرة الآية (١٩٠) .

٣- المرحلة الثالثة : وفي هذه المرحلة جاء الأمر من الله سبحانه بقتال من يليهم من الكفار أولاً بأول وذلك بقوله تعالى : ((يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة واعلموا أن الله مع المتقين .)) (١)

٤- المرحلة الرابعة والأخيرة : وهذه المرحلة فقد جاء الأمر فيها من الله سبحانه بقتال المشركين كافة في كل مكان حيثما وجد هم المسلمون ، ما عدا الأشهر الحرم ، وذلك في قوله تعالى في آية السيف : ((فإذا انسלخ الأشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد ، فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم إن الله غفور رحيم .)) (٢)

ففي هذه المرحلة الأخيرة وعندما نزل الأمر بقتال المشركين ، فإن المسلمين كانوا يمتلكون أسباب القوة التي تمكنهم من تنفيذ هذا الأمر الكريم بالقتال ، وإلا فالسلمون مطالبون أولاً بالأعداد والاستعداد والأخذ بالأسباب التي تمكنهم من تحقيق النصر على أعدائهم قبل الدخول في القتال . والملاحظ من خلال هذا التدرج في تشريع القتال أن المسلمين عندما لم يسمح لهم بالقتال كانوا في مراحل الدعوة الأولى وإن قوتهم في تلك المرحلة لم تمكنهم من تحقيق النصر في أي قتال ، وقد تدرج التشريع حسباً مرتبه حاله المسلمين وقوتهم .

وبتلخص هذا التدرج بمشروعية القتال في الإسلام على الوجه الآتي :

- ١- كان في بداية الدعوة محرماً على المسلمين .
 - ٢- ما أن ونا به فقط من غير وجوب للدفاع عن النفس .
 - ٣- واجبا لمن قاتلهم .
 - ٤- فرضاً على المسلمين لعموم الكفار .
- وقد مر المسلمون بجميع هذه المراحل والتزموا بما أمرهم به الله ورسوله .

(١) سورة التوبة الآية (١٢٣) .

(٢) سورة التوبة الآية (٥) .

أغراض الجهاد في الإسلام

١- حماية الدعوة الإسلامية وتأمين حرية الدين للمؤمنين الذين يحاول الكافرون أن

يفتنوهم في دينهم وفي ذلك يقول الله عز وجل :

((وقالوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله ، فإن انتهوا ، فلا عدوان إلاّ على

الظالمين .)) (١)

٢- إزالة العقبات من أمام دعوة الحق حتى تصل الى الناس جميعا ويتحدد موقفهم منها

تحديدا واضحا .

وعلى ضوء هذا التحديد تكون معاملة الإسلام وأهله للناس ، فالمؤمنون إخوانهم

والمعاهدون لهم عهدهم ، وأهل الذمة يُوفى إليهم بدمتهم ، والأعداء المحاربون ومن

تُخشى خيانتهم يُنبذ إليهم على سؤا .

فإن عدلوا عن خصومتهم للمسلمين فيها ، وإلاّ حاربوا جزاء عدوانهم ، حتى لا يكونوا

عقبة في طريق دعوة الحق أو مصدر تهديد وخيانة للإسلام وأهله .

قال تعالى : ((ولما تخافن من قوم خيانة فانبذ إليهم على سؤا ؛ إن الله لا يُحسب

الخائنين .)) (٢)

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال : " قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أُمِرْتُ أَنْ

أُقاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ ، وَأَنْ يُقِيمُوا

الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ ، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ فَقَدْ عَصَمُوا مِنِّي دِمَائِهِمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّ

الْإِسْلَامِ وَحَسَابِهِمْ عَلَى اللَّهِ . " (٣)

(١) سورة البقرة الآية (١٩٣) .

(٢) سورة الأنفال الآية (٥٨) .

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه ، باب الأيمان ج ١ ص ١١ - ١٢ دار الفكر . وفي جامع الأصول ج ١ ص ٢٤٥ تحقيق عبد القادر الأرناؤوط . مطبعة الملاح .

وهكذا أتاح الجهاد جوا ملائما لحرية الاعلام الإسلامي ، وإن لم يكن للأكراد على اعتناق الإسلام ، بل على العكس كان قتالا لمنع الأكراد على البقاء في الكفر ، ومنع الظلم والعدوان ، وإتاحة الفرصة لتبليغ الرسالة مهما كلف ذلك من جهد . يقول الدكتور إبراهيم إمام : (الأصل في الجهاد أن يمهّد الطريق لحرية الأعلام الإسلامي ويُتِمِّح الفرصة أمام رجاله كي يُبَلِّغُوا الرسالة ويؤمنوا بالأمانة لأنّه صلى الله عليه وسلم بُعث رحمة للعالمين . (١)

فالسلمون وإن يجاهدون لرفع كلمة الله ، ويقاثلون لأزاحة العقبات عن طريق الدعوة إلى الله ، وهم يؤمنون بأن حرية الأعلام هي القاعدة الأساسية التي يختار على هديها الإنسان دين الحق . فلم يمس القتال لأزهاق الأرواح ، وإنما رغبة في إشاعة الدعوة إلى التوحيد ، وإعلام الناس بحقائق الدين القائم على الحق والحرية والعدل والأيمان بالله وحده . قال تعالى : ((كتب عليكم القتال وهو كره لكم ، وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم ، وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون .)) (٢)

وعلى هذا الأساس فالجهاد يفتح الطريق أمام دعوة مشروعة من الله سبحانه لأن الحق ليس سلبيا صامتا ، بل هو ناطق مبين ، ولا بد لبيان أن يصل إلى كافة الناس بحيث تتاح لهم الفرصة لمعرفة وإدراكه وفهمه ، وتواجته للاقتناع والأيمان به عن بهينة . ومن العيب القول بأن الحق يظهر وحده دون جهد إعلاني أو دعوة شارحة مفسره ، فالأعلام الإسلامي ضرورة حتمية لكمال الرسالة حتى يكون الكافر بعد ذلك قد كفر عن بهينة ، وبذلك يتحقق قوله تعالى : ((وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا)) . (٣)

ولا يتحقق مغزى بعث الرُّسُل إلا إذا تم التبليغ ، وحملته الأعلاميون والمرشدون والدعاة والمفسرون ، كما حمله الرسول صلى الله عليه وسلم ، وأوصى من بعده بأن يخلفوه في حملته وهذه هي رسالة الأعلام الإسلامي في تبليغ الدعوة الإسلامية .

(١) الدكتور إبراهيم إمام الأعلام الإسلامي ص ١٠ - ١١ مكتبة الأنجلو المصرية .

(٢) سورة البقرة الآية (٢١٦) .

(٣) سورة الأسراء الآية (١٥) .

يقول الدكتور محي الدين في حديثه عن أثر الجهاد وأهميته في تبليغ الدعوة الإسلامية والأعلام بالدين فيقول : (لا يستطيع أي مُنصف أن يُنكر الدور البارز الذي لعبه الجهاد في سبيل نشر الدعوة الإسلامية . وتعتبر غزوات الرسول صلى الله عليه وسلم أقوى عوامل انتشار الإسلام ، وهل نستطيع أن ننكر أن الفتوحات الإسلامية قد ساهمت بشكل فعال في نشر دعوة الإسلام على هذه الرقعة الفسيحة من الأرض ؟ ثم يتساءل فيقول : ولكن هل كانت هذه الفتوحات هدفها التوسع والسيطرة والسلطان على هذه الأمم ظلما وعدوانا ؟ إن الضابط الحقيقي لحركات المسلمين وسلوكهم هو كتاب الله سبحانه ، فالحق سبحانه يقول : ((وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين)) (١) . (٢)

والجدير بالذكر أن المسلمين لم يكونوا في جميع غزواتهم وحروبهم هم البادئين فسي القتال ، وإنما كانت حروبهم تتلخص برد العدوان وحماية الدعوة الإسلامية ، وتقوية هيبتها وحماية الدعاة المسلمين من غدر الغادرين أو إعداد المشركين لمهاجمة الدولة الإسلامية في المدينة المنورة . يقول الدكتور على حسن الخربوطلي : (لم يؤذن للرسول صلى الله عليه وسلم أبدا أن يبدأ بقتال أحد ولكن الحروب التي خاضها كلها كانت حروبا دفاعية بالدرجة الأولى ولم يدخل المسلمون في حروب مع الدولتين الفارسية والرومانية فيما بعد إلا بعد أن بدأوهم بالعدوان وقتل بعضهم من أسلم من القبائل المجاورة وعملوا على القضاء على هذا الدين الجدي الذي يهدد طموحهم وأطماعهم الاستعمارية في الجزيرة العربية) (٣) ثم يتحدث الدكتور شكرى فيصل عن أهداف الجهاد والفتوحات الإسلامية وأثرها في نشر الدعوة الإسلامية فيقول : (فالجهاد والفتوحات الإسلامية لم يكن هدفها العدوان والاستيلاء على أراضي الغير ولكنه التطلع النفسي الذي يثيره حق الدعوة في نفوس أصحابها ، فقد خرجت الجماعة الإسلامية داعية الى الله يملؤها هذا الاحساس الذي يوج صدور الدعاة ويتدفق في أعماقهم .) (٤)

(١) سورة البقرة الآية (١٩٠) .

(٢) الدكتور محي الدين عبد الحليم الاعلام الاسلامي وتطبيقاته العملية ص ١٦ مكتبة الخانجي بمصر .

(٣) على حسني الخربوطلي : تاريخ العالم الاسلامي ص ٣٦ ٣٧ .

(٤) شكرى فيصل : حركة الفتح الاسلامي في القرن الاول ص ١٠٩ .

الحالة العامة في الجزيرة العربية بعد الصلح

لقد أصبحت المنطقة الكاثنة جنوب المدينة المنورة منطقة أمينة بالنسبة للمسلمين بعد توقيع معاهدة الحديبية مع قريش بعد أن كانت هذه المنطقة أخطر ما يهدد الدعوة الإسلامية وذلك لأن فيها قبائل قوية ذات حضارة وعقيدة بينما كانت قبائل الشمال ، وحتى حدود العراق والشام ، قبائل بدوية معننة في البداوة ، ومما أن هدنة الحديبية قد حققت للمسلمين الاستقرار في المنطقة الجنوبية للمدينة المنورة ، فأنه لم يبق أية عوائق أمام انتشار الدعوة الإسلامية في كافة أنحاء المناطق الشمالية سوى خصمٍ فقط هما :

- ١- يهود في منطقة خيبر وما حولها .
- ٢- الأعراب في شمال المدينة المنورة .

وعلى هذا الأساس فإن متطلبات حماية الدعوة الإسلامية تقتضي إزالة العوائق والعقبات من طريقها حتى تصل إلى الناس جميعا بحرية تامة ودون إكراه على قبولها . ومن هنا كان لابد من الدخول في حرب وقائية لتحقيق هذه الغاية .

والجدير بالذكر أن منطقة خيبر كانت تمثل نقطة التجمع ومركز الثقل بالنسبة لليهود جميعا في كافة أنحاء الجزيرة العربية وخاصة بعد أن انضم اليهم يهود بني النضير ، الذين أجلاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم عن المدينة المنورة ، بعد أن خانوا العهد والميثاق مع المسلمين - كما دّتهم في ذلك منذ فجر التاريخ - وهموا باغتيال الرسول صلى الله عليه وسلم وهو في ديارهم . (١)

ثم هذا التجمع اليهودي الخبيث في خيبر وما جاورها على التآمر المستمر ضد المسلمين وتحريض القبائل العربية وجمع الأحلاف العسكرية ضدهم منذ وصول المسلمين إلى المدينة المنورة في السنة الأولى للهجرة ، وما غزوة الأحزاب الرهيبة إلا من نتاج أعمالهم المشينة .

ولم ينفك هؤلاء اليهود في خيبر وفدك وما جاورهما على التآمر والتحريض ضد المسلمين وإيوائهم أعدائهم وقذفهم بالتهم والتشبيب بأعراضهم والغدر بهم كلما وجدوا إلى ذلك سبيلا .

(١) انظر السيرة النبوية لابن هشام ج ٣ ص ١٩١-١٩٢ طبعة رئاسة البحوث العلمية - الرياض.

ومما يذكر أن اغتاقية الحديدية قد حرمت هو* لا* اليهود من معاونة قريش لهم فسي
مؤامراتهم وحرصهم ضد المسلمين ، فاستمالوا قبائل غطفان لمعاونتهم على مخططاتهم
الأجرامية الخبيثة والمستمرة .

إنهم كما هو معروف عنهم تاريخيا لا ينظرون إلا إلى مصلحتهم الخاصة ولا يُبالون كي
يحصلوا عليها أن يستخدوا أى وسيلة لذلك .

وعلى ضوء هذه الحقائق والأسباب جميعها قرر الرسول صلى الله عليه وسلم الدخول
في حرب وقائمه ضد هم في خيبر وما جاورها للقضاء على فتنهم العمياء وشرهم المستطير
وللتخلص من أقوى أعداء الإسلام في المنطقة الشمالية حتى تكون تلك المنطقة أمنة أمام
الدعوة الإسلامية والدعاة المسلمين وحتى لا تتكرر فتنة الأحزاب مرة أخرى . وهذا هو
السبب الرئيسي لهذه الحرب الوقائية . ويوضح هذه الحقيقة الدكتور عبد اللطيف حمزة
بقوله : (إن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يكن ينفى من وراء هذه الغزوات إلى توسيع
في الملك أو السلطان ونحو ذلك ، إنما كان يهدف إلى شيء واحد فقط هو تبليغ الدعوة
الإسلامية ونشر الإسلام ، فليس بينه وبين أعداء هذا الدين إلا أن يقولوا : لا إله إلا الله
محمد رسول الله) . (١)

والإسلام - كما هو معلوم للجميع - لم يكن ليجبر أحدا على اعتناق مبادئه ولكن يجب أن
يكون السلطان والحاكمة في الأرض لله وحده ، كما يجب الاعتراف بهذا السلطان والالتزام
بتأمين الدعوة والدعاة حتى يأخذ دين الله طريقه إلى قلوب الناس بحرية تامة . قال تعالى :
(لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي الآية . .) (٢)

(١) الدكتور عبد اللطيف حمزة الأعلام في صدر الإسلام ص ١٦٤ دار الفكر العربي .

(٢) سورة البقرة الآية (٢٥٦) .

مبحث ثالث :

الغزوات والسرايا :

١- غزوة خيبر : (١)

تاريخها : ذكر ابن هشام عن رواية ابن اسحاق انها كانت في المحرم سنة سبع .
قال ابن هشام : (أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة حين رجع من الحد يميصة
ذا الحجة وبعض المحرم ثم خرج في بقية المحرم الى خيبر .) (٢)
قائدها : كانت هذه الغزوة بقيادة رسول الله صلى الله عليه وسلم .
عدها : ذكر ابن الأثير أن عدد المسلمين الذين كانوا في هذه الغزوة يقدر بألف
وأربعمائة رجل ومعهم مائتا فارس . (٣)

هذا ولقد كانت راية النبي صلى الله عليه وسلم بيضاء في هذه الغزوة ومكتوب عليها لا
إله إلا الله محمد رسول الله . وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد دفعها الى القائد
المظفر على بن أبي طالب وقال له : " انزل بساحتهم ثم ادعهم الى الاسلام وأخبرهم بما
يجب عليهم من حق الله ، فوالله لأن يهدي الله بك رجلا واحدا خير من أن يكون لك حمر
النعم " (٤) .

الخطّة العسكرية : لقد كانت خطة الرسول صلى الله عليه وسلم تقوم على عزل خيبر عن
حلفائها من قبائل غطفان وعلى عدم تجمع القوات المعادية للمسلمين في مكان واحد ، لهذا
فقد أرسل عليه الصلاة والسلام مفرزة عسكرية صغيرة للقيام بهجوم خاطف على ديار غطفان ،
مما اضطرهم الى ترك يهود خيبر والرجوع الى ديارهم بسرعة ظنا منهم أن الهجوم موجه
ضد هم ، وهكذا فقد نجح الرسول صلى الله عليه وسلم في استخدام الحرب النفسية وإيقاع
الربح في نفوس محاربي قبيلة غطفان ومن ثم تشتيت تجمع هذه القوات .

-
- (١) خيبر : هي بلدة على شامية برد من المدينة المنورة لمن يريد الشام . ياقوت الحموي
معجم البلدان ج ٣ ص ٤٩٥ . دار بيروت للطباعة والنشر .
(٢) ابن هشام السيرة النبوية ج ٣ ص ٣٧٨ .
(٣) انظر الكامل في التاريخ ج ٢ ص ١٤٧ لابن الأثير . دار الفكر .
(٤) صحيح البخاري ج ٥ ص (٧٧) كتاب المغازي باب غزوة خيبر . دار الفكر .

وسا يذكر ان قوات اليهود في خيبر كانت تقدر بعشرة آلاف مقاتل . (١) ومعــد معارك طاحنة استطاع المسلمون بفضل الله سبحانه ثم بقيادة النبي صلى الله عليه وسلم الحكيمة من تحقيق الانتصار على يهود مما اضطرهم الى الاستسلام للمسلمين ، فصالحهم النبي صلى الله عليه وسلم على أن يكون لهم الحق في البقاء في بلادهم وحقق دوائهم واعفا نسايتهم وذرائعهم من السبي مقابل دفع الجزية للمسلمين والاعتراف بسلطان الاسلام والخضوع لأحكامه .

وكان هذا التسامح من النبي صلى الله عليه وسلم مع هؤلاء الفاديين بعد أخضاعهم عسكريا ، أما ما كانوا ليظفروا به لولا روح العطف والرحمة التي عاملهم بها النبي صلى الله عليه وسلم .

وهكذا وبهذه الشروط فقد تم استسلام بقية اليهود بدون قتال في مناطق فدك ووادي القرى وتيماء (٢) ، وهي مناطق تقع شمال المدينة المنورة حول خيبر .
٢- سرية بقيادة عمر بن الخطاب رضي الله عنه الى تربة (٣) في شعبان سنة سبع (٤) وعســد أفرادها ثلاثون رجلا (٥) .

٣- سرية بقيادة أبي بكر رضي الله عنه الى نجد في شعبان سنة سبع (٦) وهي دورية قتال صغيرة لتأديب بعض الأعراب من هوازن .

٤- سرية بقيادة بشير بن سعد الى فدك لتأديب بني مرة في شعبان سنة سبع (٧) وعســد أفراد هذه السرية ثلاثون رجلا (٨) .

(١) انظر مغازي الواقدي ج ٢ ص ٦٣٧ . عالم الكتب بيروت .

(٢) انظر مغازي الواقدي ج ٢ ص ٧٠٦ - ٧٠٧ - ٧١٠ - ٧١١ .

(٣) تربة : هي موضع على طريق صنعاء ونجران وتبعد مسافة أربع ليال من مكة (إبن سعد الطبقات الكبرى ج ٢ ص ٨٥ . وتسكن هذه المنطقة قبائل هوازن .

(٤) (٥) (٦) الواقدي . المغازي ج ٢ ص ٢٢٢ عالم الكتب بيروت .

(٧) (٨) المرجع السابق ص ٢٢٣ .

- ٥- سرية بقيادة غالب بن عبد الله الى الميعة (١) في رمضان سنة سبع (٢) وعدد أفرادها مائة وثلاثون رجلا . (٣)
- ٦- سرية بقيادة بشير بن سعد الى الجنب (٤) سنة سبع (٥) وعدد أفرادها ثلاثمائة رجل (٦) وهي حرب دفاعية ضد تجمع غطفان وعبيدة الذين أعدوا العدة للهجوم على المدينة .
- ٧- سرية بقيادة إبن أبي العوجاء السلمي في ذى الحجة سنة سبع (٧) وعدد أفرادها خمسون رجلا (٨) وهي مواجهة ضد بني سليم .
- ٨- سرية بقيادة غالب بن عبد الله الليثي بالكديد (٩) في صفر سنة ثمان (١٠) وعدد أفرادها بضع عشرة رجلا (١١) .
- ٩- سرية بقيادة كعب بن عيمر الى ذات أطلاق (١٢) في شهر ربيع الأول سنة ثمان (١٣) وعدد أفرادها خمسة عشر رجلا (١٤) .
- ١٠- سرية بقيادة شجاع بن وهب الى جمع من هوازن من أرض بني عامر في ربيع الأول سنة ثمان (١٥) وعدد أفرادها أربعة وعشرون رجلا (١٦) .

-
- (١) قال إبن سعد في الطبقات الكبرى ج ٢ ص ٨٦ . إنها وراة بطن نخلة الى النقرة بناحية نجد ، وبينها وبين المدينة ثمانية برد .
- (٢) مغازي الواقدي ج ٢ ص ٢٢٦ .
- (٣) الجنب . جاء في عيون الأثر ج ٢ ص ١٤٨ أنها من أرض غطفان .
- (٤) الواقدي المغازي ج ١ ص ٢٢٧ .
- (٥) الواقدي المغازي ج ٢ ص ٧٤١ .
- (٦) الكديد برفع أوله وكسر ثانيه . وهو التراب الدقاق المركل بالقوائم (ياقوت الحموي معجم البلدان ج ٤ ص ٤٤٢) .
- (٧) الواقدي المغازي ج ٢ ص ٧٥١ - ٧٥٢ .
- (٨) اطلاع . ذكر الواقدي أن اطلاع هي من أرض الشام وتسكنها قبائل بني فزاعة المغازي ج ٢ ص ٧٥٢ .
- (٩) المرجع السابق ص ٧٥٢ .
- (١٠) المرجع السابق ص ٧٥٣ .

١١- غزوة موته (١) .

في جمادى الأولى من السنة الثامنة للهجرة . (٢)

قادتها : عين رسول الله صلى الله عليه وسلم لهذه الحملة العسكرية ثلاثة من القادة

الأفذاذ بالتماقب وهم على التوالي :

١- زيد بن حارثة . القائد الأول فإن استشهد يكون :

٢- جعفر بن أبي طالب . القائد الثاني فإن استشهد يكون :

٣- عبدالله بن رواحة القائد الثالث .

فإن استشهد يصطحب المسلمون على رجل منهم .

وعدد أفرادها ثلاثة آلاف مقاتل (٣) .

وكانت هذه الحملة موجهة لتأديب القبائل التي تسكن على أطراف الجزيرة العربية

على حدود الشام بعد أن قتلوا الحارث بن عبيد الأزدي حامل رسالة رسول الله صلى الله

عليه وسلم إلى عامل هرقل على بصرى بالشام .

ولأهمية هذه الغزوة ، نرى أن نورد بعض التفاصيل المتعلقة بها . بدأ القتال بسين

قوتين غير متكافئتين عددًا وقوة ، حيث كانت قوات الروم وقوات القبائل العربية الموالية لهم

من لخم وجذام واليهقين والبهراء ويلي . فاستشهد القادة الثلاثة واحدًا بعد الآخر بعد

أن قاتلوا قتال الأبطال واستماتوا بالدفاع عن جمل الأسلام . ثم اصططح الناس على القائد

خالد بن الوليد الذي قرر الانسحاب من المعركة وتخليص قوات المسلمين من الفناء المحقق

نتيجة للتفوق الساحق لجيش الروم .

هذا وقد استفاد خالد بن الوليد من حلول الظلام ، فأعاد تنظيم الجيش الإسلامي ،

فألف مؤخرة قوية لحماية الانسحاب ، قامت هذه المؤخرة بأثارة النقع وبمشاركة قوات السروم

بقتال التمويق ، وقد انتشرت مؤخرة التمويق هذه على جبهة واسعة وأحدثت ضجة عالهمة

(١) موته : قال ابن سعد في الطبقات ج ٢ ص ٩٢ هي إسم موضع في أدنى البلقاء دون

دمشق .

(٢ - ٣) ابن هشام السيرة النبوية ج ٣ ص ٤٢٧ . دار الفكر .

لأيها العدو وبقدوم إمدادات جديدة للمسلمين ولعدم معرفة الجبهة الحقيقية التي انسحب إليها الجيش الإسلامي ، ولا شك أن هذه الخطة تعتبر إحدى أساليب الحرب النفسية التي استخدمها المسلمون في حروبهم ، وهي تشبه إلى حد كبير الخطة التي وضعها رسول الله صلى الله عليه وسلم في أعقاب معركة أحد ، وذلك لأرهاب المشركين حتى لا يؤكروا بالهجوم على المدينة ثانية . هذا وقد نجحت هذه الخطة العسكرية نجاحاً عظيماً فلم يتكبد المسلمون أية خسائر تذكر في هذا الانسحاب على الرغم من أن حركة الانسحاب تعتبر من أصعب الحركات العسكرية . (١)

ذكرت مجلة الفيصل السعودية تحت عنوان الحرب النفسية قالت : (الحرب النفسية سلاح قديم استعمل في الأزمنة الغابرة ، وقد استعمل المسلمون الأول الحرب النفسية الأبجائية أي قوة الإيمان وقوة الروح المعنوية ، فقد استطاعوا بعدد هم القليل وعدتهم المحدودة أن يتغلبوا على قوة تبلغ عشرات أضعافهم ، وقد استعمل النبي صلى الله عليه وسلم الحرب النفسية في مواقف كثيرة ، ففي معركة أحد بعد أن هزم المسلمون نتيجة لتركهم مواقعهم التي حدد لها لهم النبي صلى الله عليه وسلم للأسراع للاستيلاء على الفنائم ، فاستدار المسلمون راجعين وما أن شاهد الكفار فلولهم المتراجعة حتى فكروا في انتهاز الفرصة والقضاء عليهم نهائياً ، واستعدوا لذلك ، فشعربذلك النبي صلى الله عليه وسلم فأدرك خطورة الموقف فجمع من كان معه في المعركة ونظم صفوفهم وأمر الجنود بأثارة النقع (أي الفجار) فلما شاهد الكفار ذلك اعتقدوا أن إمدادات جديدة آتية للمسلمين فلولوا الأذبار متراجعين عما كانوا يريدون) (٢)

ويعتبر هذا النجاح الذي حققه خالد بن الوليد في تخليص جيش المسلمين من أمام قوات متفوقة عليه تفوقاً ساحقاً بدون خسائر تذكر ، يعتبر معجزة عسكرية كبرى كان لابد من الإشارة إليها لأهميتها عند ذكر غزوة مؤتة .

(١) انظر كتاب الرسول القائد للواء الركن محمود شيت خطاب ص ٢٠٦ دار مكتبة الحياة والنهضة بغداد .

(٢) مجلة الفيصل العدد (٣٨) ص ١٢٤ .

- ١٢- سرية بقيادة عمرو بن العاص الى ذات السلاسل (١) في جمادى الآخرة سنة ثمان (٢) وعدد أفرادها ثلاثمائة رجل ثم انضم اليهم أبو عبيدة بن الجراح بمائتين آخرين فأصبح الجميع خمسمائة رجل . (٣)
- وكانت هذه السرية موجهة ضد بني فضاة الذين تجمعوا للأغارة على المدينة المنورة .
- ١٣- سرية بقيادة أبي عبيدة بن الجراح الى حي من جبهة في الخبط (٤) على ساحل البحر الأحمر في رجب سنة ثمان (٥) وعدد أفرادها ثلاثمائة رجل (٦) .
- ١٤- سرية بقيادة أبي قتادة بن ربعي الأنصاري الى خضرة (٧) في شعبان سنة ثمان (٨) وعدد أفرادها خمسة عشر رجلاً (٩) . وكانت هذه السرية موجهة الى قبائل غطفان في نجد .
- ٥- سرية بقيادة أبي قتادة بن ربعي الأنصاري الى بطن لخم (١٠) في أول شهر رمضان سنة ثمان (١١) . وعدد أفرادها ثمانية رجال (١٢)

-
- (١) ذات السلاسل : هي موضع وراء وادي القرى ، بينها وبين المدينة عشرة أيام (ابن سعد الطبقات الكبرى ج ٢ ص ١٣١) . وقال ابن الأثير في الكامل ج ٢ ص ١٥٦ هي إسم ماء بأرض جذام وسميت تلك الغزوة بهذا الاسم .
- (٢-٣) الطبقات الكبرى لابن سعد ج ٢ ص ١٣١ .
- (٤) الخبط : هو ورق ينفظ المخابط ويطحن ويخلط بدقيق أو غيره (القاموس المحيط ج ٢ ص ٣٥٦) .
- (٥-٦) ابن سعد الطبقات الكبرى ج ٢ ص ١٣٢ .
- (٧) خضرة : هي أرض محارب بنجد ويسكنها قبائل غطفان . (معجم البلدان . ياقوت الحموي ج ٢ ص ٣٧٧ . دار الطباعة والنشر بيروت .
- (٨-٩) ابن سعد الطبقات الكبرى ج ٢ ص ١٣٢ .
- (١٠) لخم : بالكسر ثم بالفتح . ذو لخم : ماء يطؤه الطريق بين مكة واليمامة (ياقوت الحموي ج ١ ص ٢١٤ معجم البلدان) .
- (١١-١٢) ابن سعد الطبقات الكبرى ج ٢ ص ١٣٣ بيروت للطباعة والنشر .

مبحث رابع :

عمرة القضاء وأثرها الأعلا مي :

خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في شهر ذي القعدة من السنة السابعة للهجرة (١) يرافقه ما يقرب من الألفين من أصحابه الكرام متوجهين إلى مكة المكرمة لأداء عمرة القضاء ، في شوق المنطلق ، بعد منع وطول انتظار . ولم يتخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أحد . ممن شهد الحديبية ، إلا من أدركته الشهادة خلال المعارك التي دارت بين المسلمين ويهود في خيبر ، وقد خرج مع رسول الله صلى الله عليه وسلم جمع من المعتمرين الذين لم يشهدوا الحديبية .

قال الواقدي : (لما دخل هلال ذي القعدة سنة سبع ، أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه أن يعتصروا " قضاء " عمرتهم وألا يتخلف أحد ممن شهد الحديبية ، فلم يتخلف أحدًا شهدها إلا رجال استشهدوا بخيبر ورجال ماتوا ، وخرج مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قوم من المسلمين سوى أهل الحديبية ممن لم يشهدوا صلح الحديبية عسارًا فكان المسلمون في عمرة القضية الفين .) (٢)

والجدير بالذكر أن هذه العمرة قد سميت أيضًا بعمرة القصاص ، فقد قال ابن هشام : (ويقال لها عمرة القصاص لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم اقتصر من قريش ، فدخل مكة في ذي القعدة في الشهر الحرام الذي صدوه فيه من سنة سبع ، وبلغنا عن ابن عباس أنه قال : فأنزل الله سبحانه في ذلك ((الشهر الحرام بالشهر الحرام والحرمات قصاص)) (٣)) (٤) قال الواقدي : (حمل رسول الله صلى الله عليه وسلم معه السلاح والبهض والسدروع والرماح ، وقاد مائة فرس ، فلما انتهى إلى ذي الحليفة قدم الخيل أمامه ، وهي مائة فرس عليها محمد بن مسلمة) (٥) .

(١) الروض الأنف ج ٧ ص ٧ دار الكتب الحديثه .
(٢) مغازي الواقدي ج ٣ ص ٧٣١ عالم الكتب بيروت .
(٣) سورة البقرة الآية : (١٩٤) .
(٤) سيرة ابن هشام ج ٣ ص ٤٢٤ دار الفكر .
(٥) مغازي الواقدي ج ٣ ص ٧٣٣ عالم الكتب بيروت .

وقد اتجه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه الكرام من المدينة المنورة باتجاه مكة المكرمة في موكب مهيب يشق طريقه عبر القرى والوادي ، وكان كلما مر الموكب النوى بمنازل قوم من الذين كانوا يسكنون على جانبي الطريق الواصل بين المدينة المنورة ومكة المكرمة ، كان هؤلاء الأعراب يخرجون لمشاهد تلك المسيرة الضخمة التي لم يعتادوا على رؤيتها من قبل ، فقد شاهد هؤلاء الناس في تلك المناطق ذلك المظهر الإعلامي المعبر عن الأهداف النبيلة للدين الإسلامي العظيم ، حيث شاهدوا المسلمين وهم في زهم الموحد من الأحرام وهم يرفعون أصواتهم بالتلبية ويسوقون هدبهم في علاماته وقلائده في مظهر إعلامي لم تشهده المنطقة له مثيلاً .

حقاً إنها صورة إعلامية رائعة ومعبرة لها وقع هائل في النفوس وتعكس مفهومها إعلامياً خاصاً عن هذا الدين الجدي ، وعن مبادئ هذا الدين الذي يدعو إلى الفضيلة والعدل والوفاء بالعهد واحترام المقدسات والالتزام الكامل بمبدأ التوحيد للخالق عز وجل ، الأمر الذي أوجد عند الناس قدراً كبيراً من الأحاسيس والمشاعر التي تقربهم ذاتياً وعاطفياً من الإسلام والمسلمين ، ذلك ما أكسب الإعلام الإسلامي نجاحاً رائعاً بين عرب الجزيرة العربية .

والجدير بالذكر أن أخبار هذه الأحداث وصدى هذا التعاطف مع الإسلام والمسلمين لم يقتصر وقعه على تلك المنطقة من الجزيرة العربية فحسب ، ولكن أخباره انتشرت لتشمل معظم المناطق الأخرى من أنحاء هذه الجزيرة التي أصبح الإسلام والمسلمون حديث الساعة فيها ، وقد نتج عن ذلك التعاطف أن الناس أخذوا يشكون بآثار قرش واقتراحتها التي كانت تنبشها في المنطقة ضد المسلمين . وبهذه النتيجة فإننا نستطيع القول بأن التأثير السذي أحدثته هذه الرحلة كان له وقع كبير في نفوس عرب الجزيرة العربية بشكل عام . يقول الدكتور محي الدين عبد الحليم : (إن لكل وسيلة تأثيرها الخاص في نوعيات معينة من الجماهير قد لا تؤثر في نوعيات أخرى من الجماهير ، إلا أنه إذا اجتمعت الصورة والصوت في وسيلة واحدة كان لذلك وقع في النفوس يفوق استخدام أحدهما فقط بدرجة كبيرة .) (١)

(١) الدكتور محي الدين عبد الحليم الإعلام الإسلامي وتطبيقاته العملية ص . مكتبة الخانجي بمصر .

ولا شك أن نجاح العمليات الإعلامية يكمن في المقدرة على إبراز الحقائق الإعلامية وإظهارها للناس بشكل يستهوى نفوسهم ويعبر عن اتجاههم ويحرك عواطفهم ومشاعرهم ويشد انتباههم إلى ذلك الحدث مما يساعد على استمالتهم إليه بصورة واقعية ومؤثرة ومن ثم كسب تأييدهم وقبولهم له ، وإن ذلك من شأنه أن يوجه أنظار الناس تجاه ذلك الحدث وأن يكون لديهم رأيا مناسباً فيه .

ولا شك أن هذا الكسب الإعلامي لا يأتي إلا بعد أن يقتنع الناس بصدق الحقائق التي يبينها للناس عن طريق العرض الغني للوسائل الإعلامية الهادفة .

يقول الدكتور إبراهيم إمام : (الإعلام هو تزويد الناس بالأخبار الصحيحة والمعلومات السليمة والحقائق الثابتة ، التي تساعد هم على تكوين رأي صائب في واقعة من الوقائع ، أو مشكلة من المشكلات ، بحيث يعبر هذا الرأي تعبيراً موضوعياً عن عقلية الجماهير واتجاهاتهم وميولهم .) (١)

لقد علمت قريش بأخبار هذه الرحلة ، وبأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قادم الآن إلى مكة المكرمة يرافقه أصحابه الكرام وهم يحملون كامل أسلحتهم مما يتعارض وينود معاهدة الحديبية التي تنص على أن لا يحمل المسلمون معهم أي سلاح أثناء قدومهم إلى مكة ما عدا السيوف بالقرب ، فقد ذكر الواقدي في مغازبه قال : (فسار رسول الله صلى الله عليه وسلم ليبي والمسلمون يلبون ، ومضى محمد بن سلمة بالخيول إلى مر الظهران ، فوجد بها نفرا من قريش ، فسألوا محمد بن سلمة فقال : هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يصبح هذا المنزل غداً إن شاء الله . فرأوا سلاحاً كثيراً ، فخرجوا سراعاً حتى أتوا قريشاً فأخبروهم بالذي رأوا من الخيل والسلاح ، ففزعت قريش وقالوا : فغيبا يغزوننا محمد فسي أصحابه ؟ وبعثت قريش مكرز بن حفر بن الأخيف في نفر من قريش ، فقالوا يا محمد والله ما عرفنا صغيراً ولا كبيراً بالغدر ! تدخل بالسلاح الحرم على قومك ، وقد شرطت ألا تدخل

(١) الدكتور إبراهيم إمام : الإعلام الإسلامي ص ٢٧ مكتبة الأنجلو المصرية .

إلاّ بسلّاح المسافر ، السيوف في القرب ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا ندخلها إلاّ كذلك . ثم رجع مركز مسرعا بأصحابه الى مكة فقال : إن محمدا لا يدخل بسلّاح . وهو على الشرط الذي شرط لكم . (١)

والجد ير بالذكّر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان قد حمل السلاح للحبيطة والحذر من غدر قريش وقد وضعه في مكان قريب من مكة تحت الحراسة بحيث يستطيع الوصول اليه بسرعة عند الحاجة .

كان مظهرا إعلاميا رائعا عند ما بدأ الموكب النبوي الكريم يقترب من بهوت مكة المكرمة وأبنيتها شاقا طريقه باتجاه الكعبة المشرفة وهم في مظهرهم المهيّب ، وأصواتهم تشق عنان السماء بالتلبية . فقد ذكرت معظم كتب السير والمغازي أن قسما من أهالي مكة خرج الى رؤوس الجبال لينظر الى المسلمين من الأماكن العالية ، والقسم الأكبر وقف عند دار الندوة المجاورة للكعبة المشرفة آنذاك ليشاهدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه الكرام أثناء دخولهم مكة المكرمة وبيت الله الحرام .

وذكر ابن الأثير وهو يصف ذلك الحدث الهام قال (فلما سمع به أهل مكة خرجوا عنه ، وتحدثت قريش بينها أن النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه في عسر وجهد وحاجة فاصطفوا له عند دار الندوة لينظروا اليه ولأصحابه معه ، فلما دخلها اضطبع (٢) بردائه فأخرج عضده اليمنى ثم قال : رحم الله امرأة أراهم اليوم من نفسه قوة ، ثم استلم الركن وخرج يهرول ، ويهرول أصحابه معه وكان بين يديه لما دخل مكة عبد الله بن رواحة أخذها بخطام ناقته وهو يقول :

خلوا فكل الخير في رسولـــــــــــــــــه	خلوا بني الكفار عن سبيلـــــــــــــــــه
أعرف حق الله في قبولـــــــــــــــــه	يارب إني مؤمن بقلـــــــــــــــــه
كما قتلناكم على تنزيـــــــــــــــــه	نحن قتلناكم على تأويلـــــــــــــــــه
ويذهل الخليل عن خليلـــــــــــــــــه . (٣)	ضربا يزيل الهام عن قبيـــــــــــــــــه

(١) مغازي الواقدي ج ٣ ص ٧٣٤ عالم الكتب بيروت .
 (٢) الاضطباع : هو أن يُدْخَلَ بعض ردائه تحت عضده اليمنى ويجعل طرفه على منكبيه الأيسر .
 (٣) ابن الأثير الكامل في التاريخ ج ٢ ص ١٥٤ دار الفكر بيروت . والروض الأنف ج ٢ ص ٨

هذا وقد قصد الرسول صلى الله عليه وسلم بهذه الطريقة التي فعلها عند دخوله المسجد الحرام ، وهي الاضطباع ، والهرولة ، ورفع الأصوات بالتلبية ، أن يرهب قريشاً وأن يظهر لها قوة المسلمين وعزيمتهم وتمسكهم بدينهم ومناعة جبهتهم . وهذا الأسلوب من أساليب الحرب النفسية ، كان رسول الله صلى الله عليه وسلم عادة يستخدمه في مثل تلك المواقف للتأثير على نفسية أعدائه وإرهابهم ، وادخال الرعب في نفوسهم حتى لا يفكروا بالأعداء أو الغدر بالمسلمين ، فقد ذكر العقاد في وصفه لحماس المسلمين آنذاك قوله : (وأوشك عبد الله بن رواحة وقد هزته النخوة أن يصيح في قريش صيحة الحرب ، فنهاه عمر رضى الله عنه وأمره النبي صلى الله عليه وسلم أن ينادى ولا يزيد : " لا إله إلا الله وحده ، نصر عبده وأمر عبده وخذل الأحزاب وحده " ، فرفع ابن رواحه بها صوته الجهور وتلاه المسلمون يردونها وتهتز بها جنبات الوادى القريب . وكان الفتح الذى بصر به عيانا من لم يره يوم الحديبية بنور البصرة ، وأسلم من الضعفاء والأقوياء من كان عصيا على الأسلام : فريق منهم بهرهم وفاة النبي صلى الله عليه وسلم بمعجده مع استطاعته نقضه ، وفريق منهم راعهم عظمة الأسلام وتراحم المسلمين فيما بينهم وجمال ما بينهم وبين نبيهم من طاعة وتمكين ، وفريق منهم علموا أن العاقبة للأسلام فجنحوا الى طريق السلامة والسلام ، وحسبك أن عمرة القضاء هذه قد جمعت في آثارها من أسباب الاقناع بالدعوة المحمدية ما أقنع خالد بن الوليد وعمر بن العاص ، وهما في رجاحة العقل والخلق مثلاً متكافئان يحتذى بهما . (١)

لقد كان بحق منظراً إعلامياً رائعاً يأخذ بالألباب ويؤثر في النفوس عندما دخل النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه الكرام وأخذوا يطوفون في البيت ويعظمون الكعبة المشرفة وقريش ترقبهم وتنتظر اليهم من كل مكان من مكة المكرمة ، مما يُفقد كذب وأباطيل سادات قريش وأكابر مجرميها في كذبهم على الأسلام ونبي الأسلام ، بعد أن تبين للناس جميعاً في ذلك الموقف صدق الرسالة المحمدية ، وأن محمداً عليه الصلاة والسلام هو نبي مرسل من عند الله عز وجل بالهدى ودين الحق ، الأمر الذى جعل القلوب تتحول الى الحقيقة

وإن كانت الألسن لم تجروا أن تنطق بها كبرا وتنادا .

قال اللواتى الركن محمود شيت خطاب : (أثرت عمرة القضاء في هذه الفترة على معنىويات قريش تأثيرا كبيرا . فقد وقف الكثير من قريش عند دار الندوة بمكة ، كما عسكر آخرون فوق الهضاب المحيطة بها ليشاهدوا دخول الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه فلما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم المسجد اضطبع بردائه وأخرج عضده اليمنى ثم قال " رحم الله أمرا أراهم اليوم من نفسه قوة " ، ثم استلم الركن وأخذ يهرول أصحابه معه . فلم يكد يترك الرسول صلى الله عليه وسلم مكة حتى وقف خالد بن الوليد يقول في جمع من قريش " لقد استبان لكل ذى عقل أن محمدا ليس بساحر ولا شاعر وأن كلامه من كلام رب العالمين ، فحق على كل ذى لب أن يتبعه " . وسمع أبو سفيان بما كان من قول خالد بن الوليد ، فبعث في طلبه ، وسأله عن صحة ما سمع فأكد له خالد صحته فاندفع أبو سفيان إلى خالد في غضبه ، فحجز عنه عكرمة ، وكان حاضرا ، وقال : " مهلا يا أبا سفيان فوالله خفت للذى خفت أن أقول مثل ما قال خالد وأكون على دينه ، أنتم تقتلون خالد على رأي رأي . وهذه قريش كلها تابعت عليه . والله لقد خفت ألا يحول الحول حتى يتبعه أهل مكة كلهم " . وأسلم من بعد خالد بن الوليد عمرو بن العاص وحارس الكعبة نفسها عثمان بن طلحة . بل وظهر الأسلام في كل بيت من قريش سرا وعلاية .

وهذه النتيجة الطيبة يمكننا القول بأن عمرة القضاء هذه قد فتحت أبواب قلوب أهل مكة قبل أن يفتح المسلمون أبواب مكة نفسها . (١) انتهى كلام اللواتى الركن محمود شيت خطاب .

ما أعظم هذا الموقف الإعلامي الرائع الذى انتصر فيه الحق على الباطل وإن لكل ذى عقل من أهل مكة وغيرهم من الناس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن كما وصفته قريش وإن الدين الأسلامي هو الدين الحق الذى جاء من عند الله عز وجل .

(١) اللواتى الركن محمود شيت خطاب . الرسول القائد ص ٢٠٩ - ٢١ ط دار مكتبة الحياة - بغداد .

ولا شك أن هذا الموقف الأعلاي الرائع قد تجلى عن إظهار أصالة الأسلام العظيمة باحترامه للمقدسات والمحافظة على صلة الرحم وروح العطف والتسامح وحب الخير ، مما ملأ به قلوب الناس محبة واحتراما وإجلالا ، لهذا فقد أُقبل الناس على هذا الدين ينتشون اليه وقد أحس كل واحد من قريش وغيرها بأن لديه ميلا فطريا للانتماء الى الأسلام لأن الأسلام هو دين الفطرة ولما يتحلى به هذا الدين من صفات الخير والمحبة والكمال . وما أشبه هذا الموقف الأعلاي الرائع الذي انتصر فيه الحق على الباطل ، بموقف موسى عليه السلام عندما نصره الله سبحانه وتعالى على فرعون أمام جموع الناس الذين احتشدوا يوم الزينة لمشاهدوا المناظرة بين نبي الله موسى عليه السلام من جهة وبين فرعون وسحورته من جهة أخرى . وكما جاءت أحداث هذه القصة في القرآن الكريم ، فقد قال فرعون لسيدنا موسى عليه السلام : ((فاجعل بيننا وبينك موعدا لا نخلفه نحن ولا أنت مكانا سوى .)) (١) . فأختار موسى عليه السلام يوم الزينة ليكون موعدا لهذه المناظرة . ويوم الزينة هو يوم عيدهم الذي يجتمع الناس فيه لا يتخلف منهم أحد لا في زمان ولا في مكان . قال الشهيد سيد قطب : (واختار موسى عليه السلام الموعد يوم عيد من الأعياد الجامعة ، يأخذ فيه الناس في مصر زينتهم ، ويتجمعون في العيادين والأمكنة المكشوفة . قال : موعدكم يوم الزينة ، وطلب أن يجتمع الناس ضحي ، ليكون المكان مكشوبا ، والوقت ضاحيا في أوضح فترة من النهار واشدها تجمعا للناس في يوم العيد .) (٢)

وقد تحدث القرآن الكريم عن هذه المناظرة في هذه الآيات الكريمات : ((قالوا يا موسى إما أن تلقى وإما أن نكون أول من ألقى . قال بل ألقوا فإننا حبالهم وعصيهم يُخِمل اليه من سحرهم أنها تسعى . فأوجس في نفسه خيفة موسى . قلنا لا تخف إنك أنست الأعلى . وألقى ما في يمينك تلقف ما صنعوا إنما صنعوا كيد ساحر ولا يفلح الساحر حيث أتى . فألقى السحرة سُجداً قالوا آمنا برب هرون وموسى . قال آمنتُم له قبل أن آذن لكم انه لكبيركم الذي علمكم السحر فلا تقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف ولأصلبنكم في جذوع النخل

(١) سورة طة الآية : (٥٨) .

(٢) الشهيد سيد قطب : في ظلال القرآن . ج ٤ ص ٢٣٤ ط . دار الشروق .

ولتعلمن أننا أشد عذابا وأبقى . قالوا لن نؤثرك على ما جاءنا من البينات والسدى
فطرنا فأقصى ما أنت قاضى وإنما تقضى هذه الحياة الدنيا . إنا آتينا برينا ليغفر لنا
خطايانا وما أكرهتنا عليه من السحر والله خير وأبقى)) . (١)

ما أشبه موقف خالد بن الوليد من أبي سفيان بعد أن رأى الحق المبين واضحا أمام
عينيه بموقف السحرة من فرعون وما أعظم هذا الموقف الإعلامي الرائع على المشاهد يس .
فهذا خالد بن الوليد المخزومي ، بطل مكة المشهور ، وحامل اللواء وقائد الفرسان
أثناء المعارك ، ينجلي أمامه الموقف ليعلم أن الأسلام هو دين الله الحق الذى أرسل
الله به محمدا عليه الصلاة والسلام ليخرج الناس من الظلمات الى النور بأن الله
ويهدى بهم الى صراط مستقيم ، وأن كل ما قالته قريش وأفترت به على الأسلام ونبي الأسلام
انما هو محض افتراءات كاذبة . وهذا محمد عليه الصلاة والسلام ومعهم المسلمون يدخلون
مكة بحب واحترام ويطوفون بالبيت الحرام بشوق وحنين ، معظمين له بأحسن ما يكون
التعظيم ومحافظين على العهد الذى بينهم وبين قريش بأحسن ما تكون المحافظة . إن
هذا الدين والله هو دين الله الذى هو حق على كل ذى لب أن يتبعه . ويمضى خالد
بن الوليد ليقول قوله أمام قائد مكة وزعيمها أبي سفيان بن حرب ، لا يبالى بما يقوله من
الحق ويؤيده بذلك صديقه عكرمة بن أبي جهل رضى الله عنهما ويقف أبو سفيان مشدوها
لهذا التحول الكبير ويهدد خالد بالقتل تاما كما فعل فرعون مع السحرة عندما آمنوا بالله
الواحد القهار بعد أن رأوا الآيات بأعينهم واضحة حلية ، ولم يأبهوا بتهديدات فرعون
وانجلى الموقف عن إظهار الحق وخزى فرعون وجنوده أمام الناس المحتشدة يوم الزينة تاما
كما انجلى الموقف بالنسبة لأهل مكة وغيرهم من الناس الذين أعتشدوا فوق الجبال وعلسى
مداخل مكة المكرمة ليشاهدوا المسلمين أثناء دخولهم مكة المكرمة وتعظيمهم لبيت الله الحرام
ما جعل الناس بعد ذلك يدخلون في دين الله أفواجا .

انهما لموقفان رائعان ومتشابهان ، انتصر فيهما الحق على الباطل أمام تلك الحشود

الضخمة من الناس ، يقول الأستاذ الركابي : (إن سجود السحرة وإيمانهم بالله — نتائج البلاغ المبين الذي نجح فيه موسى عليه السلام واختار موسى أن يكون هذا الصراع في حشد من الناس أو في تجمع إعلامي عام) (قال موعدكم يوم الزينة وأن يحشركم الله يومئذ) .

لقد كان تأثير هذه العمرة على قريش وعلى عرب الجزيرة تأثيراً بالغاً ، لأنها تحمل في مضمونها مهمة إعلامية عظيمة . فقد كان العرب في قريش والجزيرة العربية قبل هذه العمرة لا يعرفون شيئاً له قيمة إعلامية عن هذا الدين ولا عن الغاية التي من أجلها ظهر هذا الرسول بهذا الدين ، فهو لم يظهر ليحدث الشقاق بين الناس كما زعمت قريش وكما بثت دعاياتها السيئة ألواناً مختلفة من الاقتراعات والأباطيل ضد الإسلام والمسلمين ، ولكن الله سبحانه بعثه لغايات كريمة وأهداف نبيلة وهي إصلاح هذه الدنيا بعد أن فسدت واستحال إصلاحها إلا عن طريق هذا الدين وتعاليمه السمة . (١)

(١) الأستاذ زين العابدين الركابي ، في النظرية الإسلامية للإعلام - مجلة المسلم المعاصر العدد العاشر ص ٤٥ .

قريش تنقض معاهدة الحديبية

لم يرق لقريش أن ترى الانتصارات الساحقة التي حققها المسلمون عقب صلح الحديبية في المجالين العسكري والسلمي . حيث أتاحت لهم هدنة الحديبية هذه التخلص من أعداء الدعوة الإسلامية عسكرياً ، هــمـفـاً من جهة ، كما أتاحت لهم تبليغ دعوتهم إلى جميع القبائل التي تسكن شمال المدينة المنورة حتى حدود العراق والشام من جهة أخرى . وقد انتشر الإسلام بين هذه القبائل العربية والقبائل الأخرى في شتى أنحاء الجزيرة العربية ، حتى أن هذه الجزيرة أصبحت بكاملها تقريباً تدين بالولاء للإسلام ، وبالزعامة والقيادة لمحمد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

لهذه الأسباب جميعها أخذ شيطان قريش يتحرك ، وخاصة بعد أن شاهد أبو سفيان - زعيم مكة وقائد ها - بشائر الدين الإسلامي تصل إلى ملوك الروم وزعماء العالم ، عند ما دعا هرقل امبراطور الروم ليسأله عن الإسلام ونبي الإسلام ، على أثر الرسالة التي تلقاها هرقل من رسول الله محمد عليه الصلاة والسلام (١) وكان ذلك الحدث ضمن فترة هدنة الحديبية .

وفي غمرة هذه الانتصارات الرائعة التي حققتها الدعوة الإسلامية في مختلف المجالات الإعلامية والعسكرية والسلمية عمدت قريش بالتواطؤ مع حليفاتها قبيلة بنو بكر بالاعتساف والأغارة على قبيلة خزاعة حليفة المسلمين التي تسكن على مقربة من مكة المكرمة ، وأخذها على حين غرة ، وذلك تحقيقاً لثارات قديمة بين هاتين القبيلتين ، حيث كانت شروط هدنة الحديبية قد وضعت حداً للصراع الطويل والدامي بين المسلمين وقريش من جهة وبين حلفاء كل من الطرفين المتنازعين من جهة أخرى .

فقامت فعلاً قبيلة بنو بكر بهجوم مباغت على قبيلة خزاعة ، تدعماً قريش بالسلاح وبيع بعض المتطرفين من الرجال بالآضافة إلى التأييد المعنوي .

وقد أسفر هذا الهجوم عن إيقاع خسائر جسيمة في الأرواح والأموال في حلفاء رسول الله

(١) انظر إلى هذه القصة في صحيح البخاري ج ١ ص ٥ باب بدى الوحي طبعة دار الفكر وفي معظم كتب السيرة النبوية .

صلى الله عليه وسلم ، ولم يمنع قبيلة بكر من مواصلة الهجوم وإيقاع القتل في قبيلة خزاعة حتى بعد أن التجأت الأخيرة للأحتماء بالبيت الحرام والتعلق باستار الكعبة ، أمام مرأى وسميع زعماء قريش ، غير مكترئين بما بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم من عهد وميثاق جرى توقيعه في الحديبية .

وبهذا الاعتداء الغادر فقد أنهت قريش وحليفاتها قبيلة بكر ، من جانبها هدنة الحديبية المعقودة بينهما وبين المسلمين . وهكذا فقد أصبح المسلمون في حل من اتفاقية الهدنة هذه .

وعلى أثر هذا الحادث الغادر بدأ الرسول صلى الله عليه وسلم استعدادات واسعة واستحضاراته العسكرية لفتح مكة المكرمة .

الدروس الإعلامية المستفادة من صلح الحديبية

لم يوهب نبي ما وهب رسول الله صلى الله عليه وسلم من قيادة ملهمة في تصريف الأمور تصريفا سياسيا وعسكريا وإعلاميا سليما .

ففي عهد الحديبية تجلى تدبير النبي صلى الله عليه وسلم في سياسة خصومه وسياسة أتباعه والأعتداد على السلم والعهد حيث يحسنان ويصلحان ، والأعتداد على الحرب والقوة حيث لا تحسن المواقف ولا تصلح العهود .

كان صلح الحديبية في حقيقته فتحا إعلاميا وعسكريا عظيما ، فتح الله به على رسوله وعلى المسلمين بالنصر والعزة ، دون أن تظهر للعيان حقيقته وأبعاده في حينه . ولكن لم يمض وقت طويل حتى تبين هذا الفتح المبين للجميع ، وأرؤه واستلأت عيونهم بالنظر إليه وتبين للناس السياسة الإعلامية الحكيمة التي اتبعها رسول الله صلى الله عليه وسلم في تحقيق غرضه الأساسي الذي جاء من أجله بدون قتال ولا سفك دماء .

ويوم أن نزلت الآية الكريمة على أثر إتفاق الحديبية : ((إنا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ويتم نعمته عليك ويهديك صراطا مستقيما ، وينصرك الله نصرا عزيزا)) (١) . لم يفقه الكثيرون معناها في حينها (٢) ، ولم يتبين موضع الفتح من ذلك الاتفاق ، ولكنهم فهموا أى فتح هو ، بعد أقل من سنتين ، وعلموا أن مسن الفتح ما يكون بغير السيف .

يقول العقاد : (وقد تولى النبي صلى الله عليه وسلم أعمالا كثيرة ما يطلق عليه لفظ سياسة في عموم مدلوله . ولكننا لا نعرف بينها عملا واحدا هو أدخل في أبواب السياسة وأجمع لضرورها ، وأبعد عن المشاركة في صفة القيادة العسكرية ، أو صفة الوعظ العلني ، أو سائر الصفات التي اتصف بها عليه الصلاة والسلام من عهد الحديبية في مراحلها جميعا ، منذ ابتدأ بالدعوة إلى العمرة ، إلى أن انتهى بنقض الميثاق على أيدي قريش) (٣) .

فمن الدروس المستفادة من هذا الصلح في النواحي الإعلامية ، وغيرها ، دروس في :
الحكمة والحلم والصبر وضبط النفس والسياسة الإعلامية الصائبة ، وبعد النظر ، والوفاء
بالعهد ، والحدز والحيطة والتسامح والشورى واحترام الرأي .
بأنها دروس جديدة بأن يتدبرها ويعيها ويسير عليها الرادة والقادة من أمة الإسلام ،
في معالجة المشاكل السياسية والإعلامية وفي حل الأزمات . ويجدر بنا أن نبحث هذه
الدروس بشيء من التفصيل لأنها تتعلق بالدعوة والدعاة الى الله .

الدرس الإعلامي الأول :

عندما بدأ الرسول صلى الله عليه وسلم بالدعوة الى العمرة ، فأُن هذه الدعوة لم
تقتصر على المسلمين المصدقين لرسالته فقط ، بل شملت هذه الدعوة كل القبائل العربية
المجاورة ، والواقعة على طريق مكة المدينة ، والتي تشارك المسلمين في تعظيم البيت
والسعي اليه ، فجعل له بذلك وللغرب من هذه القبائل ، قضية واحدة في وجه قريش ،
وفصل بذلك بين دعاها ودعوى القبائل الأخرى . وهذا فقد أحبط على قريش
تعمدوه من إثارة نخوة العرب وتوجيهها الى مناوأة الرسول صلى الله عليه وسلم ، والرسالة
الإسلامية . وهذا الدرس يعتبر درسا إعلاميا في حقيقته ومعناه . فكان بذلك أن أفضل
على قريش خططها العسكرية والإعلامية الكاذبة ، التي حاولت بها أن تشوه صورة المسلمين
عند العرب وأن تولب العرب عليهم ، بما ادعوه من قطعهم للأوراق وتهديد بهم للأسواق
التي يعمرها الحجاج ويستفيد منها الفادون الى مكة والقادمون منها . فما هو النبي
صلى الله عليه وسلم يأخذ معه المسلمين الى مكة ، كما يأخذ معه من شاء مصاحبه من
غير المسلمين الى البيت الحرام ، والأماكن المقدسة جميعها . وهذا العمل الإعلامي
الناجح قد أظهر للعرب جميعا المزايا العظيمة التي يتحلّى بها الدين الإسلامي
الحنيف .

الدرس الثاني :

كانت السياسة الإعلامية التي اتبعها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، تتم الى الفصل

بين قريش وبين حلفائها الرئيسيين من الأحابيش وبني ثقيف ، ولقد رأينا كيف أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كان يضع الخطط الإعلامية المناسبة لكل وفد من تلك الوفود ولكل ظرف من تلك الظروف التي مربها أثناء أزمة الحديبية ، فقد رأينا نجاح كل خطة من هذه الخطط الإعلامية وآثارها الرائعة .

فالحلوس ، تركه يستخلص النتائج بنفسه ، ويعود الى قريش وهو يحمل في قرارة نفسه بأن قريشاً هي المعتدبة في هذه القضية ، وإنه بذلك أصبح في موقف الخصومة من قريش بدلاً من خصومته للمسلمين .

ولم يكن زعيم ثقيف أقل تحمسا في محاسبتها لقريش ، من زعيم الأحابيش ، بل وإنه انفصل بقواته عنها ، وعاد راجعا من حيث أتى ، بعد أن تبين له من حق المسلمين في هذا النزاع ، ما تبين ، ومن كذب وافتراء واعتداءات من جانب قريش الشيء الكثير ، الأمر الذي جعل حلفاء قريش الأقوياء يتأون عنها . وبذلك فقد تحقق للنبي صلى الله عليه وسلم ، نجاح خطته الإعلامية في فصل حلفاء قريش عنها وكسبهم الى جانبه .

الدرس الثالث :

التكرار الإعلامي : ويقوم هذا المبدأ الإعلامي على الإعلان عن الدوافع والطلبات والأغراض المطلوبة ، ومن ثم الأصرار عليها ، وذلك بتكرار المطالبة بها حتى تصبح هذه المطالب ، وكأنها أخذت صفة الموافقة والقبول والشرعية . وهذا ما حصل فعلا فسي أزمة الحديبية ، فقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم يعلن بوضوح وبصورة دائمة منذ خروجه من المدينة المنورة ، تارة بالصراحة الكلامية ، وتارة بالرموز الإعلامية ، من أنه وأصحابه الكرام إنما جاؤا من أجل أداء العمرة وتعظيم البيت الحرام ، وإبلاغ الهدى محله والأنصاف ، حتى أن هذه المتطلبات باتت معروفة تماما لدى جميع القرشيين وحلفائهم على حد سواء ، وحتى لدى كافة عرب المنطقة المجاورة وعرب الجزيرة العربية بأكملها تقريبا .

ويعتبر التكرار الإعلامي من الأمور التي تساعد على نجاح الرسالة الإعلامية ، وتزيد

من فعاليتها وتأثيرها الدعائي .

وتوضح لنا هذا المفهوم المذكورة رشتي بقولها : (يؤمن عدد كبير من علماء الاتصال بأن تكرار الرسالة الإعلامية من العوامل التي تساعد على الاقتناع ، وينعكس هذا الإيمان في الحملات الإعلامية التي تعتمد على تكرار الرسالة الإعلامية ، ولكن اكتشف الباحث روز ، وهو يستعرض الدراسات التي أجريت حول هذا الموضوع أن التكرار ، خاصة التكرار على فترات ، يزيد من فاعلية الدعاية التي تحض على التسامح ، ويتفق هذا الرأي بشكل عام ، مع رأي بعض علماء النفس ، أمثال نورتيك ، وبعض العاملين في مجال الدعاية ومنهم جوزيف جوهرز وغيره) . (١)

الدرس الرابع :

وهو عن أهمية استخدام الحرب النفسية في هذا النزاع ، فلقد استخدم الرسول صلى الله عليه وسلم ، أرقى أساليب الحرب النفسية في التأثير على الروح المعنوية لعدوه ، وبالتالي ، إضعاف الروح القتالية له . ومن ناحية أخرى فإنه كان عليه الصلاة والسلام كحواً بارعاً في تحصين أصحابه ووقايتهم ضد هذه الحرب التي توشق في القلوب والعقول فكان عليه الصلاة والسلام يعمل بشتى الطرق والوسائل على رفع معنويات أصحابه ، وفي الوقت نفسه كان يعمل بشتى الطرق والوسائل أيضاً على تحطيم معنويات أعدائه . ويوضح ذلك في المفاوضات التي أجراها عروة بن مسعود الثقفي في الحديبية وفي الرسالة الإعلامية التي حملها عروة الى قريش . كذلك ، وما من شك في أن أزمة الحديبية بأكملها تعتبر أزمة معنويات وحرباً نفسية توشق في النفوس والقلوب ، وليست معركة خسائر توشق في الأرواح والممتلكات .

الدرس الخامس :

ومن هذا الدرس نستفيد ونستفيد الباحثون من حكمة الرسول صلى الله عليه وسلم في

بعد نظره ، وذلك باستخدامه أنجح الطرق الإعلامية للحصول على أخبار عدوه ، فقد عمد عليه الصلاة والسلام منذ بداية خروجه لهذه العمرة الى إرسال دوريات استطلاع إعلامية ، وأعمال استكشاف لجمع الأخبار الكافية عن أعدائه أولا بأول ، وفعلنا ، فأنته عليه الصلاة والسلام ، لم يكد يصل بأصحابه الى منتصف الطريق بين مكة والمدينة حتى عرف عن طريق استخباراته ، كل ما يجب أن يعرفه عن أهل مكة الذين هم في حالة حرب مستمرة معه ، وذلك ، فأنته استطاع أن يرصد حركات أعدائه ومواقعهم ونواياهم وأن يؤمن لجيشه الحماية الكافية ، التي تستند الى واقع علمي مدروس ، وبالتالي إحراز النصر الإعلامي والعسكري .

الدرس السادس : الصبر والثبات وتوخي الهدف :

لقد كان وجود الرسول صلى الله عليه وسلم بأصحابه الكرام ، طوال مدة بقاءه في منطقة المدينة ، وهي مدة ذكرها الواقدي بأنها تقدر بحوالي عشرين يوما (١) ، وتعتبر هذه الفترة من أخرج الفترات التي مرت بها الدعوة الإسلامية ، حيث كان الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه الكرام ، يعيشون في منطقة جدباء قليلة العشب والماء ، ويحيط بهم أعداؤهم من كل جهة ، ولا مجال لتلقي الأمدادات العسكرية والتموينية ، لبعدهم عن مقرهم الرئيسي في المدينة المنورة ، ولوجودهم بين أعدائهم . ومثل ذلك فقد أعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم درسا رائعا في الصبر والثبات والتحمل ، ففي مواجهة ضروب الحرب النفسية ، وفي الأصرار على توخي الهدف . ولقد صبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، في البأساء والضراء وثبت في جميع المواقف وفي أشدها حرجا وكان مسيطرا على أعصابه سيطرة كاملة أقرب الى الخيال منها الى الحقيقة ، رغم الاستفزازات المتكررة من المشركين والمتهورين منهم ، ومحاولة التآليب لأشغال فتيل الحرب ، ومع كل هذا ظل عليه الصلاة والسلام مصرا على هدفه السلمي ، فيرسس

الوفود الإعلامية ، ويستقبل الوفود الإعلامية ، حتى تحقق له ما أراد فكان بهذه السياسة الإعلامية يعمل على تحقيق كل معاني العبودية والطاعة الكاملة لله تعالى في توخي الهدف السليم ، وذلك بناءً على الإشارة الألهية التي تلقاها عليه الصلاة والسلام في حادثة برك الناقة .

يقول اللواتي الركن محمود شيت خطاب : (إن توخي الهدف يعتبر مبدأ من مبادئ الحرب المهمة ، وهو أن نعرف هدفنا تماما ، ونفكر بأحسن طريقة للوصول إليه ، ومن ثم نقرر خطة مناسبة للحصول عليه . وننفذ تلك الخطة ، جاعلين هدفنا الرئيسي وحده نصب أعيننا دون أن تعيقنا أو تغير من خططنا الأهداف الثانوية الأخرى . ويضيف خطاب قائلا : وقد برز توخي الهدف عند الرسول صلى الله عليه وسلم في غزوة الحديبية بأجل مظاهره ، حتى يمكن أن تكون دروس هذه الغزوة من أروع الأمثلة المفيدة للذين يريدون أن يفهموا معنى توخي الهدف . (١)

الدروس السابعة :

لقد أثبت الإسلام علميا للعالم أجمع من خلال حادثة أبي جندل ، أنه يستطيع الأطفئان كل الأطفئان على أبنائه ، في أن يعيشوا في أى مجتمع من مجتمعات الدنيا وتحت أى ظرف من ظروفها ، دون أن يتأثروا بما حولهم من أفكار ، أو آراء ، ودون أن ينال منهم الخوف أو التهديد ، أو العذاب النفسي والحسي أي مثال . لأن هذه الحقيقة تعتبر من الميزات التي ينفرد بها الإسلام وحده دون غيره من الديانات الأخرى . وقد تشل هذا المفهوم في حادثة أبي جندل ، فقد كان حقا اختاراً قاسما وامتحانا شديدا وصعبا لشاب مسلم يفريده إلى المسلمين ، ثم ينتزع منهم انتزاعا ليرى به مرة أخرى . في جحيم الشرك ، ثم يعود أبو جندل مرة ثانية إلى قيوده ليعاود العيش من جديد في مجتمع الشرك والوثنية ، تنفيذا لأمر نبيه الكريم ، بالصبر والاحتساب واليقين الذي لا يتزعزع من أن الله سبحانه وتعالى سيجعل له ولمن معه مخرجا والمستضعفين في مكة فرجا ومخرجا . وبهذا فإن المسلم الحق يكون دائما مستعداً لأن

يدفع ضريبة الأيمان بكل صدر رحب ، ونفس طيبة ، متمسكا بدينه وعقيدته ، غير مبال بما يتعرض له من أساليب القسوة والأرهاب والتجويع ، ووحشية التعذيب ، لأن المؤمن يتطلع الى جنة عرضها السموات والأرض ، أعدت للمتقين ، فهو يعيش في هذه الدنيا لله ويموت من أجل أن تكون كلمة الله هي العليا ، وكلمة الذين كفروا السفلى ، وهذا هو معنى الأيمان الحقيقي .

الدرس الثامن : الوفاء بالعهد :

ولعل من أبلغ الدروس في صلح الحديبية درس الوفاء بالعهد والتقيد بما يفرضه شرف الكلمة ، من الوفاء بالالتزامات التي يقطعها المسلم على نفسه . وقد تجلّى حرص الرسول صلى الله عليه وسلم والمسلمين على الوفاء بعهودهم بأجلى صوره ، وذلك في مثل تلك الوقائع التي كان فيها الوفاء بالعهد شاقا على النفوس البشرية ، صعبا عليها وذلك لتصادمه مع عواطف المسلمين القلبية ومشاعرهم الوجدانية ، ولكن المسألة في هذا الأمر لا يستجاب فيها لنداء العاطفة ، بل يلي فيها نداء البدأ الذي اتسمت به شرعة الإسلام ، وهو الوفاء بالعهد ، وإن تصادم مع ما ترغب فيه النفوس ، وتميل اليه المشاعر . ومن هنا فقد كان درس حادثه أبي جندل امتحانا قاسيا ورهيبا لهذا الوفاء بالعهد ، أثبت فيه الرسول صلى الله عليه وسلم والمسلمون نجاحا عظيما فسي كت عواطفهم وحبس مشاعرهم ، وقد صبروا لمنظر أخيههم أبي جندل الذي استطاع أن يفرّده بينه وأن يلتجئ الى أسرة الإسلام بالحديبية ، ولقد تأثر المسلمون لمنظر أخيههم المسلم المؤمن عندما كان أبوه يجتذبه من تلابيه ، والدما تنزف منهما زاد فسي ايلامهم حتى أن الكثيرين منهم أخذوا سيكون بمرارة وإشفاقا منهم على أخيههم فسي العقيدة ، وهم ينظرون الى أبيه المشرك وهو يسحب بغضاظة الوثني الجلف ليعود به مرة أخرى الى سجنه الرهيب في مكة . وتأتي من ناحية أخرى حادثه أبي بصير التي جاءت في أعقاب صلح الحديبية مباشرة ، عندما استطاع أبو بصير أن يفرّده بينه من سجون

الشرك في مكة المكرمة ، وأن يلتحق بالرسول صلى الله عليه وسلم في المدينة .
فلما قدم الرجلان اللذان بعثت بهما قريش الى المدينة لاستلامه ، قال له رسول
الله صلى الله عليه وسلم : (يا أبا بصير ، إنا قد أعطينا هؤلاء القوم ما قد علمت
ولا يصلح لنا في ديننا الغدر ، وإن الله جاعل لك ولمن معك من المستضعفين
فرجا ومخرجا ، فانطلق الى قومك . فقال أبو بصير : يا رسول الله ، أتردني الى
المشركين يفتنونني في ديني ؟ قال : يا أبا بصير ، انطلق فأنا الله تعالى سيجعل
لك ولمن معك من المستضعفين فرجا ومخرجا . (١) ، فانطلق معهما ، وقد شق
ذلك على نفوس المسلمين وهم ينظرون بحزن الى أخيهيم في العقيدة ، وهو يعود
الى سجنه بمكة ، بعد أن استطاع أن يفلت من ظلم قريش .

إن لهاتين الحادثتين^{حادثتين} ، أبى جندل وأبى بصير ، اللتين وقعتا في أزمة الحديبية
دلالة واضحة على أن الوفاء بالعهد والمواثيق لم يكن مجرد نظرية مكتوبة على الورق ،
ولكنه كان سلوكا عمليا في حياة المسلمين ، وفي علاقاتهم الدولية .

يقول الدكتور مصطفى السباعي : (وكما وضع الإسلام للحرب أسس القواعد العادلة
والموازين الإنسانية الفريدة ، فقد وضع في حالة السلم نظاما للعلاقات التي تضمن
رعاية السلم العام ، وتتيح للناس جميعا أن يحيوا في حرية وأمن واطمئنان ، ومن أبرز
قواعد النظام الإسلامي في هذا ، الوفاء بالعهد والمواثيق ، إذ يحرم الإسلام
في هذا على الالتزام الكامل والأخلاص فيها ، وحسن النية في رعايتها ، ويحذر من
نقض العهد بأي صورة من الصور ، ذلك أن الميثاق الذي يعقده المسلم لا يرتبط به
أمام الناس فحسب ، بل إنه ينعقد في الوقت نفسه بينه وبين الله تعالى ، وإن يجعل
المسلم ربه شهيدا وكفيلًا على عقوده والتزاماته ، فهو أمر متغلغل في النفوس ، متصل
بعقد الأيمان ، بحيث لا تبتقى قوة في الأرض أن تحلله منه سواء في ذلك دافع المنفعة
أو طلب النفوذ ، أو زيادة الرخاء ، أو التوسع الاقتصادي ، أو التوازن السياسي ، أو
غير ذلك (٢) .

(١) ابن هشام السيرة النبوية ج ٣ ص ٣٧٢ - ٣٧٣ .
(٢) الدكتور مصطفى السباعي . أخلاقنا الاجتماعية . ص ١٤٧ .

وقد أوصى الله سبحانه وتعالى بالوفاء بالعهد ، وحذر من نقض الأيمان بعهد
توكيدها في كثير من الآيات القرآنية الكريمة ، قال تعالى : ((وأوفوا بعهد الله
إذا عاهدتم ، ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها ، وقد جعلتم الله عليكم كهيلا ، إن الله
يعلم ما تفعلون .)) (١)

وقال جل وعلا : ((وأوفوا بالعهد ، إن العهد كان مسؤولا)) (٢) ، وقال سبحانه
وتعالى : ((والموفون بعهدهم إذا عاهدوا)) (٣) ، وبهذا يكون الوفاء بالعهد
عند المسلمين قاعدة أصولية من قواعد الدين الإسلامي التي يجب على كل مسلم أن يلتزم
بها .

ويحدثنا الشيخ محمد أبو زهره عن الوفاء بالعهد من حيث اعتباره قوة تؤمن السلام
والطمأنينة والاستقرار للشعوب ، فلنستمع الى ما يقوله عن هذا الموضوع : (لا
شك أن المسلمين يعتقدون بأن الوفاء بالعهد في ذاته قوة ، فوق أنه عداله وفضيلة
وهو دعامة أساسية من دعائم السلام ، إن أن العهد في ذاته قوة ، والتمزامه قوة ، لأنه
يؤمن فيه جانب الأعداء ، ويثبت دعائم السلام ، والسلام تطمئن فيه الشعوب وتستقر
ولذلك شبه القرآن الكريم من ينقض عهده بأنه كالحقاف التي تغزل غزلها ، فتحكمه
وتقويه ، ثم بعد ذلك تنقضه أنكاثا أى أجزاء صغيرة متفرقة ، قال تعالى : ((ولا تكونوا
كالتي نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثا تتخذون أيمانكم دخلا بينكم أن تكون أمة هي أرى
من أمة .)) (٤) . (٥)

وبهذا فأنتنا ننتهى الى القول بأن الوفاء بالعهد يعتبر عند المسلمين قاعدة هامة
من قواعد الدين الإسلامي الحنيف التي يجب على كل مسلم أن يلتزم بها وأن يحافظ
عليها .

(١) سورة النحل الآية (٩١) .

(٢) سورة الأسراء الآية (٣٤) .

(٣) سورة البقرة الآية (١٧٧) .

(٤) سورة النحل الآية (٩٢) .

(٥) انظر " الوحدة الإسلامية " تأليف محمد أبو زهره ص ٣٣٢٠ . دار الفكر العربي

الدرس التاسع : دروس مستفادة من الغزوات والسرايا الحربية :

لقد رأينا من خلال دراستنا لهذه الغزوات الصغيرة والسرايا الاستطلاعية بأنها كانت عاملا رئيسيا لحماية الدعوة الإسلامية ولتنشيط حركة الأعلام الإسلامي في تلك الفترة وما تجدر الإشارة إليه أن الهدف من هذه الغزوات والسرايا لم يكن يرمى الى تحقيق مغنم حربي أو هدف عدواني ، كما هو الحال بالنسبة لجيوش الفزاة المحتلين ، ولو كان كذلك لكان الأولى بأن يكون عدد أفراد هذه السرايا أكثر مما كان عليه بكثير .

والجدير بالذكر أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يملك القوة العسكرية التي تمكنه من تجهيز الجيوش الكبيرة لغرض السيطرة العسكرية على كافة المناطق الشمالية لشبه الجزيرة العربية ، ولكنه حقيقة لم يكن يهدف الى اتباع هذا الأسلوب في نشر دعوته ، ولقد رأينا أن متوسط القوة لمعظم هذه الغزوات والسرايا كان ما بين ثلاثين الى خمسين رجلا ، وهذا العدد بطبيعة الحال لا يكفي من وجهة النظر العسكرية بأي حال من الأحوال لغرض السيطرة والاحتلال ، ومن هنا نتضح لنا حقيقة هذه الغزوات وأهدافها الرئيسية بما يلي :

- ١- أنها كانت مجرد اجراء وقائي لتأمين حرية الكلمة . تأمين حرية الدعوة الإسلامية .
- ٢- لأظهار هيئة المسلمين حتى لا تستضعف القبائل ، ولقد رأينا كيف أن بعض هذه الغزوات انطلقت من المدينة المنورة لأحباط هجومات القبائل الذين تجمعوا للانقضاض على قاعدة المسلمين في المدينة المنورة .

- ٣- حماية الدعاة المسلمين من غدر القبائل وخاصة بعد مقتل مبعوث رسول الله صلى الله عليه وسلم الى عامل هرقل على بصرى الشام .

وهذه مجمل الأهداف والمقاصد التي كانت هذه الغزوات والسرايا الصغيرة ترمي الى تحقيقها .

وبوضح لنا الدكتور عبد اللطيف حمزة هذه الحقيقة بقوله : (إن بعوث النبي صلى الله عليه وسلم وسراياه الى حدود الروم وقيامتها الاعلامية كانت تأمينا للحدود الإسلامية وتخويفا

الخاتمة

لا شك أن وظيفة الإعلام الإسلامي تدخل ضمن استراتيجية الإسلام الشاملة ، تلك الوظيفة التي تقضي بالدور المبدول لهذا الإعلام في سبيل إقامة البناء الفكري للإسلام ، والعمل على التوعية وتحريك الجزئيات والتفاصيل داخل المجتمع الإسلامي على نحو لا يهدم أى لهنة من لبنات هذا البناء ، وإنما يدعمها ويقربها ويدفع المجتمع بواسطتها الى الأمام بحيث ترتبط السياسات الإسلامية في أجهزة الإعلام المختلفة بهذا البناء الفكري فسي الإسلام وتبني استراتيجية محدودة في إطاره بحيث يتوفر فيها كل امكانيات الثبات والبقاء والدوام ، من أجل أن ينطلق العمل الإعلامي الإسلامي من أرض صلبة تدفعه لتحقيق الأهداف التي كلفه الله بها في تبليغ الرسالة الخاتمة الى الناس كافة .

وتبرز هذه الحقيقة انطلاقاً من النظرة الشمولية للدين الإسلامي ، الذي جاء شاملاً جامعاً منظماً لحياة المسلمين في شتى مجالات الحياة ، فلم يترك صغيرة ولا كبيرة فسي حياتهم إلا وتطرق اليها ابتداءً من وضع أصول الحياة الأسرية الى كل مرفق من مرافق الحياة العامة والخاصة لهذا المجتمع . قال تعالى : ((ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شي * وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين .)) (١)

ولقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مثلاً يحتذى به في الكمال البشري في جميع مجالات الحياة فهو الداعي الأول للإسلام وهو القدوة الحسنة للمسلمين جميعاً . قال تعالى : ((لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً .)) (٢)

ولسنا هنا في مجال تعداد صفات الرسول صلى الله عليه وسلم ، تلك الصفات التي كانت سبباً مباشراً في دخول الكثيرين في دين الإسلام ، ولكننا ، ضمن هذا الموضوع نشير الى المنجزات الإعلامية الضخمة التي حققها عليه الصلاة والسلام في حقل الدعوة الإسلامية ، تحقيقاً للمهمة التي كلفه الله بها ، وهي مهمة إعلامية بالدرجة الأولى ، كما يتحدث عن ذلك الدكتور

(١) سورة النحل الآية : (٨٩) .

(٢) سورة الأحزاب الآية (٢١) .

محي الدين فيقول : (لن نكون مباغين في القول إذا اعتبرنا أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان الى جانب القوى الروحية التي أختصه الله بها عبقريا إعلاميا يتضاءل بجوانبه جهاذة الأعلام في العالم منذ بدء الخليقة الى أن يرث الله الأرض ومن عليها

أكتشف أهمية الأعلام لنشر دعوته ومارس العمل الإعلامي بفنونه المختلفة وأعد له الخطط العلمية الدقيقة بصورة أذهلت الخبراء والضاربين في حقل الاتصال بال جماهير ، فنهج في دعوته منهجا إعلاميا خاصا ووضع لهذه الدعوة أصولا تحوى من الأفكار ما هو بمثابة كنوز لم يكشف النقاب عنها حتى الآن بشكل كاف . ذلك أن الحياة الإعلامية لصاحب الرسالة صلوات الله عليه تعمرها جهود الباحثين (١) ولقد كانت جهود الرسول صلى الله عليه وسلم في تحقيق منجزاته الإعلامية العملاقة مذهلة جدا للباحثين في هذا الحقل ، وذلك للفترة الزمنية القصيرة جدا التي مارس خلالها رسول الله صلى الله عليه وسلم نشاطه الإعلامي ألا وهي فترة الرسالة ، مما جعل أعداء الإسلام لا يستطيعون إلا أن يعترفوا بهذه المنجزات الإعلامية الضخمة غير مخفين إعجابهم بها ، ولله نذهب بعيدا وأمانا دائرة المعارف البريطانية التي تتحدث عن هذا الموضوع فتقول : (لقد أنجز الرسول صلى الله عليه وسلم في عشرين عاما من حياته ما عجزت عن إنجازها قرون من جهود المصلحين اليهود والنصارى رغم السلطة الزمنية التي كانت تساعد هم في جهودهم تلك ، وعلى الرغم من أنه كان أمام الرسول صلى الله عليه وسلم تراث أجيال من الوثنية والجهل والخرافات واضطهاد الضعفاء وكثرة الحروب بين القبائل ومئات من الشرور الأخرى .) (٢)

والمتتبع لأحداث السيرة النبوية الشريفة والمطلع على تفاصيلها ودقائقها بأمعان ، يجد بحق أن صلح الحديبية هو من أهم الإنجازات التي حققتها الدعوة الإسلامية على كافة المستويات ، السياسية ، والعسكرية ، والإعلامية ، بل هو حيلة كسب لأعظم معركة دارت بين الإسلام والوثنية في العهد النبوى ، ومن حيث النتائج الإيجابية التي رسخت دعائم

(١) الدكتور محي الدين عبد الحليم : الأعلام الإسلامي وتطبيقاته العملية ص ١٤٢ مكتبة الخانجي بمصر .

(٢) نقلا عن المرجع السابق ص ١٤٢ - ١٤٣ .

الأسلام ، من جهة ، وصدمت بفعلها قواعد الشرك والوثنية من جهة أخرى . وقد شهد القرآن الكريم بعظيم هذه المكاسب وخلد ذكرها في آيات تتلى الى يوم القيامة سيما هذا الصلح بالفتح المين .

ومن بين الانجازات العظيمة التي حققتها الدعوة الإسلامية من هذا الفتح

المبين ما يلي :-

١- اظهار الشخصية الإسلامية في الجزيرة العربية كطرف مساو لقريش . وهذا أول اعتراف بالمسلمين من أشد أعدائهم وأقواهم ، أمام العالم أجمع منذ بدء الدعوة الإسلامية .

٢- أصبح المجال مفتوحا أمام القبائل الأخرى للتحالف مع المسلمين والتعرف على الدين الجديد ، إذ لم تكن تجرؤ هذه القبائل وقبل معاهدة الحديبية للتقرب من المسلمين خوفا من قريش .

٣- لقد وضعت هذه الهدنة حدا لأعداء الإسلام والمسلمين من أن يتجمعوا بزعامة قريش كما حصل ذلك في غزوة الأحزاب .

٤- أكدت عمرة القضاء للعرب جميعا كذب الدعاية القرشية عندما أظهر المسلمون تعظيمهم لحرمة الله والمشاعر المقدسة ، والحفاظ على مكة المكرمة من أن تصبح مسرحا للحرب وسفك الدماء ، وبهذا فقد تداعت حجة قريش أمام العرب جميعا وظهرت الصورة الحقيقية للإسلام .

٥- لقد عملت قريش ومن حيث لا تدري ، على تقديم خدمة عظيمة جدا للمسلمين وذلك نتيجة للحملات الإعلامية المكثفة التي أثارتها ضد هم ، وبين مختلف القبائل العربية فسي شتى أنحاء الجزيرة العربية ، مما أكسب المسلمين سمعة قوية من الناحيتين العسكرية والأعلامية .

فقريش تلك القبيلة المعروفة بقوتها وعددها وعدتها ، تذهب لتطلب النجدة والمعونة العسكرية من القبائل الأخرى لكي تواجه قوة المسلمين الذين صورتهم دعاياتها المضادة أمام الرأي العام بأنهم قوة كبيرة ، مما أكسب المسلمين هبة عسكرية بين القبائل العربية .

أما من الناحية الاعلامية فقد انتشر اسم الأسلام في كل مكان من أنحاء الجزيرة العربية وشردت أصداءه على كل لسان ، وأخذ الناس - بغير عجز - الاستطلاع - يبحثون عن هذا الدين الجديد مما سهل انتشاره بين الناس .

٦- أتاحت هدنة الحديبية الفرصة للمسلمين من توسيع آفاق دعوتهم على العالم خارج الجزيرة العربية .

هذا ولقد بذلت جهدي - وهو جهد العقل - لدراسة هذا الحدث العظيم من أحداث السيرة النبوية العطرة ، دراسة اعلامية وان أظهر مكنوناته وكوزه العظيمة .
وكم تحتوى سيرة صاحب الرسالة الخاتمة عليه الصلاة والسلام على أحداث وأحداث عظام لم يكشف النقاب عنها ولم تظهر خباياها وكوزها العظيمة بعد ، وهي لا زالت تنتظر جهود الباحثين في هذا المجال وفي كل مجال .

فان كان هذا العمل الذي قمت به قد وافق الصواب فهو بفضل الله وتوفيقه . وأختم هذا البحث بهذا الدعاء الذي علمنا اياه ربنا في كتابه العزيز :

((ربنا اننا سمعنا مناديا ينادي للإيمان أن آمنوا بربكم فآمننا ربنا فاغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا وتوفنا مع الأبرار ، ربنا وآتانا ما وعدتنا على رسلك ولا تخزنا يوم القيامة انك لا تخلف الميعاد))^(١) ((ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا أو أخطأنا ربنا ولا تحمل علينا اصرا كما حملته على الذين من قبلنا ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين))^(٢)

وأخبر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

(١) سورة آل عمران الآية (١٩٤) .

(٢) سورة البقرة الآية (٢٨٦) .

فهرس الآيات
=====

سورة البقرة

مسلسل	الآية	رقمها	الصفحة
١	(ألا انهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون .)	١٢	٤١
٢	(أو كلما عاهدوا عهداً نبذه فريق منهم بل أكثرهم لا يؤمنون .)	١٠٠	٤
٣	(وان جعلنا البيت مثابة للناس وأمناً . . . الآية .)	١٢٥	٧٧
٤	(وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً . . . الآية .)	١٤٣	٢٦٢
٥	(ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وآتى المال على حبه ذوا القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب والموفون بعهدهم إذا عاهدوا . . . الآية .)	١٧٧	٣٠٠-٣٢
٦	(وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين .)	١٩٠	٢٧٢-٢٦٨
٧	(ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلكم فيه ، فان قاتلوكم فاقتلوهم كذلك جزاء الكافرين .)	١٩١	١٦٠-٢٧٢
٨	(وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله فان انتهوا فلا عدوان الا على الظالمين .)	١٩٣	٢٧٠
٩	(الشهر الحرام بالشهر الحرام والحرمات قصاص . . . الآية)	١٩٤	٢٨١
١٠	(وأتموا الحج والعمرة لله . . . الآية)	١٩٦	٥٢
١١	(كتب عليكم القتال وهو كره لكم وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئاً وهو شر لكم والله يعلم وانتم لا تعلمون .)	٢١٦	٢٧١

تابع سورة البقرة

<u>مسل</u>	<u>الآية</u>	<u>رقمها</u>	<u>الصفحة</u>
١٢	(يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه قتال فيه كبير وصد عن سبيل الله وكفر به والمسجد الحرام واخراج أهله منه أكبر عند الله والفتنة أكبر من القتل الآية)	٢١٧	١٦٠
١٣	(لا اكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي . . . الآية)	٢٥٧	١٥٥

سورة آل عمران

١٤	(قل يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فان تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون .)	٦٤	٢٤٠
١٥	(قل يا أهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله والله شهيد على ما تعملون)	٩٨	٤٦
١٦	(قل يا أهل الكتاب لم تصدون عن سبيل الله من آمن تبغونها عوجا وانتم شهداء وما الله بغافل عما تعملون .)	٩٩	٤٦
١٧	(واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا وانكروا نعمة الله عليكم ان كنتم أعداء فألف بين قلوبكم الآية)	١٠٣	٤٦
١٨	(ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون .)	١٠٤	٢٦
١٩	(كنتم خیر امة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله الآية)	١١٠	٢٦٦
٢٠	(وما كان لنفس أن تموت الا بأذن الله كتابا مؤجلا ، ومن يرد ثواب الدنيا نؤته منها ومن يرد ثواب الآخرة نؤته منها وسنجزى الشاكرين .)	١٤٥	١٢٥

تابع سورة آل عمران

<u>مُسَلْسِل</u>	<u>الآية</u>	<u>رقمها</u>	<u>الصفحة</u>
٢١	(وَكَايْنِ مِنْ نَبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِيشُونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ .)	١٤٦	١٢٥
٢٢	(إِنْ يَنْصَرِكُمْ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذَ لَكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصَرِكُمْ مِنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ .)	١٦٠	٨١
٢٣	(الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ .)	١٧٣	١٢٢-١٤٨
٢٤	(فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةِ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمَسَّهِمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانِ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ .)	١٧٤	١٢٢
٢٥	(إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِي إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ .)	١٧٥	١٤٨

سورة النساء

٢٦	(وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتِ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا .)	٦١	٤٣
٢٧	(وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ الْآيَةُ)	٦٤	٤٣
٢٨	(وَلَوْ أَنَا كُتِبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوْ أَخْرِجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ الْآيَةُ)	٦٦	١٧
٢٩	(الَّذِينَ آمَنُوا يقاتلون فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يقاتلون فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا)	٧٦	٢٦٥
٣٠	(مَنْ يَطْعِ الرِّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِظًا)	٨٠	٤٣
٣١	(وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ الْآيَةُ)	٨٣	١٤٨

تابع سورة النساء

مسلسل	الآية	رقمها	الصفحة
٣٢	(..... ومن أصدق من الله حديثا .)	٨٧	٣٠
٣٣	(الا الذين يصلون الى قوم بينكم وبينهم ميثاق الآية)	٩٠	١٨١
٣٤	(والذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابد اعد الله حقا ومن أصدق من الله قيلا .)	١٢٢	٣٠
٣٥	(ان المنافقين في الدرك الأسفل من النار ولن تجد لهم نصيرا) .	١٤٥	٤١

سورة المائدة

٣٦	(..... قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين) .	١٥	١٩٢
٣٧	(يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات الى النور بان نه يهديهم الى صراط مستقيم) .	١٦	١٩٢
٣٨	(انما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الآية .)	٥٥	١٥٥
٣٩	(ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فان حزب الله هم الغالبون)	٥٦	١٥٥
٤٠	(يا أيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس الآية)	٦٧	٧٢
٤١	لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا الآية)	٨٢	٤٨

سورة الأنعام

٤٢	(لكل نبي مستقر وسوف تعلمون .)	٦٧	٢٨
----	--------------------------------	----	----

تابع سورة الأنعام

المسلسل	الآية	رقمها	الصفحة
٤٣	(وكد لك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الانس والجن يوحى بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا . . . الآية)	١١٢	٤١

سورة الأعراف

٤٤	(قل يا أيها الناس اني رسول الله اليكم جميعا . . . الآية)	١٥٨	٢٢
----	--	-----	----

سورة الأنفال

٤٥	(يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله ورسوله ولا تولوا عنه وانتم تسمعون)	٢٠	٣٩
٤٦	(إن شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون .)	٢٢	٣٩
٤٧	(يا أيها الذين آمنوا استجبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم الآية .)	٢٤	٣٩
٤٨	(وان يكررك الذين كفروا ليشتكوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين .)	٣٠	٧١
٤٩	(يا أيها الذين آمنوا اذا لقيتم فئة فاثبتوا وانكروا الله كثيرا		
	لعلمكم تفلحون .)	٤٥	١٢٣
٥٠	(وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا		
	ان الله مع الصابرين .)	٤٦	١٢٣
٥١	(واما تخافن من قوم خيانة فانهذ اليهم على سوا* ان الله لا يحب		
	الخائنين .)	٥٨	٢٧٠
٥٢	(وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو		
	الله وعدوكم الآية)	٦٠	٢٦٥

تابع سورة الأنفال

مسلّم	الآية	رقمها	الصفحة
٥٣	(وان يريدوا أن يخدعوك فإن حسبك الله هو الذي أيدك بنصره وبالمؤمنين .)	٦٢	١٢٣
٥٤	(وألّف بين قلوبهم لو أنفقت ما في الأرض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألفت بينهم انه عزيز حكيم .)	٦٣	١٢٣

سورة التوبة

٥٥	(فإذا انسلكوا الأشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم واحصوهم واقعدوا لهم كل مرصد . الآية .)	٥	٢٦٩
٥٦	(قل لن يصيبنا إلاّ ما كتب الله لنا هو مولانا وعلى الله فليتوكل المؤمنون .)	٥١	١٢٤
٥٧	(قل هل تریصون بنا الآّ احدی الحسنین ونحن نتریص بكم أن یصیبکم الله بعدا ب من عنده أو بأیدینا فتریصوا انا معکم متریصون .)	٥٢	١٢٤
٥٨	(قل انفقوا طوعا أو کرها لن یثقل منکم انکم کتمت قوما فاسقین .)	٥٣	١٥٩
٥٩	(إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة یقاتلون فی سبیل الله فیقتلون ویقتلون وعدا علیہ حقا فی التوراة والانجیل والقرآن ومن أوفی بعهده من الله . . . الآية)	١١١	١٥٧
٦٠	(یا أيها الذین آمنوا تقوا الله وكونوا مع الصادقین .)	١١٩	٣٢
٦١	(یا أيها الذین آمنوا قاتلوا الذین یلونکم من الکفار ولیجدوا فیکم غلظة واعلموا أن الله مع المتقین .)	١٢٣	٢٦٩

سورة يونس

الصفحة	رقمها	الآية	مسلّم
١٢٣	٢٢	(هو الذى يسيركم في البر والبحر الآية)	٦٢
٣٠	٣٢	(فذلّم الله ربيكم الحق الآية)	٦٣
٢٩	٥٣	(ويستنبئونك أحق هو قل اى وربي انه لحق وما أنتم بمعجزين) .	٦٤

سورة يوسف

		(ان قال يوسف لأبيه يا أبت اني رأيت أحد عشر كوكبا والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين .)	٦٥
١٩	٤	(والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون .)	٦٦
٧٢	٢١	(فلما جهزهم بجهازهم جعل السقاية في رحل أخيه ثم أذن مؤمن ن أيتها العير انكم لسارقون .)	٦٧
٢٢٣	٧٠	(ورفع أبويه على العرش وخروا له سجدا وقال يا أبت هذا تأويل رؤياى قد جعلها ربي حقا .)	٦٨
١٩	١٠٠	(لقد كان في قصصهم عبرة لأولى الألباب ما كان حديثا يفترى ولكن تصديق الذين بين يديه وتفصيل كل شيء . . . الآية .)	٦٩
١٨	١١١		

سورة ابراهيم

		(ألم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء .)	٧٠
٢٠٧	٢٤	(توئتي أكلها كل حين لأذن ربها ويضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتذكرون .)	٧١
٢٠٧	٢٥		

سورة الحج

سلسل	الآية	رقمها	الصفحة
٧٢	(ان في ذلك لآيات للمتوسمين .)	٧٥	١٠٧

سورة النحل

٧٣	(ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمؤمنين)	٨٩	٣٠٤
٧٤	(وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها		
	وقد جعلتم الله عليكم كهيلاً . . . الآية .)	٩١	٣٠٠
٧٥	(ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها من بعد أن كتاتنا تتخذون أيمانكم		
	دخلا بينكم ان تكون امة هي أرى من أمة . . . الآية .)	٩٢	٣٠٠
٧٦	(ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي		
	هي أحسن . . . الآية)	١٢٥	٢٠٧

سورة الأسراء

٧٧	(. وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا .)	١٥	٢٧١
٧٨	(. وأوفوا بالعهد إن العهد كان سوء ولا .)	٣٤	٣٠٠
٧٩	(وقل رب أدخلني مدخل صدق وأخرجني مخرج صدق واجعل		
	من لدنك سلطاناً نصيراً .)	٨٠	٣٠
٧٩	(وقل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً .)	٨١	٣٠

سورة الكهف

٨٠	(وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر . . . الآية)	٢٩	٢٩
----	--	----	----

سورة مريم

مسلسل	الآية	رقمها	الصفحة
٨١	(وان ذكر في الكتاب ابراهيم إنه كان صديقا نبيا .)	٤١	٣٣
٨٢	(وان ذكر في الكتاب اسماعيل إنه كان صادق الوعد وكان رسولا نبيا)	٥٤	٣٣
٨٣	(وان ذكر في الكتاب إدريس إنه كان صديقا نبيا .)	٥٦	٣٣
٨٤	(ورفعناه مكانا عليا)	٥٧	٣٣

. سورة طه

٨٥	(. . . فاجعل بيننا وبينك موعدا لا نخلفه نحن ولا أنت مكانا سوى)	٥٨	٢٨٧
٨٦	(قالوا يا موسى إما أن تلقى ولما أن نكون أول من ألقى . قال يلألقوا فإذا حبالهم وعصيهم يخيل إليه من سحرهم أنها تسعى . فأوجس في نفسه خيفة موسى . قلنا لا تخف إنك انت الأعلى . واللق ما في يمينك تلقف ما صنعوا إنما صنعوا كيد ساحر ولا يفلح الساحر حيث أتى . فألقى السحرة سجدا قالوا آمنا برب هارون وموسى . قال آمنتم له قبل أن آذن لكم إنه لكبيركم الذي علمكم السحر فلأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف ولأصلبنكم في جذوع النخل ولتعلمن أينا أشد عذابا وأبقى . قالوا لن نؤثرك على ما جاءنا من البينات والذي فطرنا فاقض ما أنت قاض إنما تقضي هذه الحياة الدنيا . انا آمنا بربنا ليغفر لنا خطايانا وما أكرهتنا عليه من السحر والله خير وأبقى .)	٦٥-٧٣	٢٨٨

سورة الأنبياء

٨٧	(. وجعلنا من الماء كل شيء حي أفلا يؤمنون .)	٣٠	٦٨
٨٨	(وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين .)	١٠٧	٢٢٢-١٤٣

سورة الحج

مسلسل	الآية	رقبها	الصفحة
٨٩	(وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق .)	٢٧	٢٢٣
٩٠	(أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير) .	٣٩	٢٦٨
٩١	(... ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوى عزيز . الذين إن مكأهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور) .	٤٠-٤١	٢٦٧

سورة الفرقان

٩٢	(تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا .)	١	٢٦٣
----	---	---	-----

سورة الشعراء

٩٣	(وأندر عشيرتك الأقربين .)	٢١٤	٢٢٥
٩٤	(والشعراء يتبعهم الغاؤون . ألم تر أنهم في كل واد يهيمون وأنهم يقولون ما لا يفعلون . إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا وانتصروا من بعدما ظلموا وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون .)	٢٢٤-٢٢٧	٢١٤

سورة النحل

٩٥	(إنه من سليمان وأنه بسم الله الرحمن الرحيم . ألا تتعلوا على وأتوني مسلمين .)	٣٠-٣١	٢٣٩
----	---	-------	-----

سورة القصص

مسلّم	الآية	رقمها	الصفحة
٩٦	(ولقد وصلنا لهم القول لعلهم يتذكرون .)	٥١	٢٠٠

سورة العنكبوت

٩٧	(ولقد تركنا منها آية مينة لقوم يعقلون .)	٣٥	١٠٧
----	--	----	-----

سورة الروم

٩٨	(فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون .)	٣٠	٢١
----	--	----	----

سورة الأحزاب

٩٩	(لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا .)	٢١	٢٠٣-٢٠٤
١٠٠	(ولما رأى المؤمنون الأحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله صدق الله ورسوله وما زادهم الا إيمانا وتسليما .)	٢٢	٣٢
١٠١	(من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا .)	٢٣	٤٠-١٢٣
١٠٢	(يا أيها النبي انا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا . وداعيا الى الله بأذن له وسراجا منيرا .)	٤٥-٤٦	٢٤١
١٠٣	(والذين يؤمنون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتاننا وإثما مبينا .)	٥٨	١٤٨

تابع سورة الأحزاب

<u>مسلّس</u>	<u>الآية</u>	<u>رقمها</u>	<u>الصفحة</u>
١٠٤	(لئن لم ينته المنافقون والذين في قلوبهم مرض والمرجفون في المدينة لنغرينك بهم ثم لا يجاورونك فيها الا قليلا .)	٦٠	١٤٩
١٠٥	(يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا وكان عند الله وجيها .)	٦٩	١٤٩
١٠٦	(يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديا .)	٧٠	١٤٩-٢٠٧

سورة سبأ

١٠٧	(وما أرسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا . . . الآية) .	٢٨	٢٦٣
-----	--	----	-----

سورة ياسين

١٠٨	(قالوا يا ويلنا من بعثنا من مردنا هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون .)	٥٢	٣٢
١٠٩	(وما علمناه الشعر وما ينبغي له ان هو الا ذكر وقرآن مبين .)	٦٩	٢١٣

سورة الصافات

١١٠	(فلما بلغ معه السعي قال يا بني اني ارى في المنام اني اذبحك فانظر ماذا ترى . قال يا أبت افعل ما تؤمر ستجدني ان شاء الله من الصابرين .)	١٠٢	١٨
١١١	(فلما أسلما وتله للجبين ونادى بهما أن يا ابراهيم قد صدقت الرويا ، إنا كذ لك نهزى المحسنين .)	١٠٣-١٠٤-١٠٥	١٨

سورة "ص"

<u>مسلّم</u>	<u>الآية</u>	<u>رقمها</u>	<u>الصفحة</u>
١١٢	كتاب أنزلناه اليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولوا الألباب .	٢٩	١٩٨

سورة الزمر

١١٣	والذي جاء بالصدق وصدق به أولئك هم المتقون .	٣٣	٣٠
-----	---	----	----

سورة غافر

١١٤	انا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الاشهاد .	٥١	٨٢ - ٢٢٢
-----	---	----	----------

سورة فصلت

١١٥	وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون .	٢٦	٢٠٨
-----	--	----	-----

سورة الشورى

١١٦	وما كان لبشر أن يكلمه الله الا وحيا أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا فيوحي باذنه ما يشاء انه عليم حكيم .	٥١	١٦
-----	---	----	----

سورة محمد

١١٧	يا أيها الذين آمنوا ان تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم	٧	١٢٤
-----	---	---	-----

سورة الفتح

مسلّم	الآية	رقمها	الصفحة
١١٨	إنا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ويتم نعمته عليك ويهديك صراطا مستقيما وينصرك الله نصرا عزيزا .	٣٠٢، ١	٢٩٢-٢٩٣-١٧١
١١٩	إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله . يد الله فوق أيديهم ، فمن نكث فإنما ينكث على نفسه ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه أجرا عظيما .	١٠	١٧٣
١٢٠	سيقول لك المخلفون من الأعراب شغلنا أموالنا وأهلونا فاستغفر لنا يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم قل فمن يملك لكم من الله شيئا إن أراد بكم ضرا أو أراد بكم نفعا بل كان الله بما تعملون خبيرا .	١١	٤٣
١٢١	بل ظننتم أن لن ينقلب الرسول والمؤمنون إلى أهليهم أبدا وزين ذلك في قلوبكم وظننتم ظن السوء وكنتم قوما بورا .	١٢	٤٢
١٢٢	لقد رضي الله عن المؤمنين أن يبايعوك تحت الشجرة فعلم ما في قلوبهم فأنزل السكينة عليهم وأثابهم فتحا قريبا .	١٨	١٥٦-١٧٢
١٢٣	ولو قاتلكم الذين كفروا لولوا الأدبار ثم لا يجدون وليا ولا نصيرا .	٢٢	١٧٤
١٢٤	سنة الله التي قد خلّت من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا .	٢٣	١٧٤
١٢٤	وهو الذي كف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم ببطن مكة من بعد أن أظفركم عليهم وكان الله بما تعملون بصيرا .	٢٤	٨١

تابع سورة الفتح

<u>مسلسل</u>	<u>الآية</u>	<u>رقمها</u>	<u>الصفحة</u>
١٢٥	هم الذين كفروا وصدوكم عن المسجد الحرام والهدى معكوبا أن يبلغ محله ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات لم تعلموهم أن تطأوهم فتصيبكم منهم معرة بغير علم ليدخل الله في رحمته من يشاء لو تزيلوا لعذبنا الذين كفروا منهم عذابا أليما .	٢٥	١٢٣
١٢٦	اذ جعل الذين كفروا في قلوبهم الحمية حمية الجاهلية فأنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وألزمهم كلمته التقوى وكانوا أحق بها وأهلها وكان الله بكل شيء عليما .	٢٦	١٢٤
١٢٧	لقد صدق الله رسوله الرويا بالحق لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله آمنين محلقين رؤوسكم ومقصرين لا تخافون فعلم ما لم تعلموا فجعل من دون ذلك فتحا قريبا .	٢٧	١٢٤

سورة الحجرات

١٢٨	يا أيها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين .	٦	١٤٩-٣٣-٣٠
١٢٩	يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم .	١٣	٢٦٦

سورة الصف

١٣٠	يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون . كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون .	٣-٢	٢٠٧
-----	--	-----	-----

الصفحة	رقمها	الآية	مسلسل
٢٢٦-٢٢٣	٩	يا أيها الذين آمنوا اذا نودى للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا الى ذكر الله وذروا البيع ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون .	١٣١

سورة القلم

۱۳۲ وانك لعلى خلق عظيم . ۴ ۲۱۷-۲۰۳-۷۲

سورة النبأ

١٣٣ عم يتساءلون . عن النبأ العظيم . الذى هم فيه مختلفون . ٣-٢-١ ٢٨

سورة قريش

١٣٤ فليعبدوا رب هذا البيت الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من

=====

فهرس الأحاديث

الصفحة	المرجع	الحد يث	مسلسل
٢٤٠	مسلـــــــم	أدعوك بدعا يـــــــة الأسلام .	١
٢٠٨	البخارى ومسلم	الكلمة الطيبة صدقة .	٢
	السيوطي فــــي	اللهم اهدى قريشا فان عالمها يملأ طباق	٣
٧٢	الحامع الصغـــــير	الارض علما .	
	أبو داود والترمذى	ألا انى أوتيت الكتاب ومثله معه .	٤
	وأحمد والدارمي		
١٩٩	وابن ماجــــة		
		الايمان هو أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله	٥
١٥٠	مسلـــــــم	وباليوم الآخر وبالقدر خيره وشره .	
		أمرت أن أنزل الناس منازلهم وأن أخطب	٦
٢١١	الســــخاوى	الناس على قدر عقولهم .	
		أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا اله	٧
		الا الله وأن محمدا رسول الله وأن يقيموا الصلاة	
		ويؤتوا الزكاة فاذا فعلوا ذلك فقد عصوا مني	
	البخــــارى	د مائهم وأموالهم الا بحق الاسلام وحسابهم على	
٢٧٠	وجامع الأصول	الله .	
		انزل بساحتهم ثم ادعهم الى الأسلام وأخبرهم	٨
		بما يجب عليهم من حق الله فوالله لأن يهدى	
		الله بك رجلا واحدا خير من أن يكون لك حمر	
٢٧٥	البخــــارى	النعـــــم .	

مستمل	الحد يثبت	المرجع	الصفحة
٩	إن أول ما بدى به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي بالرويا الصادقة في النوم ، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح الحديث .	البخارى ومسلم	١٦
١٠	إن الصدق يهدي إلى البر وأن البر يهدي إلى الجنة وإن الرجل ليصدق حتى يكتب عند الله صديقاً . وإن الكذب يهدي إلى الفجور وإن الفجور يهدي إلى النار وأن الرجل ليكذب		
	حتى يكتب عند الله كذاباً .	البخارى	٣٢
١١	إن مكة حرمها الله ولم يحرمها الناس ولا يحل لأمرى يومئذ بالله واليوم الآخر أن يسفك بها دماً ولا يعضد بها شجراً فإن أحد ترخص لقتال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها فقولوا له إن الله أنذركم رسولاً ولم يأن لكم وإنما أنذركم لي منها ساعة من نهار وقد عادت حرمتها اليوم		
	وحرمتها بالأمس وليلغ الشاهد الغائب .	البخارى	٧٧
١٢	أنتم خير أهل الأرض .	البخارى	١٥٦
١٣	أوتيت جوامع الكلم .	السخاوى	٢١٠
١٤	لقد نزلت على الليلة سورة لهي أحب إلى ما طلعت عليه الشمس .	البخارى	١٧٢

<u>الصفحة</u>	<u>المرجع</u>	<u>الحدِيث</u>	<u>مسلسل</u>
		ما من مولود الا يولد على الفطرة فأبواه يهودانه	١٥
٢١	البخارى	أو ينصرانه أو يمجسانه الحديث .	
	أبو داود	من قتل دون ماله فهو شهيد ، ومن قتل دون	١٦
	الترمذى	دمه فهو شهيد ومن قتل دون دينه فهو	
٢٦٨	وابن ماجة	شهيد ومن قتل دون أهله فهو شهيد .	

=====

الأعلام المترجم لهم
=====

رقم الصفحة	الأسم	مسلسل
١٣٦	إيهان بن سعيد بن العاص	١
٢٢٠	أبو بصير	٢
٩٧	الحليس بن زيان	٣
١٢٥	المغيرة بن شعبة	٤
٨٤	أوس بن خولي	٥
٨٧	بديل بن ورقاء الخزاعي	٦
٦١	بسر بن سفيان الخزاعي	٧
٢٣٢	حاتب بن أبي بلثعة	٨
٩٥	حويطب بن عبد العزيز العامري	٩
٨٨	خراش بن أمية الخزاعي	١٠
٢٣٢	دحية بن خليفة الكلبي	١١
٢٣٣	سليط بن عمرو العامري	١٢
٥٧	سهيل بن عمرو العامري	١٣
٢٣٣	شجاع بن أبي وهب الأسدي	١٤
٥٧	صفوان بن أمية الجمحي	١٥
٨٣	عباد بن بشر الأنصاري	١٦
٢٣٢	عبد الله بن حذافة السهمي	١٧
١٣٦	عثمان بن عفان	١٨
١١١	عروة بن مسعود الثقفي	١٩
٥٧	عكرمة بن أبي جهل المخزومي	٢٠
٢٣٢	عمرو بن أمية الضمري	٢١
٨٨	عمرو بن سالم الخزاعي	٢٢
٨٤	محمد بن مسلمة الأنصاري	٢٣

فهرس الأماكسن

الرقم =====	اسم المكان =====	الصفحة =====
١	التنعيم	٧٥
٢	الحدبية	٧٦
٣	الخيظ	٢٨٠
٤	اطلاح	٢٧٧
٥	العيص	٢١٩
٦	الجناب	٢٧٧
٧	الكديد	٢٧٧
٨	الميفعة	٢٧٧
٩	بلدح	٥٨
١٠	تربة	٢٧٦
١١	خيرة	٢٨٠
١٢	خيبر	٢٧٥
١٣	ذات السلاسل	٢٨٠
١٤	ذوالحليفة	٤٩
١٥	عسغان	٦٤
١٦	كراع الغميم	٧٤
١٧	لخم	٢٨٠
١٨	موتسه	٢٧٨

مراجع البحث
=====

مسلم	اسم المؤلف	اسم الكتاب	الطبعة
١	ابن جرير الطبري	تفسير الطبري	دار الفكر - بيروت
٢	اسماعيل بن كثير القرشي	تفسير القرآن العظيم	دار الفكر القاهرة
٣	الامام السرازي	تفسير السرازي	دار الفكر
٤	الزمخشري	الكشاف	دار المعرفة لبنان
٥	سيد قطب	في ظلال القرآن	دار الشروق
٦	عبد الرحمن ناصر السعدى	تفسير كلام المنان	المؤسسة السعيدية بالرياض
٧	محمد على الصابوني	مختصر تفسير ابن كثير	دار القرآن الكريم

ثالثا :- كتب الاحاديث النبوية الشريفة :
=====

٨	الامام البخاري	صحيح البخاري	دار الفكر
٩	الامام مسلم	صحيح مسلم	توزيع رئاسة البحوث العلمية بالرياض
١٠	الترمذي	سنن الترمذي	دار احياء التراث العربي
١١	أبو داود	سنن أبي داود	دار الفكر
١٢	ابن ماجه	سنن ابن ماجه	دار احياء التراث العربي
١٣	الامام أحمد بن حنبل	المسنن	دار المعارف مصر
١٤	الدارمي	سنن الدارمي	دار احياء السنة النبوية
١٥	ابن الاثير الجوزي	جامع الأصول (تحقيق)	مطبعة الملاح
١٦	الحافظ المنأوى	كنوز الحقائق في حديث خير	عبد القادر الأرناؤوط
		الخلاصة	دار الكتب العلمية

المسلسل	اسم المؤلف	اسم الكتاب	الطبعة
١٧	السخاوي	المقاصد الحسنة	دار الكتب العلمية
١٨	الأمام النووي	رياض الصالحين	دار التراث
١٩	السيوطي	الجامع الصغير	دار الكتب العلمية
٢٠	ابن حجر القسطلاني	فتح الباري	دار البحوث العلمية بيروت
٢١	الأمام النووي	شرح صحيح مسلم	دار البحوث العلمية بيروت
٢٢	علاء الدين علي المتقي الهندي	كنز العمال	مكتبة التراث الإسلامي .

رابعاً : كتب السيرة النبوية الشريفة :

=====

٢٣	ابن هشام	السيرة النبوية	دار الفكر - دار الجيل
٢٤	ابن كثير	السيرة النبوية	دار الفكر
٢٥	الواقدي	المغازي	عالم الكتب بيروت
٢٦	الطبري	تاريخ الرسل والملوك	دار المعارف بمصر
٢٧	ابن سعد	الطبقات الكبرى	دار صادر بيروت
٢٨	علي بن برهان الدين الحلبي	السيرة الحلبية	المكتبة التجارية الكبرى القاهرة
٢٩	أحمد زيني دحلان	السيرة النبوية والآثار المحمدية	المكتبة العلمية .
٣٠	أبي بكر العامري	بهجة المحافل	المكتبة العلمية
٣١	ابن الأثير	الكامل	دار الفكر بيروت
٣٢	الحافظ الذهبي	العبر (تحقيق صلاح الدين المنجد)	دائرة المطبوعات والنشر الكويت سنة ١٩٦٠ م .
٣٣	السهيبي	الروض الأنف	دار الكتب الحديثة
٣٤	ابن حزم	جوامع السيرة	دار احيا السنه
٣٥	المقريزي	رامتاع الأسماع	طبعة قطر

<u>مستعمل</u>	<u>اسم المؤلف</u>	<u>اسم الكتاب</u>	<u>الطبعة</u>
٦٥	ابن القيم الجوزية	زاد المعاد	دار البحوث العلمية
٦٦	أحمد محمد عيسى	كتاب الوحي	دار اللؤلؤ الرياض
٦٧	ابن القيم الجوزية	صفات المنافقين	المكتب الإسلامي
٦٨	ابن كثير	الهداية والنهاية	مكتبة الرياض الحديثة
٦٩	على حسن الخربوطلي	تاريخ العالم الإسلامي	
٧٠	شكري فيصل	حركة الفتح الإسلامي في القرن الأول .	دار العلم للملايين
٧١	الشيخ محمد أبو زهرة	الوحدة الإسلامية	دار الفكر العربي
٧٢	د . مصطفى السباعي	أخلاقتنا الاجتماعية	المكتب الإسلامي
٧٣	الشريف الرضي	نهج الهلاعة	هذا الكتاب منسوب لـ
٧٤	أحمد شوقي	الشوقيات	دار الكتاب العربي
٧٥	د . محمد حميد الله	الوثائق السياسية	دار الأرشاد بيروت
٧٦	علي حسين علي الأحمدى	مكاتيب الرسول	دار المهاجر بيروت
٧٧	د . أسعد سليمان عودة	كتاب التاريخ للصف	وهذا الكتاب يدرس في
		الثانـــــــــــــــوى	المملكة العربية السعودية
	د . محمد سعيد الثقفي	" " " " " "	" " " " " "
	د . طه عثمان الفرا	" " " " " "	" " " " " "
	د . أحمد موسى الهكري	" " " " " "	" " " " " "
	د . حامد شاكر حلمي	" " " " " "	" " " " " "
٧٨	توماس آرنولد	الدعوة الى الإسلام	مكتبة النهضة المصرية
٧٩	أبو الحسن الكاتب بن وهب	البرهان في وجوه	تحقيق أحمد مطلوب و
		البهيـــــــــــــان	الحديثي - طبعة بغفر

وكذلك تحقيق جفني مـ

مجلد	اسم المؤلف	اسم الكتاب	الطبعة
٨٠	محمد غنيمي هلال	المدخل الى النقد الأدبي	
		الحد يـــــــث	
٨١	أحمد الشايب	أصول النقد الأديبي	الطبعة الثانية
٨٢	كامل الكهلاني	صور جديدة من الأدب العربي	ط ١٩٣٩ م
٨٣	ابن الأثير	أسد الغابة في معرفة الصحابة	مكتبة المثنى لـلبنان
٨٤	ابن حجر العسقلاني	الأصابة في تمييز الصحابة	مكتبة المثنى لـلبنان
٨٥	ابن عبد البر	الاستيعاب في معرفة الأصحاب	مكتبة المثنى لـلبنان
٨٦	ابن منظور	لسان العرب	دار صادر بيروت
٨٧	مجد الدين الفيروزآبادي	القاموس المحيط	دار الجيل
٨٨	بطرس البستاني	محيط المحيط	مكتبة بيروت لبنان
٨٩	مجمع اللغة العربية	المعجم الوسيط	مطبعة مصر
٩٠	أحمد بن عبدربه الأندلسي	العقد الفريد	دار الفكر
٩١	ياقوت الحموي	معجم البلدان	دار بيروت للطباعة والنشر
٩٢	صفي الدين عبدالمؤمن		
٩٣	البخدادى	مرصد الأطلاع	دار احياء الكتب العربية

سابعا : الدوريات :

=====

٩٤	مجلة الفيل	العدد ٣٨	الرياض
٩٥	مجلة المسلم المعاصر	العدد ١٠	

الباب الأول :- الأعداد الإعلامية لصالح الحديبية

١٣

١٥

٢٠

٢٧

٢٩

٣٤

٣٨

٤١

٤٨

٤٩

٥١

٥٥

٥٦

٦٠

٦٦

٧١

٧٤

٧٨

٨٢

٨٣

روما الفتح

الأعلان بالعمرة

الخبر

الخبر الإسلامي

تداول الخبر وانتشاره

دعوة العرب للعمرة

دور المنافقين واليهود في تثبيط الهمم

عدد أهل الحديبية

الاهلال بالعمرة

المظاهر الإعلامية في الشعائر التعبدية

قريش تتلقى نبأ الرحلة

اجتماع طارئ

مهمة اعلامية

طرق جمع الأخبار عند العرب

تصرح هام للرسول صلى الله عليه وسلم

خطة اعلامية هادفة

الأثر الإعلامي الناتج عن تغيير خط سير الرحلة

معجزة للرسول صلى الله عليه وسلم في الحديبية

سرايا للحراسة والاستطلاع

الفصل الاول : مبحث أول :

مبحث ثان :

مبحث ثالث :

مبحث رابع :

الفصل الثاني : مبحث أول :

مبحث ثان :

مبحث ثالث :

مبحث رابع :

الفصل الثالث : مبحث أول :

مبحث ثان :

مبحث ثالث :

الفصل الرابع : مبحث أول :

مبحث ثان :

الصفحة	الموضوع
٨٥	الباب الثاني :-
٨٧	الفصل الاول : مبحث أول : الوفد الاعلامي الاول يصل الى الحد بيعة
٨٩	بديل بن ورقاء في معسكر قريش
٩١	التحليل الاعلامي لرسالة بديل الشفوية
٩٥	قريش تهت بأحد زعمائها الى الحد بيعة
٩٧	الوفد الثاني برياسة الحليس بن زيان
١٠٠	التحليل الاعلامي للعملية
١٠٤	الوسيلة الاعلامية
١١١	الحرب النفسية في مفاوضات عروة بن مسعود
١١٤	الحرب النفسية
١١٥	أهداف الحرب النفسية
١١٨	عناصر الحرب النفسية
١٢٠	تسمية الحرب النفسية
١٢٠	توقيت الحرب النفسية
	هل نجحت الحرب النفسية أمام العقيدة
١٢٢	الاسلامية ؟
١٣٣	الفصل الرابع : مبحث أول : الوفود النبوية الى قريش وأهمية بيعة الرضوان
١٣٦	المبعوث النبوي الثاني الى قريش
١٤٤	شائعة مقتل عثمان
١٤٤	أخبار الاستعدادات العسكرية تصل قريش
١٤٥	الشائعات وأهميتها الاعلامية
١٥١	أساليب مقاومة الشائعات
١٥٦	بيعة الرضوان
	مبحث ثانياً : مبحث ثالث : مبحث رابع :

الصفحة

الموضوع

١٦١	وفد الصلح القرشي برئاسة سهيل بن عمرو	الفصل الخامس : بحث أول :
١٦٣	مرحلة المفاوضات	
١٦٦	الخلاف حول صيغة المعاهدة	
١٦٨	كتاب الصلح	بحث ثان :
١٦٩	خزاعة في عهد المسلمين ونوبكر في عهد قريش	
	النبي صلى الله عليه وسلم يتحلل من احرامه وبأسر	
١٧٠	المسلمين بالتحلل	
١٧١	فتح اعلامي	بحث ثالث :

١٧٥	(النتائج والأثار الإعلامية لصلح الحديبية)	الباب الثالث :
١٧٦	الأعلام الشفهي	الفصل الاول :
١٧٧	الاتصال الشفهي	بحث أول :
١٨٠	تعريف الاتصال	
١٨٣	أساليب الاتصال	
١٨٥	الاتصال الشفهي	
١٨٦	أقسام الاتصال الشفهي	
١٨٦	١- الاتصال الشخصي	
١٨٨	٢- الاتصال الجمعي	
١٩٠	الفرق بين الاتصال الشخصي والجمعي	
	وسائل الاتصال الميدانية التي مارسها المسلمون في	
١٩١	تلك الفترة	
	القرآن الكريم	بحث ثان :
١٩٣	أساليب القرآن الإعلامية	

الصفحة	الموضوع
١٩٨	مبحث ثالث: الحديث الشريف
٢٠٣	مبحث رابع: القدوة الحسنة
٢٠٧	مبحث خامس: الكلمة الطيبة
٢١٢	الشعر
٢١٧	مبحث سادس: حركة الهمس
٢٢٣	مبحث سابع: وسائل الاتصال الجمعي
٢٢٣	١- الأذان
٢٢٥	٢- الخطب النبوية
٢٢٩	الأعلام التحريري
٢٣٠	مبحث أول: الأعلام الدولي التحريري
٢٣٦	الوسيلة التي تقوم بنقل الرسالة الإعلامية
٢٣٧	مبحث ثان: نماذج من الرسائل النبوية
٢٣٨	١- نموذج لرسائل أهل الكتاب
٢٣٨	٢- نموذج لرسائل الوثنيين
٢٣٩	التحليل الإعلامي للرسائل النبوية
٢٤٠	كلمة الدعاية
٢٤٦	اعداد الرسل
٢٤٩	حامل الرسالة الإعلامية
٢٥٣	جواب المقوقس
٢٥٧	نتائج الرسائل النبوية
٢٦٢	الأثر الإعلامي للغزوات والسرايا الحربية لفترة ما بعد الحديبية
	الفصل الثالث:

الصفحة	الموضوع
٢٦٣	مبحث أول : طبيعة الحرب في الإسلام
٢٦٨	مبحث ثان : مراحل تشريع القتال في الإسلام
٢٧٠	أغراض الجهاد في الإسلام
٢٧٣	الحالة العامة في الجزيرة العربية بعد الصلح
٢٧٥	مبحث ثالث: الغزوات والسرايا
٢٨١	مبحث رابع : عمرة القضاء وأثرها الإعلامي
٢٩٠	قرئش تنقض معاهدة الحديبية
٢٩٢	الدروس الإعلامية المستفادة من صلح الحديبية
	١- الدرس الأول
٢٩٣	٢- الدرس الثاني
٢٩٤	٣- الدرس الثالث
٢٩٥	٤- الدرس الرابع
٢٩٥	٥- الدرس الخامس
٢٩٦	٦- الدرس السادس
٢٩٧	٧- الدرس السابع
٢٩٨	٨- الدرس الثامن
٣٠١	٩- الدرس التاسع
٣٠٤	<u>الخاتمة</u>

الفهارس :

٣٠٨	فهرس الأبحاث القرآنية المبحث
٣٢٤	فهرس الأحكام النبوية الشريفة
٣٢٧	فهرس الأعلام المقترجم لهم
٣٢٨	فهرس الأماكن
٣٢٩ - ٣٣٤	مراجع البحث